معالم نظرية
تأصيلية
للترجمة من القرآن
الكريم

الأسس الفلسفية التأصيلية
والوسائل اللسانية التواصلية
لتبليغ الرسالة الحضارية

د. بوعزى عسام

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـاهُ قُرْآنًـا عَرَبِيًّا وَصَـرَّفْنَا فِيـهِ مِنَ الْوَعِيـدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: ١١٣)

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٢٨)

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣)

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ قُرْآنًـا عَرَبِيًّا لِّتُنـذِرَ أُمَّ الْقُـرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَـا وَتُنـذِرَ يَـوْمَ الْجَمْـعِ لَا رَيْبَ فِيـهِ فَرِيـقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧)

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣)

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ

نَزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِـكَ لِتَكُـونَ مِنَ الْمُنـذِرِينَ بِلِسَـــانٍ عَـــرَبِيّ مُّبِينٍ ١٩٥ (الشـــعراء : 193ـ 194 ـ 195)

 قُرْءَانًـا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِـوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُـونَ)الزمـر: 28) .

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْـلِ هَـذَا الْقُــرْآَنِ لَا يَــأْتُونَ بِمِثْلِـــهِ وَلَـــوْ كَــانَ بَعْضُـــهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)الإسراء: 88)

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر: 9)

وَمِنْ آَيَاتِـهِ خَلْـقُ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِـنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) الروم: 22)

مقدمة المؤلف

الكتاب الذي بين أيدينا حصيلة أزيد من 10 سنوات من التكوين والتجربة سواء في مجال البحث الأكاديمي في مجال الترجمة نظريا وتطبيقيا، علاوة على تجربة معتبرة في مجال الترجمة التحريرية أو الفورية.

ونخص بالذكر هنا التكوين الأكاديمي والمهني في مجال الترجمة في المواضيع الدينية، حيث كتبت أول بحث علمي في الموضوع، وكان ذلك قبيل تقديم أطروحتي لنيل الدكتوراه. والحقيقة أن الأفكار الواردة في هذا البحث كانت بمثابة الإرهاصات الأولى للتفكير في الموضوع، تلتها فترة من التفكير والاطلاع وجمع المصادر ونشر للبحوث العلمية والمشاركة في المؤتمرات الدولية، والتي أفضت إلى نشر هذا المؤلف.

بموازاة مع ذلك، كانت التجربة المهنية في المواضيع الدينية، سواء في مجال التخصص أو الترجمة العامة، محكا لتغذية هذه الصيرورة والوقوف على الإشكالات

العملية التي تحف ترجمة القرآن الكريم لربطها بالنظرية فهما ونقدا وتوجيها.

ومن خلال هذه الصيرورة مع ترجمة كتاب الله جل وعلى، يتبين لنا أن القضية الأولى التي وجب التصدي لها تفكيرا وتنظيرا، لما لها من وقع وتأثير على نظرة العقل الإسلامي التاريخي لطبيعة النشاط الترجمي للقرآن الكريم، حيث تضافرت عوامل بنيوية وتاريخية واجتماعية يمكن تلخيص نتيجتها في سمتين أساسيتين: الهامشية والتحفظ.

وقد خصصنا الفصل الأول من هذا المؤلف لمناقشة هذا الموضوع بمختلف تفرعاته في محاول للوقوف على مواطن القوة والضعف في "التنظير" الإسلامي لترجمة القرآن الكريم، سواء على المستوى النظري البحت كما حصل مع القدماء، أو في إطار صراعات سياسية أو إيديولوجية كما حصل في كل من تركيا أو مصر في النصف الأول من القرن العشرين.

وبما أن الشيء لا يعرف إلا بضده، فقد خصصنا فصلا مستقلا للحديث عن الترجمة الإنجيلية من وجهة نظر تاريخية أو بنيوية، إذ ننطلق من كون الحالة الإنجيلية بمثابة مرآة تساعدنا على الوقوف على بعض مواطن

الخلل التي تصل في بعض الأحيان حد المفارقة في النظرة الإسلامية للترجمة، ومن جهة أخرى، تمكننا من الإفادة من النموذج الإنجيلي من وجهة النظر التنظيمية على وجه الخصوص.

بعد هذين الفصلين الذين يمكن اعتبارهما تمهيديين، نقدم في الفصل الثالث الذي يمكن أن يعتبر لب المؤلف. فهو يتضمن النموذج النظري والتطبيقي للنظرية التأصيلية لترجمة القرآن الكريم.

لكن قبل الدخول في عرض النظرية، أفردنا مقدمة لا بد منها حول تطور علم الترجمة في القرن العشرين، والتي تمثل أساسا لدحض الآراء المتداولة حول ترجمة القرآن الكريم وتقديم النموذج التحليلي المقترح وفق أسس علمية وعملية معاصرة.

وفي المقام الثاني، يتم عرض الأسس الفلسفية للنظرية التأصيلية وكذا الأدوات التحليلية المقترحة لتقييم الترجمات. ولكي لا يبقى الكلام نظريا بحتا، نقترح في هذا الفصل دراسة تطبيقية مصغرة لكل ما سبق تقديمه في المجال النظري تتناول أمثلة مستقاة من سورة الكهف بمنهج مقارن بين عدة ترجمات مختلفة التوجه والمنهجية.

وفي نهاية المؤلف، نقوم بتجميع الخلاصات ومناقشتها برؤية اقتراحية حول مختلف القضايا التي تم التطرق إليها بين صفحات الكتاب.

وفي الأخير، وجب التنويه إلى أنه على الرغم من كون المؤلف يتضمن المعالم الكبرى للنظرية على مستوى معقول من الوضوح والاكتمال، فإننا نعتبر أن مجموعة من الإشكالات الفرعية المتعلقة بالموضوع من وجهة النظر التاريخية والفقهية ما تزال بحاجة إلى التطوير لتحصل الفائدة المرجوة من الكتاب لعموم المسلمين.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم خدمة لكتابه العزيز، ونحمده على نعمه الظاهرة مثل الصحة والوقت والتوفيق، وعلى كل نعمه الخفية، ونستغفره ونتوب إليه من كل زلل أو زيغ، وهو ولي التوفيق.

مدخل

يقال أن سؤالا جيدا يمثل نصف الإجابة، غير أننا في بداية هذا البحث سنكتفي بالأسئلة الشائعة التي كانت تطرح حول موضوع ترجمة القرآن الكريم من وجهة

النظر الإسلامية، من خلال عروضنا ونقاشاتنا المختلفة، وبعضها ليست أسئلة حقيقية بل استنكارية:

- هل يجوز ترجمة القرآن الكريم من اللغة العربية إلى لغات أخرى، مادام قد أنزل بلسان عربي مبين؟
- هل يمكن أن نترجم كلاما إلهيا إلى كلام البشر دون أي تنقيص من قيمته ومحتواه[1]؟
- وفي حال فرض جواز وإمكانية هذا الأمر، كيف يلزم التعامل مع القرآن الكريم ترجمة لتلافي السقوط في أي محظور شرعي؟
- ثم، ما قيمة ترجمة القرآن الكريم وما حدود استخدامها من وجهة النظر الإسلامية؟
- هل يتم ترجمة القرآن الكريم أم ترجمة تفسير له، وكيف يمكن الاختيار بين مختلف التفاسير؟
- ألا يمكن الاكتفاء بترجمة التفاسير تفاديا لأي لبس يمكن أن يحدث بين الأصل والترجمات؟
- كيف يمكن الحكم على ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم من وجهة النظر الإسلامية، وهل

[1] بعبارة قريبة عنون الأستاذ البنداق الفصل الثاني من كتابه "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم"(1980-1983)، تقول بصيغة الاستفهام:" هل يترجم الوحي الإلهي بعبارات بشرية؟"

يحق نقد ترجماتهم من وجهة نظر إسلامية، بما في ذلك من إلزام لهم بما لم يلزموا به أنفسهم؟

لاشك أن الرد على بعض الأسئلة، خصوصا الاستنكارية منها، لا يتطلب كبير عناء، غير أن ثمة أخرى تتطلب بسطا علميا ومجموعة من المقدمات التي سنوردها بين فصول هذا الكتاب.

ولذلك، نود في هذا المدخل التركيز على جملة من المقدمات الضرورية حول العلاقة الفريدة للقرآن الكريم باللغة العربية، وهو المعطى الذي نعتبره حاسما وبنيويا، سواء في النقاشات الإسلامية حول هذا الموضوع قديما وحديثا، أو في أية نظرية تتوخى إرساء معالم ترجمة القرآن الكريم من وجهة النظر الإسلامية.

لا شك أن الجانب اللغوي، الذي يمثل أساس بحثنا، يعد جانبا بالغ الأهمية في القرآن الكريم، فمن بين جوانب إعجازه التي لا تحصى أنه نزل بلغة العرب، الذين كانوا أمة برعت في الإنتاج الأدبي، خصوصا الجانب الشعري منه، حتى قيل أن "الشعر ديوان العرب". وقد نزل القرآن الكريم متحديا لهم ببيانه وفصاحته[2]، حتى أن

[2] بلغ الأمر بابن عزرا الغرناطي، وهو متأدب يهودي أندلسي، أن يقول أن الأولى لشعراء اليهود أن يتبعوا أوزان القريض العربي لأنهم تفوقوا في هذه "الصناعة"، وكان ممن اتبعوا هذا المذهب وقرضوا فيه أشعارا كثيرة في موضوعات مختلفة. راجع كتابه "المحاضرة والمذاكرة" بتحقيق د. أحمد شحلان ود. السعدية منتصر (تجد بيانات النشر في فهرس المراجع).

كثيرا من المشركين من قريش وغيرها من قبائل العرب دخلوا الإسلام من باب انبهارهم بلغة القرآن الكريم من منطلق وعيهم اللغوي والخطابي المتقدم، والذي وجد في التراث الشعري الهائل الذي ورثوه عن العصر الجاهلي أحد أهم مظاهره. فقد قال الله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: ١١٣)

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٢٨)

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣)

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧)

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣)

وهو ما يعني أن الإعجاز اللغوي جزء لا يتجزأ من المعجزة القرآنية، بل كان في زمن البعثة أحد الحجج الرئيسية لإثبات النبوة أمام جحود القرشيين ومعهم سائر العرب[3]، وبالتالي، فلا يتصور أن يكون القرآن

[3] والقصص في ذلك عديدة ومذكورة في كتب التراث، جمعها مقال الأستاذ محمد فرشوخ، "الإعجاز البياني في القرآن الكريم"، من موقع www.iijazforum.org، ويورد أشهرها: حين كان ثلاثة من وجهاء قريش: أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق يتسللون ليلاً ليسترقوا السمع في جوار بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو

الكريم قرآنا، أي بكل قيم القرآن الكريم واعتباراته التعبدية والتشريعية والعلاجية وغيرها كاملة، دون أن يكون باللغة العربية، خلافا للأناجيل في الديانة المسيحية مثلا.

غير أن هذه الصبغة اللغوية التلازمية التي طبعت العلاقة بين القرآن الكريم مع اللغة العربية لا يمكن أن تصرف بأي حال من الأحوال عن الطابع العالمي الذي تتخذه هذه الرسالة هدفا لها وفق تصور يوجب البلاغ وإقامة الحجة والبينة على كل الناس، على اختلاف لغاتهم وأعراقهم ومعتقداتهم والحيز الجغرافي الذي يتواجدون به. وقد عبر القرآن الكريم في عدة مواضع عن هذا المعنى:

قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" (سورة الفرقان، الآية 1)

قال تعالى :" إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" (سورة القلم، الآية 87)

يصلي ويتلو القرآن الكريم:
(فلما أصبح الأخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد. قال: والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فقال: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، **وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان. قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه، والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه فقام عنه الأخنس وتركه).** أخرجه ابن إسحق والبيهقي في الدلائل، عن الزهري رضي الله عنه.

من وجهة النظـر القرآنيـة أيضـا، فـإن اختلاف اللغـات أو الألسـن بين بـني البشـر يعـد أحـد القـوانين الإلهيـة في الخلق:

قال تعالى « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ » (سورة الروم، الآية 22)

في تفسير ابن كثير، يقترن ذكر الاختلاف في الألسن بين الجماعات والشعوب المختلفة، وكذا هيئاتهم وألوانهم وهذه فردية، ويكون ذلك دالا على قدرة الله سبحانه وتعالى وآية من آيات عظمته.[4]

وعليه، فقد قرر القرآن الكريم أن مركزية الرسالة من حيث اللغة توازي تعددية لغوية في التواصل والتبليغ في ظل وجود خطاب قرآني إيجابي وتقريري يؤسس لاختلاف اللغات باعتباره أحد مظاهر عظمة الله تعالى، وأحد السمات الملازمة لطبيعة الإنسان، عكس التصور الإنجيلي مثلا من خلال قصة برج بابل[5] الذي يوحي بأن

[4] (وقوله : (واختلاف ألسنتكم) يعني اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى ، وهؤلاء كرج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفرنج ، وهؤلاء بربر ، وهؤلاء تكرور ، وهؤلاء حبشة ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء عجم ، وهؤلاء صقالبة ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم ، واختلاف ألوانهم وهي حلاهم ، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة : كل له عينان وحاجبان ، وأنف وجبين ، [ص: 310] وفم وخدان . وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ، ظاهرا كان أو خفيا ، يظهر عند التأمل ، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى . ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح ، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر".
تفسير ابن كثير، منشور على موقع islamweb.net ويمكن الاطلاع على نفس الرابط على تفسير الآية في تفاسير أخرى.

[5] يقول الباحث حمزة زغار: جاء ذكر هذه الحادثة في سفر التكوين في الإصحاح الحادي عشر ومفادها أن الناس الذين كانوا يتكلمون لغة واحدة، قرروا تشييد برج عالٍ لبلوغ عنان السماء من أجل بلوغ المعرفة القصوى، غير أنَّ الرَّبَ عاقبهم وذلك بتعداد لغاتهم، حتى أضحوا لا يدركون مقاصد بعضهم البعض، والعلامة 'ابن خلدون' له رأيه حول هذا الموضوع: أصاب النمروذ

تعد اللغات كان بمثابة عقاب إلهي على عزم بني البشر تشييد برج بابل، وبعد أن كانوا يتحدثون لغة واحدة، أحدث بينهم التعدد اللغوي وانعدام التفاهم بينهم، مما أدى إلى فشل مشروع بناء البرج وتفرقهم في الآفاق.

علاوة على ذلك، تقرر الآيات المذكورة صراحة أن تعاليم هذا الدين ليست خاصة بقوم دون قوم أو بقطر دون آخر، بل هي عالمية المقصد، خالدة الدلالة والهدف.

وعليه، فهذا يستلزم بالضرورة أداء واجب البلاغ وإقامة الحجة على كل الناس، سواء الناطقين باللغة العربية أو غير الناطقين باللغة التي أنزل بها الوحي، ولا يتم ذلك منطقا إلا عن طريق الترجمة.

وعلى عكس ما قد يتصوره البعض انطلاقا من المعطيات النظرية الواردة في الأسطر السابقة، يمكن القول أن ترجمة القرآن الكريم قد شغلت حيزا هامشيا على مر التاريخ الإسلامي، سواء من حيث التنظير أو تنفيذ الترجمات، وهذا ما سيأتي تفصيله في الفصل الأول من هذا الكتاب.

وقومه على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ما أصابهم في الصرح وكانت البلبلة وهي المشهورة وقد وقع ذكرها في التوراة ولا أعرف معناها. والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فباتوا عليها ثم أصبحوا وقد افترقت لغاتهم قول بعيد في العادة إلا أن يكون من خوارق الأنبياء فهو معجزة حينئذٍ، ولم ينقلوه كذلك؛ والذي يظهر أنه إشارة إلى التقدير الإلهي في خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع في القرآن الكريم ولا يعقل في أمر البلبلة غير ذلك"، عن مدونة الأستاذ حمزة زغار،"تعدد اللغات والترجمة، أسطورة بابل" 2015: http://hemza-zeghar.blogspot.com/2015/12/blog-post.html

غير أن العقود الأخيرة شهدت اهتماما متزايدا بترجمة القرآن الكريم، بل يمكن القول أنه أكبر من أي وقت مضى، سواء من حيث عدد اللغات التي تمت ترجمة القرآن الكريم إليها، إذ تتحدث بعض المصادر عن 890 ترجمة للقرآن الكريم (كثير منها ترجمات مختلفة للغة واحدة) إلى حدود سنة 2002 [6]، كما تعددت اللغات المترجم إليها، حيث تعدت اللغات الأوروبية المركزية إلى لغات إفريقية وآسيوية استجابة لطبيعة رسالة الإسلام العالمية وواجب التبليغ الذي يشمل كل الإنسانية، لأن الذي أنزل القرآن هو رب العالمين فقد أنزله هداية ونورا لكل العالمين.

غير أن هذا الجهد الكبير المبذول في إنجاز الترجمات بمختلف اللغات ومختلف المؤسسات والملتقيات التي تمت في هذا المجال، لم يتم إرفاقه، على الأقل بشكل كاف في نظرنا، مع جهد تنظيري منهجي يسعى لترشيده وتوجيهه الوجهة السليمة، خدمة لدوره الحضاري والدعوي.

---

[6]. "البيليوجرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم: الترجمات المطبوعة" التي أعدَّها مركز أبحاث التاريخ والفن والثقافة الإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ولكن هذا الرقم تضاعف ثلاثة أضعاف خلال عشرين عاماً، أي من (296) ترجمة عام 1980م إلى (890) ترجمة عام 2002م، ذكر في سياق مقال بعنوان" مقدمة في الاتجاهات المعاصرة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية" ضمن موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: الرابط المباشر: **http://jqrs.qurancomplex.gov.sa/?p=96**. وبعد هذا التاريخ، وإلى حدود كتابة هذه السطور، لم ينته إلى علمنا أي عمل جاد في هذا الشق الإحصائي لترجمات القرآن الكريم، ونشدد على ضرورة القيام به بل وتعميقه وتفصيله ليفصل في عدد الترجمات إلى اللغة الواحدة، وعدد ترجمات المستشرقين الصادرة، للتمكن من تقييم دقيق للوضع الراهن لترجمات القرآن الكريم إلى مختلف اللغات.

هـذا ولـزم ابتـداء وضـع تميـيز منهجي بين وجهـة النظـر الشـرعية البحتـة، الـتي تهتم بتوصـيف مـدى مشـروعية الترجمة من وجهة النظر الشـرعية أو الفقهيـة المحضة، والتوصيف التخصصي للمجـال المتمثـل في علم اللغـات والترجمة. وعلى الرغم من الترابط العضوي بين وجهـتي النظر، كمـا سـيأتي بيانـه في فصـول هـذا الكتـاب، فـإن القصور الملاحظ في أهل الاختصاص (في الترجمـة) أعم وأكبر.

وعليه، فيمكن القول بوجود هوة ذات طبيعة معرفيـة بين الدارسين لترجمة القرآن الكـريم من منطلـق اهتمامـات الدراسـات القرآنيـة (أي من داخـل السـياق الإسـلامي الداخلي) والدارسون لعلوم اللغة واللسانيات ودراساتهم للعملية الترجمية في هذا المجـال، ويمكن توصـيف هـذه الهوة ابتداء بما يلي:

- عـدم اسـتناد الحكم الشـرعي في نقـاش شـرعية ترجمـة القـرآن الكـريم أو مخاطرهـا على الملـة والعقيدة إلى دراسات أو معطيات نظريـة واردة عن علم الألسن أو الترجمة.
- ومن جهة دارسي ترجمة القرآن (وثمة نقص واضـح في الدراسـات الترجميـة المسـتندة إلى نظريـات

الترجمــة المعاصــرة) عــدم التنبــه لطبيعــة القــرآن الكــريم في سـياق الحضـارة الإسـلامية، وقلـة الـزاد النظري (تستشف انطلاقا من المصادر النظرية التي يستندون إليها) وكذا وجود "تسـرب" (بشـكل واع أو غــير واع) لنظريـات الترجمــة الغربيــة ذات الأســس الإنجيليــة، لتصــور ترجمــة القــرآن الكــريم وطريقــة ترجمته.

وإزاء هـذه المعطيـات، فقـد تبنينـا مقاربـة يمكن وصـفها بـا"الترشـيدية" المبنيــة على أســس حضـارية مقاصـدية تراعي الخصوصية القرآنية داخل السياق الإسلامي، وفي نفس الــوقت تنفتح على إفــادات النظريــات الترجميــة المعاصرة عملا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **" كلمة الحكمة ضالة المـؤمن حيث وجـدها فهـو أحق بها [7]"** دون استلاب ولا تقديس، بـل بنظـرة نقديـة متوازنة، في ذلك توجيهات وطروحات مفكرين من طراز د. عابد الجابري، ومالك بن نبي و د. المهـدي المنجـرة و المرحوم د. عبد الوهاب المسيري وأحمد الريسوني و د. طه عبد الرحمن، وغيرهم كثير.

---

[7] **رواه الترمذى (5 / 51) و ابن ماجه (2 / 1395) و القضاعى فى مسند الشهاب (1 / 65) ثلاثتهم من طريق إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعا بلفظ " الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُـؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَـدَهَا فَهُـوَ أَحَقُّ بِهَا " و اللفظ للترمذى.**

للتدليل على هذه الدعوى، نخصص مدخلا للتعريف بإيجاز بالقرآن الكريم في سياق الحضارة الإسلامية. غير أن اهتمامنا سيتركز فيما يتعلق بموضوعنا، وهو الجانب اللغوي الذي من شأنه أن يكون مفيدا بالنسبة لموضوع الترجمة. وهذا الجزء يمكن اعتباره تمهيديا وأساسا للطروحات المتضمنة في الفصول التالية، يتوخى إبراز المبادئ العامة التي تؤطر وجهة النظر الإسلامية للقرآن الكريم وعلاقته العضوية باللغة العربية التي أنزل بها، والتي انعكست بشكل أو بآخر على ترجمته إلى اللغات الأخرى.

أما الفصل الثاني، فندخل فيه إلى صلب الموضوع عن طريق تحليل نظري وتاريخي لترجمة القرآني في سياق الحضارة الإسلامية، والتي قمنا بتقسيمها منهجيا إلى قسمين:

- وجهة النظر الشرعية، التي تناقش التوصيف الشرعي لترجمة القرآن الكريم، وشروطها وموانعها سواء عند القدماء أو المحدثين.
- استعراض أبرز الدراسات والكتابات المؤلفة من قبل الدارسين للغة والألسن حول ترجمة القرآن الكريم.

بعد الوقوف على حصيلة هذه الدراسات، اعتبرنا أنــه من الضروري إدراج فصل مستقل، يتضمن عرضا مقارنـا بين مفهوم الترجمة للقـرآن الكـريم والأناجيـل، وقـد اعتبرنـا هذا الفصل أساسيا في استكمال الاعتبارات النظرية من عدة أوجه:

- كـــون الأناجيـــل أكـــبر كتـــاب مـــترجم في التـــاريخ المعروف، بل إن تاريخ الأناجيل وجدالاته ترجـع كليـا أو جزئا إلى الترجمة.
- كون النظريات الغربية في الترجمة قد تأثرت بشكل واع مباشـــر (نظريـــات الترجمـــة التطبيقيـــة على الأناجيل) أو غير واع وغير مباشر (عن طريق مفهوم التكـــافؤ الحـــرفي أو الـــدينامي أو الأســـلوبي) عن الترجمة الإنجيلية.
- وعلى الرغم من كون القرآن الكريم، كما برهنا على ذلك في الفصول السابقة، يوجد على طـرق النقيض من مفهـوم الترجمـة الإنجيليـة، إلا أنــه يلاحــظ في بعض الدراسـات المعاصـرة تـأثر غـير مباشـر بهـذه النظريـات، وهـو مـالا يخـدم إطلاقـا ترجمـة القـرآن الكريم.

بعد هذه الفصول الـتي يمكن اعتبارهـا ترسـيما للجـوانب المختلفـة للإشـكالية، ووقوفـا على مـواطن مـا نعتـبره قصـورا أو خلطـا في بعض النقـاط، ننتقـل إلى تقـديم عـرض مـوجز عن أهم النظريـات المعاصـرة في مجـال الترجمة، بمنهج تركيبي بين تحليل الاتجاهات النظرية من وجهة نظر مقارنة، وتقديم لمحات عن السـياق التـاريخي لهذه النظريات على مختلف مشاربها، مع التنويـه بشـكل خاص بنظريات ما بعد الاستعمار في الترجمة، والتي من شـأنها أن تشـكل تقاطعـا نظريـا من المنهج الحضـاري الترشيدي في النظر إلى الطروحات النظرية الوافدة من الغرب وضرورة التعامل معها بمنطق النسبية والنفعية.

ولكي لا يبقى الكلام محصـــورا في المجـــال النظـــري البحت، قمنـــا بتضـــمين الكتـــاب فصـــلا تطبيقيـــا تنـــاول بالدراسـة والتحليـل ثلاث ترجمـات للقـرآن الكـريم إلى اللغة الإسبانية، الهدف منه تقديم نماذج عملية عما ذهبنا إليـه من فرضـيات علميـة، وكـذا الاطلاع عن كثب على الاسـتراتيجيات المختلفـة المتبعـة من قبـل المـترجمين، والوسائل المتوخاة لبلوغ هذه الأهداف والصعوبات الـتي تعترضها.

ونختم هذا الكتاب بأهم الخلاصات التي توصلنا إليها من كل ما سبق، ونخصص سطورا وجيزة على هيئة ردود سريعة توجز ما ذهبنا إليه، خشية أن يلتبس على البعض استخلاص زبدة موقفنا من أهم النقاط المطروحة في الخلاصات.

فعلى بركة الله نبدأ أول فصول هذا العمل، الذي نتمنى أن يكون خالصا لوجهه تعالى وأن ينفع به، والله ولي التوفيق والقادر عليه.

يهدف هذا الفصل إلى رسم الملامح العامة، من وجهة نظر الدارس للترجمة، لتاريخ "نظريات" ترجمة القرآن الكريم من قبل المسلمين ومختلف المحطات التاريخية التي عاشتها. والهدف منه تلمس الاتجاهات العامة، أو خصائص "نظرية" لترجمة القرآن الكريم عند المسلمين. ولا نتحدث عن "نظريات مكتملة" كما هو معروف في دراسات الترجمة المعاصرة، بل عن كل ما يفيد بأنه تفكير بشكل من الأشكال في عملية الترجمة ومسوغاتها وأهدافها على مر عصور التاريخ الإسلامي. بل يمكن القول أنه ليس لدينا، على حد علمنا، نظرية مكتملة لترجمة القرآن الكريم من وجهة النظر الإسلامية.

وينطلق عرضنا من العصور الأولى للإسلام إلى الزمن الحاضر وأهم الجدالات التي قامت بين النخب الدينية الإسلامية والدارسين لترجمة القرآن الكريم قديما وحديثا، وهو ما سيمكننا من رسم الخطوط العريضة لل"نظرية الإسلامية" حول ترجمة القرآن الكريم وأهم إشكالاتها على امتداد التاريخ الإسلامي. ولعل رسم الخطوط العريضة للإشكالات النظرية وتحليلها يكون منطلقا لتحديد ملامح نظرية لترجمة القرآن الكريم

تتجاوز نقاشات تبدو غير مناسبة للعصر الحالي، وتنكب على الإشكالات المعاصرة في إطار مقاربة تواصلية نقدية تنطلق من خصائص القرآن الكريم ومحدداته، وتراعي الغايات التبليغية والمتلقي المفترض.

ترجمة القرآن الكريم عند المسلمين: بين الهامشية والتحفظ

لعل أول ما يلاحظه الدارس لمجال ترجمة القرآن الكريم هي المفارقة البينة بين النظرية والواقع، فالصبغة العالمية الواضحة لرسالة للقرآن الكريم والدين الإسلامي تدعو إلى التأكيد بشكل لا يدع مجالا لأي لبس على ضرورة البلاغ والبيان للعالمين لا تتوافق بأي شكل من الأشكال وضعف حجم الترجمة مقارنة بالتطور الهائل الذي شهدته علوم القرآن الكريم الأخرى، أو بالمقارنة مع النشاط الترجمي والدعوي (التبشيري) للمسيحية مثلا[8].

---

[8] يمكن الاطلاع مثلا على أبحاث مثل: **وليد بليهش العمري** ، ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول مقارنة كمية ونوعية بين ترجمات معاني القرآن الكريم وترجمات الإنجيل، أبحاث ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول المنعقدة بكلية اللغات والترجمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1425ه.-2005م **د. نديم بن محمد عطا الله إلياس**، ترجمة معاني القرآن الكريم والتحديات المعاصرة، أبحاث ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول المنعقدة بكلية اللغات والترجمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2005م، **محمود محمد حجاج رشيدي**، مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريات الترجمة الحديثة دراسة لنماذج مختارة، أبحاث ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول المنعقدة بكلية اللغات والترجمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2005م. ويمكن الاطلاع على هذه الأعمال على موقع مركب الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

على عكس التاريخ الحافل للترجمة ومكانتها الكبـيرة في تاريخ المسيحية ومجمل النظريات التي نشأت وتطــورت على أساس النشاط الترجمي الـداعم للنزعـة التبشـيرية القوية، فإن تاريخ الترجمـة للقـرآن الكـريم كـان محـدود الحجم طيلـة أزيـد من 12 قرنـا، وهـو يعيش في الـوقت الحاضر نموا متزايدا، سواء على مستوى إعداد ترجمــات لمختلـف اللغـات الحيـة أو البحـوث العلميـة والمقـالات لأسباب عديدة سنناقشها في الصفحات التالية.

وهذا ما سنحاول رصده وتحليله في هذا الفصل عبر منهج تاريخي يضع النظريات والآراء المعبر عنها في هذا الموضوع في سياقها ويحاول إيجاد فرضيات تعليلية لهذه النظريات والاتجاهات استكمالا للتحليل: وذلك في مسعى لتحديد معالم نظرية لترجمة القرآن الكريم تراعي الظروف الموضوعية لسياق التواصل القرآني وثوابته العامة، وتخليصه من كل النقاشات الجانبية التي من شأنها أن تحد من تطوره أو تحيد به عن الأهداف التبليغية والبيانية التي يتوخاها.[9]

: www.qurancomplex.org

[9] وهذا ما عبر عنه د. فريد الأنصاري في كتابه "أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية" بالقول "ونحن في الدراسات الإسلامية نحتاج إلى المنهج التاريخي لرسم حقائق التراث كما كانت، خاصة فيما يتعلق بالعلوم الشرعية، من أجل فهمها فهما سليما –كما وضعها أصحابها- سكونيا وتطوريا. فالتاريخ للعلوم الشرعية-متى أمكن ذلك علميا- خطوة ضرورية، لأن بها نفهم ذاتنا ونحفظها حقا، وبها نبني حاضرنا، ونؤسس مستقبلنا"، من كتاب د. محمد البركة ود. سعيد بنحمادة، فقه التاريخ عند الدكتور فريد الأنصاري، المفهوم والمنهج والقضايا، المطبعة

بداية، وجب الفصل بين نوعين من "الترجمة"، أو بالأحرى من المقاربات الترجمية، يمكن تمييزهما أساسا من حيث هدفها، فمعظم الترجمات التي تم القيام بها في القرون الأولى للإسلام، كان الهدف منها دراسة معتقداته ودحضها، خصوصا من قبل المسيحيين الشرقيين لأغراض الجدل اللاهوتي، وفي نفس السياق، يمكن الحديث عن كبير عدد من الترجمات التي يطلق عليها اسم "الترجمات الاستشراقية" والتي قام بها الدارسون في أقسام الدراسات الشرقية في مختلف الجامعات الأوروبية، وهي الترجمات التي تلقى العديد من الانتقادات بسبب طبيعتها ومنطلقاتها "[10]، غير أن هذا الفصل من الكتاب على الأقل، يدخل ضمن مبحث آخر .

والوراقة الوطنية،2010، ص. 105.

[10] يعتبرها بعض الباحثين "أخطر حملة عدائية واجهها القرآن العظيم هي تلك الهجمة الشرسة التي شنَّها المستشرقون عليه، فكان أول همهم أن يبحثوا لأوروبا عن سلاح غير أسلحة القتال، لتخوض المعركة مع هذا الكتاب الذي سيطر على الأمم المختلفة الأجناس والألوان والألسنة، وجعلها أمة واحدة، تعد العربية لسانها، وتعد تاريخ العرب تاريخها. راجع الدراسة المنشورة تحت عنوان "تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها"، إعداد د. محمد حمادي الفقير التمسماني، دون تاريخ نشر، وردت على موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق، وكذا دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، التي أعدّها ريجيس بلاشير، من تأليف الشيخ فودي سوريبا كمارا، في الموقع التالي:
http://www.madinacenter.com، وأنظر أيضا: محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق، بيروت، 1980.
وفيه هجوم شديد على المستشرقين، خصوصا الفرنسيين.كما يخصص موقع إسلام ويب، وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية بابا ل"الترجمات غير الصحيحة" فيه دراسات لترجمات للمستشرقين في الرابط التالي:
http://www.qurancomplex.org

وبالمقابل، وهذا بيت القصيد في هذا السياق، يلاحظ وجود حالات نادرة لترجمات قام بها المسلمون من أجل تمكين غير الناطقين باللغة العربية من الشعوب التي دخلت إلى الإسلام على إثر الفتوحات من الاطلاع على القرآن الكريم (العلوش، 7) و(العمري، 2005).

هذا ويكاد يجمع الباحثون في تاريخ الترجمة في الإسلام على أن الحصيلة التاريخية جد محدودة في هذا المجال، تنظيرا أو تأطيرا، مما يوحي بمكان هامشي للترجمة مقارنة بالحجم الهائل من المؤلفات في علوم أخرى تدخل في دائرة علوم القرآن الكريم مثل التفسير والفقه مثلا[11]. وعلى أن هذا الوضع قد شهد تغيرا إيجابيا كما سنرى في العصر الحديث، فثمة عوامل بنيوية في تكوين العقل الإسلامي وعلاقته بالقرآن الكريم واللغة العربية يلزم أخذها بعين الاعتبار لترشيد وتشجيع عمل ترجمة القرآن الكريم تنظيرا أو تنفيذا، وسنعود إلى الموضوع في الخلاصات.

وبما أن منطلق أي تفكير تنظيري ذي صبغة إسلامية يبدأ بالضرورة من عصر النبوة والوقائع التي يتم الاستناد إليها لتأسيس أحكام حول مختلف النوازل بما فيها

[11] يمكن للباحث أن يراجع مثلا العدد الكبير من المراجع في مادتي التفسير والفقه مثلا في المكتبة الرقمية لموقع www.islamweb.net .

ترجمة القرآن الكريم. وفي هذا الصدد، يتم الاستناد إلى ما ذكر ابن سعد في "الطبقات الكبرى" أن رُسُل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعوا لغات القوم الذين أرسلوا إليهم، وبعض الرسائل التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتوت آيات من القرآن الكريم وبخاصة تلك التي بعثت إلى أهل الكتاب مثل النجاشي ملك الحبشة التي ورد فيها الآيات التالية: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر:23)، و ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ (النساء:171) ، وورد أن عمر بن أمية رضي الله عنه، وهو الرسول إلى النجاشي، قام بترجمة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اللغة التي يفهمها النجاشي، وفي رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس وردت الآية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾ (آل عمران: 64).

كما ذكر السرخسي في كتابه الكبير في الفقه الحنفي الموسوم بـ "المبسوط"، في كتاب الصلاة (1/37)، أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية، وفي "النهاية حاشية الهداية" لتاج الشريعة (1/86، حاشية 1) تفاصيل أكثر حيث يذكر: "كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم/بنام يزدان بخشاونده.... وبعدما كتب عرضه على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعثه إليهم، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم، كأنهم طلبوا ترجمة سورة الفاتحة لقوله عليه السلام: "لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب"[12].

وعلى الرغم من هذه السوابق التي يمكن أن تشكل أساسا نظريا لتحفيز الترجمة لدواعي دعوية يقول إبراهيم مهنا "ولم تكن هناك ضرورة لترجمته ولم يورد التاريخ أن أحدا من المسلمين حاول ترجمته إلى غير اللغة العربية طوال اثني عشر قرنا من الزمان عدا ما ورد من أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي ترجم

---

[12] العمري، المصدر نفسه، و عبد النبي ذاكر، قضايا ترجمة القرآن، سلسلة شراع، العدد 45، طنجة، 1998.

الفاتحة إلى اللغة الفارسية لبعض قومه للقراءة في الصلاة" (العلوش، 7)[13]

بيد أن هذا الرأي، على الرغم من كونه صحيحا على الجملة، يفتقد إلى الدقة، إذ أنه على الرغم من تأخر وقلة الترجمات، كاملة أو جزئية التي قام بها مسلمون، فإنها موجودة منذ القرن الرابع الهجري إلى كل من الفارسية والتركية والأردية، وذلك على الرغم من الآراء التي يجوز وصفها ب"المتحفظة" لكبار علماء المسلمين على مر العصور كما سيأتي بيانه . [14]

وفي العصور التالية، يشير الباحثون إلى مجموعة من العلماء من المشرق والمغرب الإسلامي الذين أبدوا رأيهم في الموضوع من أمثال الجاحظ والسيوطي والزركشي والغزالي وابن تيمية والشاطبي والقفال وابن

---

[13] جلال الدين بن الطاهر العلوش، أحكام ترجمة القرآن الكريم، دار ابن حزم، بيروت2007م ، ص. 7. ويعلق د. الفوزان (محمد بن صالح الفوزان، أيهما أولى بالترجمة؟ القرآن الكريم أو تفسير العلماء له. أعمال ندوة بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي و تخطيط للمستقبل- 2002م) ص. 14-15) على هذا الموقف مضعفا إياه على هذا النحو: " وقد أورد السرخسي خبراً – تناقله عنه الكاتبون في موضوع ترجمة القرآن – وهو : أن أهل فارس كتبوا لسلمان الفارسي أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكتبها لهم، فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم، وبعدما كتب عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ما كتب، ثم بعثه، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الخبر لا يستحق الوقوف عنده إذ ملامح الضعف واضحة عليه".

[14] ا المفكر والمترجم محمد حميد الله يذهب إلى أبعد من ذلك في مقدمة ترجمته للقرآن مؤكدا أن العالم الإيطالي "غويدي" تحدث في إحدى محاضراته عن ترجمة إلى الأمازيغية منذ ما يقارب 13 قرنا، ويشير أيضا إلى وجود ترجمات للهندية والفارسية منذ القرون الأولى للإسلام، لكنها تبقى حالات نادرة وصعبة التوثيق لأنه لم يصلنا منها شيء. أنظر جلال الدين بن الطاهر العلوش، أحكام ترجمة القرآن الكريم، دار ابن حزم، بيروت2007م، ص. 5، ويمكن مراجعة تاريخ الترجمات إلى لغات الشعوب الإسلامية مثل الفارسية والأردية والتركية في مقال بليهش العمري، نفس المصدر.

حــزم إلى المعاصــرين من أمثــال الزرقــاني والحجــوي ومصـطفى صـبري والمـراغي وفريـد وجـدي وولـد ددو وغيرهم. وقبـل الـدخول في التحليـل، يلـزم تقـديم بعض النقـاط المشـتركة الـتي تجمـع بين هـذه المسـاهمات النظرية:

1. أن هذه الآراء وردت في الغالب بشكل عارض في سياق الحديث ولم ترد فيها تفصيلات مسهبة أو إحالات تشير إلى إحاطة خاصة بالموضوع، بمعنى أننا لا نجد اهتماما بترجمة القرآن من حيث تأصيل قواعده في علم مستقل، في دليل آخر على الهامشية الواضحة لهذا المبحث في العلوم الإسلامية.
2. أنها لم تتطرق رأسا إلى مسألة ترجمة القرآن الكريم، بل تركزت في غالبيتها على مسألة جواز أو حرمة الترجمة للقراءة في الصلاة اعتبارا للسوابق المذكورة في العصر النبوي، مع بعض التفصيل في مفهوم الترجمة وأنواعها.
3. أنها تتأسس على تصور لساني معين لأنواع الكلام وبالتالي كيفية ترجمته، وهو تقسيم يحتمل مراجعة جدية في العصر الحالي.

هذا ويمكن تقسيم الآراء الفقهية في الموضوع إلى قسمين.

1. موقف الجمهور

إن مراجعة أقوال العلماء التي بلغتنا يمكن أن تنتظم أساسا في تقسيم معين لمعاني الكلام في اللغة العربية و لأنواع الترجمة.

وبخصوص التقسيم الأول، يقول الشاطبي:

"للغة العربية-من حيث هي ألفاظ دالة على معان- نظران:

أحدهما- من جهة-كونها ألفاظا وعبارات مطلقة، وهي الدلالة الأصلية.

والثاني- من جهة-كونها ألفاظا وعبارات مفيدة، دالة على معان خادمة، وهي الدلالة التابعة.

فالجهة الأولى هي التي يشترك فيها جميع الألسنة وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، ولا تختص بأمة دون أخرى، فإنه إذا حصل في الوجود فعل لزيد مثا القيام، تأتى له ما أراد من غير كلفة. (...)

وأما الجهة الثانية، فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار. فإن كل خبر يقتضي في تلك

الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار، بحسب المخبر والمخبر به والمخبر عنه والمخبر به ونفس الإخبار في الحال والمساق ونوع الأسلوب: من الإيضاح والإخفاء والإيجاز والإطناب.. وغير ذلك"

وتبعا لذلك، يرى هذا العالم الأندلسي أنه إذا أمكن نقل القرآن الكريم بلسان غير عربي على الوجه الأول، فإنه " لا يمكن من اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربي بكلام العجم على حال، فضلا عن أن يترجم القرآن وينقل إلى لسان غير عربي، إلا مع فرض استواء اللسانين في اعتباره ما تقدم (...) وإثبات مثل هذا بوجه عسير جدا".

وبناء على ما سبق، تبنى الشاطبي رأي ابن قتيبة، عالم اللغة المشهور، بناء على هذا التقسيم، قائلا" وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة في القرآن- يعني على الوجه الثاني- فأما الوجه الأول فهو ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة (...) وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الإسلام فصار هذا الاتفاق حجة على صحة الترجمة على المعنى الأصلي" [15]

---

[15] ذاكر، نفس المصدر ص. 36-40

ومن ذلك أيضا تقسيم معاصر للزرقاني حول أنماط الترجمة، ليعرج على ترجمة القرآن الكريم، فقد قسمها على النحو التالي:"فالترجمة لغة هي أولا التبليغ، وثانيا تفسير الكلام بلغة غير لغته التي جاء بها، ولذا سمي ابن عباس بترجمان القرآن وثالثا تفسير الكلام بلغة غير لغته، ورابعا نقل الكلام من لغة إلى أخرى، وفي هذه النقطة الرابعة يندرج المعنى العرفي للترجمة: "ومعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده، كأنك نقلت الكلام نفسه من لعته الأولى إلى اللغة الثانية"، ويعلق عليه بالقول:" استحالة الترجمة بهذا المعنى العرفي في القرآن الكريم. أما بالمعنى الأول والثاني والثالث فهي جائزة لأنها "عرض لما يفهمه المفسر من كتاب الله بلغة يفهمها مخاطبه، لا عرض لترجمة القرآن نفسه. وكلاهما حكاية لما يستطاع من المعاني والمقاصد، لا حكاية لجميع المقاصد". [16]

ويجمل العلوش آراء العلماء المسلمين في التقسيم التالي:

[16] ذاكر، نفس المصدر، ص. 44-46

1. الترجمة الحرفية: " يعمد المترجم إلى كل كلمة في اللغة الأصلية ويضع بدلها ما يرادفها في اللغة المترجم إليها مع مراعاة محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه على قدر ما تسمح به قواعد اللغتين وإن أدى ذلك إلى خفاء المعنى المراد في الأصل"
2. الترجمة المعنوية أو الترجمة التفسيرية، بمعنى تفسير الألفاظ دون التقيد الحرفي بالمرادفات[17] وحكم الأولى الاستحالة العادية (لغوية) والشرعية (استحالة وجود ترجمة تعتبر مثلا للقرآن الكريم) "لإن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (الإسراء 77)

وقد نهى عنه علماء المسلمين مثل الزركشي والغزالي وابن حزم والزرقاني والشاطبي والقفال. وبناء على هذا التصور نفسه ينبني قول الفقهاء بعدم جواز قراءة القرآن بغير العربية (في صلاة أو غيرها في مذهب الشافعية مثلا) غير أن الإمام أبا حنيفة قد أجاز هذه القراءة استنادا إلى سابقة الصحابي سلمان الفارسي

[17] العلوش، نفس المصدر، ص. 14.

رضي الله عنه، غير أن بعض الفقهاء من حجم ابن حزم القرطبي ضعفوا هذا الرأي وذهب بعض الباحثين إلى أنه رجع عن هذا الرأي فيما بعد. [18]أما بخصوص التعريف الثاني، فثمة اختلاف في مواقف الداعمين والرافضين، وفيه أيضا تفصيل كثير عن ترجمة تفسير القرآن الكريم[19].

غير أن الدخول الغوص في التفاصيل والتصنيفات والتعاريف لا ينبغي أن يشدنا عن الغاية الأساسية من الإقدام على ترجمة القرآن الكريم وغيره من أعمال الدعوة، مما يتعلق بأداء واجب البلاغ والدعوة إلى العالمين التي وكلت إلى هذه الأمة بكل الوسائل المتاحة.

غير أننا لم نلمس وعيا بهذا البعد الترجمي لدى علماء المسلمين في العصور السابقة وهم يتطرقون لقضية ترجمة القرآن الكريم ومختلف إشكالاتها كما أسلفنا. فالآراء التي سردناها تكاد لا تستحضر هذا البعد في الحكم على الترجمة و لا نكاد نلمس فيها ترغيبا أو رؤية

---

[18] أنظر مثلا العلوش وذاكر (المصادر المذكورة).

[19] لكن الباحث سلطان بن عبد الله الحمدان في بحيث بعنوان "ترجمة القرآن ضوابط وأحكام" منشور على الشبكة العنكبوتية أنجزه في جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، شعبة الحديث والتفسير، بدون تاريخ نشر، ويمكن الاطلاع على الوثيقة عبر محرك البحث غوغل مع وضع عنوان البحيث) يميل إلى تقسيم هذا النوع من الترجمة بدوره إلى نوعين مع نوع من التشدد والتخوف من "تبعات" الترجمة. ص. 8-9.

عامة لأبعاد هذا العمل وعظم منزلته في القيام بواجب الدعوة ليس فقط بالنسبة للمسلمين من غير الناطقين بالعربية (وهم على ما يبدو محل هذه الآراء) بل لغير المسلمين أيضا.

غير أن الرأي الوحيد الذي بلغنا والذي لمسنا فيه بعد الرؤية واستحضار عالمية الرسالة هو ابن تيمية، فهو يقول في إحدى الفتاوى: " ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه كما أمر بذلك الرسول، ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك. وإن تبليغه إلى العجم قد يحتاج إلى ترجمته لهم، فيترجم لهم بحسب الإمكان." ويقول في موضع آخر في نوع الترجمة وطرائقها في تصوره، وبالضبط في الرسالة السبعينية: "ولكن تجوز ترجمته كما يجوز تفسيره وإن لم تجز قراءته بألفاظ التفسير وهي إليه أقرب من ألفاظ الترجمة بلغات أخرى". [20]

وعلى الرغم من أن ابن تيمية يضع الترجمة كما نرى في مرتبة أدنى من التفسير، ولايجيز القراءة به في الصلاة، غير أنه بلا شك أبان عن رؤية حضارية تدرك ضرورات التبليغ قبل الدخول في التصنيفات اللغوية أو الترجمية،

[20] العلوش، المصدر نفسه، ص. 34.

وهو ما يجعل منه مثالا فريدا في هذا الباب. ولا شك أن عالما من قيمة ابن تيمية الفكرية علاوة على السياق الاجتماعي والسياسي الحالك الذي قدر له أن يعيشه من تفكك وانهيار الخلافة والغزو الأجنبي شرقا وغربا. وعلى الرغم من ذلك، فقد تعالى عن النهج الدفاعي البحت واستحضر الطابع العالمي للرسالة للترغيب في الترجمة بوصفها أحد الأدوات الأساسية لتجاوز التعدد اللغوي الذي من شأنه أن يعيق تبليغها.

ولعل هذا التصور السائد، الذي تستلهمه العديد من الدراسات والأبحاث في الموضوع إلى اليوم [21] تنم في باطنها عن تصور معين للنص القرآني من جهة، باعتباره نصا إلهيا معجزا بإطلاق، شكلا ومضمونا، وأنه لا قبل لبشر بأن يأتي بمثله أو بجزء منه، وهذه النقطة تشكل محل إجماع لا خلاف بشأنه. غير أن مدار الخلاف يكمن في مفهوم اللغة أولا وما يستتبعه في مجال الترجمة، ولماهية الترجمة من جهة أخرى، وقد تم تقسيم الترجمة عموما إلى نوعين أو أكثر تبعا للتقسيم اللغوي الأول، وهذا هو الموقف السائد على ما فيه من نظر في

[21] أنظر مثلا محمد بهاء الدين حسين، ترجمة القرآن الكريم، حكمها ورأي العلماء فيها، مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، عدد33 المجلد الثالث، ديسمبر.- 2006م (ص133-144).

مستنده ونتائجه على ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى. غير أن هذا الموقف في الوقت الحالي لا يصمد أمام أدنى تحليل نقدي جاد، سواء انطلقنا من نظريات الترجمة المعاصرة أو من الممارسة الترجمية في مستوياتها المهنية. فأي دارس للترجمة أو ممارس لها على نحو مهني يسهل أن يكتشف بسهولة أن تقسيم الترجمات إلى حرفية ومعنوية ليس تصنيفا نوعيا بل إجرائي، بمعنى أننا نتحدث عن حلول ترجمية إزاء عبارات أو مقاطع معينة وليس منهجية عامة يتم تطبيقها بشكل منهجي، خصوصا في نص كبير ومتعدد المستويات الاصطلاحية والدلالية والتداولية (وأنها لا متناهية بحكم مصدرها الإلهي المطلق والمتعالي والكوني على حد تعبير طه عبد الرحمن). وعليه، نعتقد أنه من الأجدى في دراسة البعد التاريخي البحث في طرائق ومجالات الترجمة التي كانت سائدة في العصور التي تمت فيها صياغة هذه التصورات، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول الفقهاء. فلا ريب أنه كانت لدى علماء المسلمين، ممن لم يكونوا يعملون بالترجمة فكرة أو تصور مسبق انطلاقا من اطلاعهم العلمي أو اتصالهم بالمترجمين في عصرهم وطرق عملهم.

وإن كان رأي ابن تيمية الاستثناء الذي يثبت القاعدة كما يقال، فإن العصور الحديثة حملت العديد من المستجدات لإعادة النظر في الرؤية التقليدية للحكم على ترجمة القرآن الكريم.

ترجمة القرآن الكريم في العصر الحديث:

إرهاصات النهوض

غير أنه إذا كان النقاش في العصور الأولى يفتقر إلى حد كبير إلى واقع ترجمي يمكن أن يشكل سياقا موضوعيا للتفكير والحكم عليه(في إطار سياق عام يتسم بضعف حجم النشاط عموما كما أسلفنا)، فإن القرن العشرين والحادي والعشرين الذي نعيشه شهدا مجموعة من التحولات.

فقد حدثت مجموعة من الجدالات، بل المواجهات داخل هذه النخب أو المواجهات مع السلطة التي سببت النفي والتخلي عن مناصب رفيعة في الدولة، وذلك في خضم التحولات التي شهدها العالم الإسلامي في بدايات القرن العشرين وتنامي المد الاستعماري ماديا وفكريا بعد إلغاء الخلافة العثمانية وتنامي المد القومي في تركيا[22]، وفي

[22] للتوسع في هذه النقطة، راجع دراسة د. الفوزان (2002) المذكورة، ص. 18، ويؤكد د. الفوزان أن هذه الترجمة كانت لها نية مبيتة، وهي رغبة قومية متعصبة ملحدة لسلخ الشعب التركي عن أي صلة مع العربية تمهيدا لسلخه عن دين الإسلام، خصوصا أنه تزامن مع مجموعة من القرارات مثل منع الأذان في المساجد، ومنع استخدام القرآن الكريم باللغة العربية في الصلاة ومنع اللباس التقليدي التركي. كل هذه القرارات تجعل

مصر بعد ذلك على خلفية الخلافات بين علماء الأزهر الشريف بين المتأثرين بالنزعات الغربية والمحافظين[23].

ومن جهة أخرى، بدأت النقاشات تخرج من الإطار الشرعي البحت لتشهد مجموعة من الدراسات المهمة على يد أخصائيين ودارسين للترجمة.

وعليه، فعلى الرغم من كون الجدل الذي رافق ترجمة القرآن الكريم قد تزامن في الوقت والأطراف التي تمثل المواقف المتقابلة في كل من تركيا ومصر، غير الاختلاف بين السياق كان بينا، ما بين بلد شهد تغيرا جذريا في الحكم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، فقد تم إلغاء الخلافة العثمانية والإعلان عن ميلاد الجمهورية التركية سنة 1922، وبدأت معه حملة مؤسسية رسمية ذات طابع قومي علماني متطرف ومنغلق فيما يرتبط باللغة (تغيير الأبجدية التركية من الحروف العربية إلى

النقاش يأخذ منحى آخر، إذ أن الأمر لم يعد يتعلق فقط بالترجمة بإطلاق بل بنزعة سياسية معادية للدين بإطلاق تستخدم الترجمة للقطع مع الماضي الإمبراطوري العثماني ووضع الشعب التركي في بوتقة الدولة القومية على النمط الأوروبي، وهو ما تمت مواجهته من قبل كبار المراجع الإسلامية. وسنعود لنقاش هذه النقطة في الخلاصات النهائية لهذا الكتاب.

[23] والواقع أن المطلع على طبيعة السجال في مصر، يدرك أنه يكاد يكون ذا طابع أكاديمي بحت، ولو أن الخلفية الفكرية المنفتحة على الفكر الغربي لبعض النخب الأزهرية مثل الشيخ المراغي قد ساهمت في إذكاء السجال وتحويل ترجمة القرآن الكريم إلى ساحة للمعركة الفكرية بين التيار "الإصلاحي" والتيار "المحافظ"، ليتم التوصل في الخير إلى صيغة توافقية جعلت الأزهر من أول المؤسسات الأكاديمية الدينية الرسمية في العالم الإسلامي التي تقوم بإعداد ونشر ترجمات للقرآن الكريم. لتفاصيل أكثر على مجريات هذا الخلاف ومراحله، يمكن الاطلاع على مقال الباحث في الشؤون الإسلامية صلاح عبد الرزاق في مقال بعنوان "ترجمة القرآن الكريم: من التحريم إلى الجواز" على الرابط التالي:
http://www.al-bayyna.com/modules.php?name=News&file=article&sid=45522

الحروف اللاتينية) أو المجال الديني التعبدي للغالبية المسلمة (وقف الأذان ومنع أداء الصلاة بجامع آيا صوفيا في (21 من فبراير 1925م)، وهو المكان الذي يحتل مكانة كبيرة جدا بنفوس الأتراك باعتباره رمزا لفتح القسطنطينية وإلحاقها بالجغرافيا الإسلامية وفي يوم (21 من فبراير 1925م) حيث قررت الحكومة التركية بقيادة أتاتورك قراءة القرآن الكريم باللغة التركية بدلا من العربية، وقرئت هذه الترجمة بدلا من النص الأصلي العربي على المسامع بالجوامع).

غير أن السياق التركي الذي يبدو من خلاله واضحا أن ثمة خلافا بين رؤيتين مختلفتين تماما للبلد: رؤية تعتبر تركيا جزء من العالم الإسلامي (بل هي من حمل لواء الخلافة منذ سبعة قرون)، وعليه، فإن تعاملها مع القرآن الكريم لا يجب أن يخرج عما سار عليه البلد قبل إعلان الجمهورية؛ أما النظرة الثانية فقد كانت قومية علمانية متطرفة تقدم على حملة منظمة للقطع مع الماضي الإمبراطوري للبلد بكل مظاهره. وبالتالي فإن التهديد الذي كانت تستشعره بعض النخب الدينية على مكونات تعتبرها اساسية في هوية الشعب التركي كان له ما يبرره في الواقع.

أما مصر فقد كانت تعيش في ظل "استقلال منقوص" عقب معاهدة 1920 التي تلت ثورة 1919 ، والتي حافظت للإنجليز على العديد من الامتيازات، ولم يكن يمت بأي صلة بالسياق التركي الذي كانت فيه الجرافة الأتاتوركية تعمل بأقصى طاقتها. بل إن طبيعة هذه السجالات تمنح انطباعا بأن الأمر كان يتعلق بهواجس النخب الدينية المصرية، التي دخلت غمار هذه القضية، وصراعاتها بين المحافظين والمعتدلين دون أن ننسى تأثير الواقع التركي، أكثر من كونها نتيجة لواقع اجتماعي ملح مثل الحالة التركية.[24]

وعلى أي حال، فإن هذه المناقشة التي ظهرت في تركيا انتشرت في بلدان العالم الإسـلامي ولاسـيما في مصـر، لأنها مهيأة لمناقشة هذه المسائل أكثر من بلـدان أخـرى من العالم الإسلامي. وقد ساهمت شخصية تركيـة بـارزة من قيمة الشيخ مصطفى صبري في النقاش، فقـد ألـف كتـاب "مسـألة ترجمـة القـرآن" في مئـة وثلاثين صـفحة سنة1931م، وقد ناقش فيه حجج كل من الشـيخ محمـد

[24] وقد جاء قرار الحكومة التركية بعد جدل طويل حول ترجمة معاني القرآن الكريم للتركية التي كانت قد بدأت قبل العصر الجمهوري. ومع تصاعد المد القومي التركي، وبالرغم من أن شيخ الإسلام موسى كاظم وأحمد جودت باشا أيّدا مسألة ترجمة معاني القرآن الكريم للتركية؛ فقد ظهرت حركة معارضة في تلك الأوقات؛ حيث رفضها شيخ الإسلام مصطفى صبري، وردّ على المطالبين بها. للمزيد من الاطلاع، راجع الباحث التركي عبد الله مناظ في كتاب له بعنوان **"Ataturk Inkilaplari ve Islam"** انقلابات أتاتورك والإسلام (1995) المنشور بإزمير.

مصطفى المراغي ومحمد فريد وجدي في جـواز ترجمـة القـرآن والتعبـد بهـا في الصـلاة، وبيَّن فسـاد ذلـك من الناحية الشرعية بأدلة كثـير قويـة، منبهًـا على مـا يـترتب على المسألة من أخطار. [25]

والواقع أن المطلع على طبيعة السجال في مصر، يدرك أنه ذو طابع أكاديمي بحت، ولو أن الخلفية الفكرية المنفتحة على الفكر الغربي لبعض النخب الأزهرية مثل الشيخ المراغي قد ساهمت في إذكاء السجال وتحويل ترجمة القرآن الكريم إلى ساحة للمعركة الفكرية بين التيار "الإصلاحي" والتيار "المحافظ"، ليتم التوصل في الخير إلى صيغة توافقية جعلت الأزهر من أول المؤسسات الأكاديمية الدينية الرسمية في العالم الإسلامي التي تقوم بإعداد ونشر ترجمات للقرآن الكريم[26].

---

[25] أنظر كرموش، المصدر نفسه، ص. 20.

[26] والشيخ محمد مصطفى المراغي ، الذي تحمس لترجمته تحمسا منقطع النظير ، ونشر بحثا عن ترجمة القرآن الكريم وأحكامها ، وقدم لهذا البحث بكلام للإمام الشاطبي في كتاب الموافقات يفيد أن اللغة العربية من حيث هي ألفاظ دالة لها معنيان : أولي ، وثانوي ، فالأولي كقيام زيد الذي لا يمكن أن تختلف في التعبير عنه لغة من اللغات ، والثانوي ما يزيد على ذلك من الاهتمام بالقيام وحده ، أو بالقائم ، أو إجابة السائل ، أو الرد على المنكر ، أو غير ذلك من الأسرار البلاغية التي تقتضيك التعريف أو التنكير ، والتقديم أو التأخير ، وما شاكل ذلك من الأساليب التي توجبها الحال ، وتحتمها المناسبة ، فالمعاني الأولية لا يمكن أن تفسدها الترجمة ، ولا أن يشوهها النقل ، ولا أن تطول فيها مسافة الخلف بين اللفظ والمعنى ، والمعاني الثانوية هي التي يتفاوت في دقة تصويرها ، وروعة التعبير عنها ، وجمال أسلوبها ، فحول البلغاء أو أساطين الكلام ، كما تختلف في نقلها وصوغ الألفاظ المعبرة عنها اللغات ، وعلى هذا فالمعاني الأولية في القرآن يمكن ترجمتها إلى أية لغة من اللغات ، وأما المعاني الثانوية فلا (عبد الرازق، المصدر نفسه) . ويمكن أن نستنتج بسهولة أن البحث ينهل من التصور التقليدي للترجمة عند العرب الذي عرضناه مفصلا عند العلوش.

وكان من مؤيدي الشيخ المراغي محمد فريد وجدي ، الذي كان في ذلك الوقت مديرا لمجلة الأزهر ، وقد جمع وجدي آراءه في بحث أكبر من بحث الشيخ المراغي ونشره بعنوان " الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية " وأخرجه في ملحق العدد الثاني من مجلة الأزهر ، وعني فيه بالرد على المعارضين وخاصة فضيلة الشيخ محمد سليمان ، وفضيلة الشيخ محمد مصطفى الشاطر (ذاكر، 1998) ، وقد كتب على غلافه : ردود علمية على الذين يذهبون إلى عدم جواز ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، تصحيحا للترجمات الموجودة وتدعيما للدعوة الإسلامية، ودحضا لجميع الشبهات التي يثيرها بعض الكتاب على هذا العمل الجليل ، وقد انتهى الأمر بعد طول النقاش والحوار إلى أن قررت مشيخة الأزهر وضع تفسير عربي دقيق تمهيدا لترجمته ترجمة دقيقة بواسطة لجنة فنية مختارة ، واجتمعت لجنة التفسير بضع مرات برئاسة مفتي مصر في ذلك الوقت ووضعت دستورا تلتزمه في عملها العظيم ، ثم بعثت بهذا الدستور إلى كبار العلماء

والجماعـات الإسـلامية في الأقطـار الأخـرى تسـتطلع آراءهم في هذا الدستور ، رغبـة منهـا في أن يخـرج هـذا التفسير العربي في صورة ما أجمـع عليـه الأئمـة . ورأت اللجنة بعـد ذلـك أن تضـع قواعـد خاصـة بالطريقـة الـتي تتبعها في تفسير معاني القرآن الكـريم ، وقـد خـرج فعلا إلى حيز الوجود هذا التفسير الـذي سـمي "المنتخب في تفسـير القـرآن الكـريم " وقـد طبعـه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، وكتب في مقدمته مـا يفيـد أنه تفسير مختصر محـرر كتب بالعربيـة تمهيـدا لترجمتـه إلى اللغات الأجنبية.[27]

لكننا، وبكل إنصاف علمي بعيد عن كل تحيز أو عصبية، لم نجد رأيا كرأي العالم المغربي، ووزير الشؤون الإسلامية المغربي في صدر القرن العشرين، الحجوي الثعالبي انتصارا للترجمة وتأسيسا لها من كل النواحي: التشديد على أهميتها أداة للدعوة ومشروعيتها من خلال مناقشة آراء الفقهاء في تأصيل فقهي مسهب، واشتراطاتها، ليختم بطريقة القيام بها بشكل منظم ومؤسسي.

---

[27] عبد الرازق، المصدر نفسه، 2005.

ففي النقطة الأولى، يستهل الحجوي كلامه بدحض بعض الشبهات التي تدعم مقولات المتحفظين على الترجمة: "زُعم أن الإسلام ألزم الناس العربية وتعلمها، ونَبَذَ ألسنتهم ومنعهم من ترجمة القرآن العظيم، وهذه الشنعة تكفلت بردها والتشنيع بها، فقد برهنت فيه على أن الدين لا يلزم الأمم التي دخلت في الإسلام التكلم بالعربية، بدليل بقائها إلى الآن تتكلم بألسنها، وما منع ترجمة القرآن أصلاً ولا ورد المنع في كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس"[28].

وبعدها ينتقل العلامة الحجوي إلى التأكيد بكل وضوح على رأيه في ترجمة القرآن الكريم: "إن ترجمته من الأمور المرغب فيها، بل يصح لنا أن نقول: إنها من فروض الكفاية التي يجب على الأمة القيام بها، فإذا قام بها البعض سقط عن الباقين، وإن لم يقم بها أحد أثم الكل، برهان ذلك: انه تبليغ عن سول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: "... فليبلغ الشاهد الغائب". وقال "بلغوا عني ولو آية" وقد أوجب الله على رسوله التبيلغ فقال:] يَا أَيَّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ

[28] كتاب "حكم ترجمة القرآن العظيم" للعلامة الحجوي الفاسي، المنشور سنة 1931، تم نشره مشفوعا بالدراسة المنشورة تحت عنوان "تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها"، إعداد د. محمد حمادي الفقير التمسماني، مطابع الشويخ، تطوان، 2011، غير أن المقال الذي بين يدينا، المنشور سنة 1933 في مجلة المغرب يلخص بشكل أو بآخر رأي العالم المغربي في هذه القضية.

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه[(المائدة:67) فهو بلغ للعرب بلسانهم]وَمَا أَرْسَ لْنَا مِنْ رِسُوْلٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ[(إبراهيم:5) ويجب على العرب أن ينوبوا عنه، ويبلغوا لغيرهم من الأمم، فلذا قال لهم: "بلغوا عني ولو آية" ولا يمكن التبليغ لجميع الأمم إلا بالترجمة إلى لسانهم".

أمـا عن أشـراط الترجمـة، فهـو يقسـمها إلى نـوعين:"ـ ترجمة القرآن، أو بعض آياته والتعبير عن جميـع المعـاني المقصـود إليهـا من ذلـك غـير ممكن، وترجمتـه -أو بعض آياتـه- ترجمـة حرفيـة غـير جـائزة؛ لمـا فيهـا من إحالـة المعاني وتحريفها. أما ترجمة الإنسان ما فهمه من معنى آية، أو أكثر وتعبيره عمـا فهمـه من أحكامـه وآدابـه بلغـة إنجليزية، أو فرنسية، أو فارسـية- مثلا- لينشـر مـا فهمـه من القرآن، ويـدعو النـاس إليـه، فهـو جـائز، كمـا يفسـر الإنسان ما فهمه من القرآن، أو آيات منه باللغة العربيـة، وذلك بشرط: أن يكون أهلا لتفسير القرآن، وعنده قـدرة على التعبير عما فهمه من الأحكام والآداب بدقة".[29]

[29] الفتوى رقم 42 ، الصادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية، يمكن الاطلاع عليه في موقع مركب الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، www.qurancomplex.org/.

على أنــه يؤكــد على مكانــة الترجمــة مقارنــة بــالقرآن الكريم: "غير أنا لا نسمي ترجمة القرآن قرآنا، إذ لا نأمن معها عدم الوفاء بالمقصود من اللفظ المنزل".

أما فيما يخص الجـانب التنظيمي، فقـد أكـد الحجـوي أن "من الواجب ترجمة القرآن العظيم لجميع اللغات ترجمة موفقة بقدر الإمكان" ولبلوغ هذا الهدف الأسـمى اقـترح الحجـوي على أمم الإسـلام تشـكيل لجنــة من فطاحــل العلماء والمترجمين لنقل القرآن إلى سائر اللغـات ونقـد الترجمات الموجودة منه لإصـلاحها وفحص أغلاطهـا. كمـا اقترح أن تكون هـذه اللجنـة أحـد فـروع جمعيـة الدعايـة الإسلامية. [30]

وفي نفس السياق، وجبت الإشـارة إلى إسـهام أحـد أهم الشخصــيات العلميــة المغربيــة في القــرن العشــرين، العلامة عبد الله كنون، الذي كان مدركا لضرورة الإقــدام على الترجمة خدمة للدعوة الإسلامية، مع مراعاة جــانب الكفاءة اللغوية والمعرفية اللازمة للمـترجم للقيـام بهـذه المهمة على أكمل وجه، وقد كتب في هذا الصــدد: " من المشـكلات الـتي تواجـه الـدعوة الإسـلامية في العصـر الحاضر: ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبيـة، ذلـك

[30] ذاكر، نفس المصدر، ص. 49-52.

أن القــرآن -كمــا هــو معــروف- في القمــة من البلاغــة العربية، ولأجل النفاذ إلى أسـراره، وفهم مقاصـده، يجب أن يكــون المــترجم ممن لهم تضــلع في قواعــد اللغــة العربية نحوا ولغة وبيانا، وذلك فضلا عن المعرفـة بعلـوم القرآن وأسباب النزول والفقه والحديث والتفسير...." [31]

وفي نفس الاتجــاه الترغيــبي والترشــيدي، لكن بعمــق فلسفي كبير، فإن من أحـدث مـا بلغنـا محاولـة تنظيريـة منهجية لترجمة القرآن الكريم في كتاب "سؤال العمــل" (2012) للفيلسـوف طـه عبـد الـرحمن. والحـق أن هـذا النص من شـأنه أن يكـون أساسـا فلسـفيا متينـا لنظريـة ترجمية قرآنية خاصـة نظـرا للاطلاع الكبـير للكـاتب على نظرية الترجمـة وممارسـتها من وجهـة النظـر الفلسـفية وكــذا استحضــاره لثــوابت اعتبــار القــرآن الكــريم في الحضارة الإسلامية.

ينطلق طـه عبـد الـرحمن من تعريـف تـداولي وتواصـلي واضح للترجمة عندما يقول: "معلوم أن ترجمة الخطــاب ممارســة علميــة صــريحة، إذ تبحث في عمليــات الفهم والتأويل والإنشاء التي ينطوي عليها نقل القـول من لغـة

[31] 31. عبد الله كنون، منطلقات إسلامية، دون تاريخ نشر، ص. 182، أوردته د. كريمة الليحياوي (2015) ص. .

إلى قـول نظـير في لغـة أخـرى، وتتبـع في هـذا النقـل طرائق وأساليب مقررة وقواعد وقوانين محددة"

أما الخطاب القرآني، فتعريفه ينطوي على عدم انفصـال العلم عن العمـل الـذي يعتـبر الفكـرة الجوهريـة لكتابـه، فهو"كلام عملي بالصـورة المثلى، فلم يـنزل إلى النـاس إلا لكي يتعبدوا به للحق سبحانه ولا تعبد بغـير تغلغـل في العمل".

أما عن اعتبار النص الأصلي وعلاقته بالترجمة، فقد اختار له مفهومي: "الثقل" مقابل "الخفة" للدلالة على الفــرق بين الطابع المطلـق للنص القـرآني والنسـبي بالضـرورة للترجمة، والذي يعبر عنـه على الشـكل التـالي: "مـدلول الثقــل في القــول الأعلى انطلاقــا من قولــه ســبحانه وتعالى: "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا".[32]

ويفصل عبد الرحمن أركان هذا الثقـل الـتي يوجزهـا في ثلاث:

1. **التعالي**: الملقي ذات قدسية تلقي القول من خـارج عالم الحس، لكنها تخاطب كائنات حسية، وبالتالي تخلـق كلاما حسيا "متعاليا".

---

[32] عبد الرحمن 2012، ص. 191.

2. **السعة واللاتناهي**: كلام لا ينفد ولا يبلى ولا يحصى ولا يمل:.

3. **الكونية**: الملقى عليه هو مجموعة من العوالم الممكنة، أو قل الخلق كله، ممثلا في شخص الرسول الكريم، بما في ذلك عالم الجمادات التي لا تقرؤه كما يقرؤه البشر لكنها تصغي إليه فتهوي خاشعة ساجدة.

أما الترجمة، فهي تغدو بذلك "قولا خفيف غير متعال ومضمونه متناه ومتلقيه غير كوني"، وإن كانت هذه المفارقة عامة في الترجمة، فهي تبلغ مداها في الحالة القرآنية:"الترجمة قول أخف عموما من الأصل، فإنها في حالة القرآن الكريم تبلغ منتهى الخفة مقابل الثقل اللامتناهي للقول القرآني"[33].

أما بخصوص طرائق الترجمة، فيؤكد أن ثمة ثلاثة أنواع للترجمة للنص الفلسفي

- الترجمة التحصيلية: نقل لفظ بلفظ.
- الترجمة التوصيلية: معنى بمعنى.
- الترجمة التأصيلية: التصرف في المضمون لفظا ومعنى بما يراعي مقتضيات استيعاب المتلقي لها والانتفاع بها.[34]

---

33 عبد الرحمن 2012، ص. 192.

34 عبد الرحمن (نفس المصدر،ص. 195)

هذا ويؤكد عبد الرحمن أن هذا النـوع الثـالث هـو الأصـلح لترجمة القرآن الكريم، ويفصل في اركانـه قبـل أن يختم بالعبارة التالية:

"القول الخفيف ليس قرآنا كما هو القول الثقيل، فينتفي عنه كل ما يثبت لهذا فلا يصلح للعبادات ولا تجزئ قراءته في الصلوات، ولا تستنبط منه الأحكـام والتشـريعات، ولا تعد تلاوته ولا ترتيلـه ولا حفظـه من الطاعـات؛ وأمـا من جهة الباطن، فـإن القـول الخفيـف ليس أنـوارا زكيـة ولا أسرارا خفية كما هو القول الثقيل، فلا تـرتقي بـه الـروح في المنــازل الســنية، ولا تفيض منــه على القلب أيــة معارف خاصة (...)"[35]

والواقع أن الفصل الخاص الـذي يفـرده هـذا الفيلسـوف طـه عبـد الـرحمن يمكن اعتبـاره بحـق تأصـيلا فلسـفيا للنظــرة الإســلامية لترجمــة القــرآن الكــريم يــراعي مقتضياته العقدية وأهدافه التداولية ويجعـل من الترجمـة عملا هداية وتقرب مـدمجا فيـه بعـدا روحانيـا يجعلـه في قلب العملية الدعوية والبلاغية، وليس فقط عملا "تقنيـا" لغويا ودلاليا.

---

[35] عبد الرحمن (نفس المصدر،ص. 201)

وهو ما يجعل منه بلا ريب أساسا ومرجعا فريدا لتأسـيس نظرية إسلامية لترجمة القرآن الكريم.

وفي نفس الاتجاه، ننتقل إلى استعراض موجز للجهد التنظيري من قبل مجموعة من الباحثين في مجالات مختلفة، خصوصا في اللسانيات وفقه اللغات والمؤسسات الحكومية والأكاديمية.

وفي هذا المجال، يقول د.وليد بن بليهش العمري، مــدير تحريــر مجلــة الدراســات القرآنيــة بمجمــع الملــك فهــد لترجمة القرآن الكريم في المدينة المنـورة أنـه "لا يسـع الباحث المنصف أن ينكـر عـدد الأعمـال البحثيـة الكبـيرة من المقــالات، والبحــوث[36]، والكتب، والرســائل العلميــة الــتي تُعـنى بترجمـة معـاني القـرآن الكـريم [37]، والـتي تم نشــرها في مجلات متخصصــة في الموضــوع، وكــذا في مختلـف المواقـع الإلكترونيـة المتخصصـة في المواضـيع

[36] يمكن أن نذكر في هذا السياق أطروحة الأستاذ محمد برادة في لنيل الدكتوراه حول ترجمة القرآن الكريم، وفي مقدمة نسختها المنشورة يشير الأستاذ المتخصص في نظرية الترجمة الأستاذ محمد المذكوري لأطروحة إلى أن هذا العمل الأكاديمي من بين الأعمال الرائدة من وجهة نظر المنهجية التحليلية المعتمدة في مجال الدراسات الترجمية التي تهتم بترجمة القرآن الكريم. وهذه الإشارة ذات قيمة حيث تشير بشكل غير مباشر إلى قلة الدراسات والمراجع التي اهتمت بترجمة القرآن الكريم من وجهة نظر الدراسات الترجمية الحديثة.

[37] يذكر مركز ترجمة القرآن المجيد التابع لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية الإيرانية أنهم جمعوا ما يقارب 800 عنواناً لما كتب في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات، وعنوان الموقع هو: www.cthq.irhtt p://، إلا أننا لم نر ببليوجرافيا بهذه العناوين مطبوعة حتى الآن ولم تُنشر في موقع المركز على الإنترنت. وقد قام محمد علي أبو شيشع بجمع ببليوجرافيا منتخبة لما كتب في موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغات الأوروبية وتحتوي على ما يقارب 102 عنواناً، انظر:
.Journal of the Society of Qur’anic Studies, Issue No. 2, Vol. 1, 2001

الإسلامية[38] وأخـرى مهتمـة بمواضـيع الترجمـة سـواء في العـالم العـربي والإسـلامي أو في مختلـف بلـدان أوروبـا وأمريكا من قبيل مجلـة "ترجمـان الـوحي" الصـادرة عن مركز ترجمة القرآن المجيد بـإيران، والـتي تعـد الوحيـدة في العالم المتخصصة في ترجمة القـرآن الكـريم، علاوة على العديـد من المجلات العلميـة الـتي تعـنى بـالقرآن الكريم وعلومه عموماً، مثل مجلة "الدراسـات القرآنيـة" الصادرة عن كلية الدراسات الشـرق أوسـطية والشـمال أفريقيـة (SOAS) بجامعـة لنـدن، ومجلات الجمعيـات المتخصصة مثل جمعية الدراسات القرآنية (Society of Qur’anic Studies)، وأخـرى تعـنى بالدراسـات الإسـلامية مثـل المجلـة الفصـلية الإسـلامية (Islamic Quarterly) الصـادرة في لنـدن بـإنجلترا، ومجلـة الدراسات الإسـلامية (Islamic Studies) الصـادرة في إسلام آباد بباكستان، ومجلـة Islamic Book Review الـتي تعـنى بمراجعـات الكتابـات المتعلقـة بالدراسـات الإسـلامية، ومجلـة Hamdard Islamicus، ومجلـة

---

[38] وتبقى هذه المواقع الإلكترونية أرضية جيدة للاطلاع على البحوث المنشورة في هذا الموضوع، ونذكر من أهمها موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة www.qurancomplex.gov.sa أو أو مواقع دعوية عامة مثل www.islamweb.net أو www.islamhouse.com .

الثقافـة الإسـلامية Islamic Culture، ومجلـة الأزهـر، ومجلة رابطة العالم الإسلامي، وكـذا مجلات استشـراقية مثل مجلـة "الإسـلام والعلاقـات المسـيحية الإسـلامية" (Islam and Muslim Christian Relations) الصادرة في برمنجهـام بـإنجلترا، ومجلـة الدراسـات الشـرقية الأمريكيـة (Journal of the American Oriental Studies)، والمجلات المهتمة بمجال دراسـات الترجمـة عمومـاً، مثـل مجلـة "الترجمـان" الصـادرة عن مدرسـة الملك فهد العليا للترجمـة بـالمغرب، ومجلـة Offshoot، ومجلـة Babel، ومجلـة Meta. كمـا أن وحـدة البحث بمركز الترجمات بمجمـع الملـك فهـد لطباعـة المصـحف الشريف برصد كل ما يصدر في موضـوع ترجمـة معـاني القرآن الكريم في شتى الأوعية العلمية، وتقوم بإدخالهـا في قاعدة بيانات خاصة، ومن الملاحظ أن عدد الرسـائل العلمية الـتي تم طرحهـا في الموضـوع لا يتعـدى العشـر جلها قدم في الجامعات البريطانية والأمريكية.[39]

كما تم في العقود الأخيرة عقد عدة ندوات ومؤتمرات للتباحث في قضايا ترجمة القرآن الكريم في أرجاء العالم الإسلامي، ومن أهمها الندوة العالمية حول

---

[39] (العمري، نفس المصدر، 2005)

ترجمات معاني القرآن الكريم، المنعقدة بإصطنبول عام 1986م، بالتعاون بين مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة والإسلامية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية (الليبية)، ونُشرت بحوث الندوة باللغتين العربية والإنجليزية، وندوة "ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل"، المنعقدة في المدينة المنورة في عام 2002م، ونظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وقُدمت في الندوة أوراق عمل جادة في شتى أوجه ترجمة معاني القرآن الكريم، وطبعت بحوث الندوة ووزعت على نطاق واسع[40]، عقد الأزهر مؤخراً - في شهر سبتمبر 2004- ندوة حول ترجمة معاني القرآن الكريم [41].

هذا وتقام العديد من الندوات والموائد المستديرة والأيام الدراسية كل سنة في مختلف شعب ومراكز تدريس اللغات والترجمة في أنحاء العالم الإسلامي من قبيل مؤتمر "ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات

---

[40] نود أن ننوه في هذا الصدد بأن أعمال هذه الندوة موجودة على الشبكة العنكبوتية، وهي مبادرة جد مفيدة من الناحية العملية بالنسبة للباحثين، فهي تتيح الاطلاع عليها على نطاق واسع جغرافيا وزمنيا، فالنشر الورقي يبقى محدودا في نطاق الانتشار في بلد معين وتزداد صعوبة الحصول على الوثائق العلمية بمرور الزمن، بينما الشبكة تتيح إمكانات هائلة للولوج إلى الوثيقة والتواصل مع الباحثين، أفرادا ومؤسسات. وعليه نجدد مطلبنا أو مسعانا لتكوين مكتبة إلكترونية للباحثين في ترجمة القرآن الكريم.

[41] العمري، نفس المصدر.

الأجنبية" التي أقيمت يومي 27 و28 أبريل 2011 بمدينة وجدة المغربية.

هذا ويمكن تقسيم المحاور الكبرى لهذا الجهد التنظيري على الشكل التالي:

- كتب أو مقالات تنظيرية بحتة في قضايا ترجمة القرآن الكريم، وهي قليلة العدد عموما (أنظر تقييم العمري 2005 مثلا)[42].
- مقالات وبحوث أكاديمية[43] حول ترجمة القرآن إلى لغة معينة، غير أنه تم القيام بها من قبل جهات إسلامية[44].
- مقالات وبحوث في شكل تقارير حول على ترجمات المستشرقين، أغلبها تمت صياغتها بلغة "تنديدية" بطرائق الترجمة والنيات المبيتة خلف هذه الأعمال الترجمية[45].

---

[42] نذكر من بينها كلا من كتاب العلوش (2007) و مقالات عسام (2006-2016-2017)وابن شقرون (2002) وغيرها .

[43] يمكن التنويه إلى أن الكثير من البحوث والأطروحات الجامعية (ننوه في هذا الصدد بأطروحة د. محمد برادة (2005) أو حراك (2012) فيما يتعلق باللغة الإسبانية والكطلانية مثلا) والمقالات التي تهتم بالترجمة إلى لغة معينة، لكنها تضم مواضيع نظرية مهمة ومقاربات من زوايا نظريات حديثة في مجال الترجمة مثل الرشيدي (2005) والحسيسي (1993)، و اللحياوي (2015) و سميج (2017).

[44] يخصص موقع مركب الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على سبيل المثال زاوية لترجمات معاني القرآن الكريم، تضم زوايا فرعية مثل "أخبار الترجمات الجديدة" و"الترجمات غير الصحيحة".

[45] من أمثلة هذه المقالات في الزاوية المذكورة في الهامش السابق: "دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية التي أعدها ريجيس بلاشير للشيخ فودي سوريبا كمارا" أو مقال " ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك الدكتور: حسن بن إدريس عزوزي" أو مقال "مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريات الترجمة الحديثة دراسة لنماذج مختارة" لمحمود محمد حجاج

هذا ويمكن التعليق بعجالة على هذا الجهد التنظيري بأنه مفيد وواعد، وثمة بعض الدراسات التي تتضمن مناهج ومقاربات معاصرة من شأنها تقديم رؤية جديدة لترجمة القرآن الكريم، طرقها وأثرها وسياقها العام مثل الرشيدي والجمهور والبطل أو عطا الله أو الحراك.

الخلاصات

في نهاية هذا البحث، نود أن نختم بمجموعة من الخلاصات حول الموضوع:

- يمكن الزعم من خلال النصوص التي بلغتنا والنقاشات التي جرت فيما بعد حول طبيعة مقاربة هذه القضية في العصر الإسلامي الأول حول اعتبار أداتي بحت، سواء فيما يخص تعلم لغات أخرى والقيام بالترجمة خدمة للدعوة وتكوين الدولة الإسلامية، أو استخدام آيات في المراسلات الرسمية لمحمد صلى الله عليه وسلم مع ملوك الإمبراطوريات المجاورة لدعوتهم إلى الإسلام، وكما قال الحجوي، لا يوجد فيه ما يدل على الحرمة أو التحفظ في الأثر.

رشيدي، أو الحوار الذي أجري مع د. زينب عبد العزيز الذي تبرز فيه مثالب ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم، وبحث د. محمد خير بن محمود البقاعي، ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، رينيه خوام، وأندريه شوراكي، وجاك بيرك نموذجاً، وغيرها.

وعليه، وجب البحث عن أسباب التحفظ في عوامل بنيوية معرفية في الحضارة الإسلامية إضافة إلى أخرى تاريخية جعلت الاهتمام بالترجمة، والدعوة عموما: - فيما يخص طبيعة الوضع الخاص لعلاقة اللغة العربية بالقرآن الكريم، نود أن نشدد على أن الطابع المعجز ذو مكون لغوي مندمج، وبالتالي يكون لزاما إتقان اللغة العربية عبر حفظ القرآن الكريم أولا، وتحصيل علوم اللغة العربية الضرورية لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، جعل تكوين النخب الدينية يتم باللغة العربية بالضرورة، وبالتالي فدور الترجمة يقوم به هؤلاء العلماء أنفسهم في التبليغ للمسلمين غير المتقنين للغة العربية[46]. علاوة على ذلك، فثمة عامل تاريخي يتمثل في كون اللغة العربية تحولت إلى لغة العلم والثقافة للشعوب في العالم الإسلامي المترامي الأطراف، ولغة مهيمنة ودافعة في مختلف العلوم، يترجم إليها أكثر مما يترجم منها. وهذان العاملان في نظرنا أساسيان لتفيسر ضعف الحاجة إلى ترجمة القرآن الكريم، والنصوص المؤسسة للتشريع الإسلامي عموما. غير أن قضية القراءة في الصلاة بالترجمة ربما تمت مقاربتها بكثير

[46] هذا وقد ذهبت الأستاذة فاطمة المرنيسي إلى أبعد من ذلك مؤكدة أن هذه العلاقة بين اللغة العربية والوحي القرآني قد طبعت الأصول الثقافية لشعوب العالم الإسلامي، إضافة إلى اللغة العربية التي تتجاوز كل هذه الفروقات. (المرنيسي، 1992 (2003)، ص. 30)

من الجدل لأنها تدخل في تصـور الفقهـاء للبعـد التعبـدي للنص القرآني باللغـة العربيـة في أداء الصـلاة، والـذي لا يمكن للترجمـة أن تؤديـه، وهـذا كـان رأي الجمهـور كمـا فصــلنا أثنــاء المقــال. ويمكن تلخيص هــذا المنحى في تشــجيع الترجمــة لأغــراض الــدعوة مــع التحفــظ في اســتخدامات أخــرى يمكن أن تمس الجــانب التعبــدي "التوقيفي" بحسب تعبير الفقهاء.

- أما فيما يخص الجدالات المعاصرة بخصوص ترجمة القرآن الكريم، فقد نبعت في الأصل من سياق خاص هو السياق التركي الذي كانت فيه التيارات العلمانية المتطرفة تحاول إخضاع المجتمع التركي لقالب الدولة القومية في معناها الأوروبي الضيق، في النطاق القطري عبر اعتماد ترجمة القرآن الكريم للغة التركية مكان الأصل العربي، وهو ما أدى إلى انقسام حاد وجدل كبير داخل النخب الدينية والثقافية عموما، وامتدت هذه الجدالات إلى مصر، في سياق مختلف وجب تعميق الدراسة بصدد أسبابه ونتائجه، كما ساهم فيها الفقيه المغربي الحجوي الفاسي. ويمكن القول أن هذه الكتب والمقالات كانت تساند الأهداف الدعوية لترجمة القرآن الكريم في مؤسسة كبيرة مثل الأزهر

الشريف، وكانت مقدمة لمشروع نظري وترجمي في قسم البحوث والترجمة التابع لهذه المؤسسة التي تصدر ترجمات أو تبدي تقييمها لترجمات تقدم لها.

- في نفس سياق التعليق على توصيات الأزهر الشريف أو هيئة الإفتاء بالسعودية حول "ضوابط" ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، يمكن القول أنها لا تستند إلى أي أساس من وجهة النظر التواصلية التي تتوخى النظر إلى عملية الترجمة ليس فقط من وجهة نظر المرسل، بل أيضا من وجهة نظر الأثر المقصود من الترجمة. يمكن سرد مثال على ذلك في التوصية القائلة بضرورة إرفاق النص المترجم بنص القرآن الكريم باللغة العربية. ويحق لنا أن نتساءل عن جدوى هذا الأمر من الناحية العملية إذا كانت مقدمة الترجمة تنص بوضوح على كونها ليست قرآنا وأنها مجرد جهد بشري نسبي للتقريب من بعض معانيه اللامتناهية والمطلقة: إن كان هذا المتلقي يريد الاطلاع على نص القرآن بلغة أخرى، فلأنه لا يعرف العربية، أو أن معرفته بها لا تصل إلى درجة تلاوة القرآن الكريم وفهمه، وإن كان الغرض تمكين المتلقي من مادة للمقارنة، فأنى له القدرة للقيام بذلك. والمعروف أن الترجمات التي

تصدرها هيئات إسلامية رسمية مثل الأزهر الشريف أو مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف يشرف عليها فريق متخصص، فما الداعي إذن لإرفاق الترجمة بالنص العربي؟ لا نود أن نستطرد أكثر في مناقشة هذه التوصيات لأن المجال لا يسمح، لكننا ندعو إلى إعادة التفكير في منطلقاتها وترشيد العمل وفق ما تقتضيه أهداف العمل الترجمي في هذه الحالة.

- وفيما يخص الجهد التنظيري المعاصر، يمكن بداية أن نقرر قلة عدد الأعمال البحثية التي تهتم بالتنظير لترجمة القرآن الكريم عموما، وهذا ما يؤكده باحث مطلع على ما ينشر في الموضوع مثل بليهش العمري، يشرف على مجلة بحثية لأكبر مؤسسة عالمية لترجمة القرآن الكريم[47]. ودون زعم الإحاطة بأسباب الهامشية التي حظيت بها ترجمة القرآن تنظيرا وتنفيذا، يمكن القول أن ذلك يرجع إلى طبيعة تكوين النخب الدينية (العلماء والفقهاء) وعلاقتها باللغة العربية تكوينا واشتغالا، ودور الوساطة والترجمة الضمنية التي يتضمنها عملها في بلدان غير ناطقة كليا أو جزئيا باللغة

[47] المقال المشار إليه للباحث (العمري ، 2005) هو في الأصل مقارنة بين ترجمة القرآن الكريم والأناجيل، غير أنه غني بالمعطيات الإحصائية حول النشاط البحثي في مجال ترجمة القرآن الكريم في العقود الأخيرة.

العربية، لكن هذه الفرضية تتطلب بسطا ليس هذا مجاله، وربما نعود له في بحث قادم بإذن الله.

- أما بخصوص بعض الآراء التي تقدم الجانب الحضاري والدعوي في تصورها لعملية الترجمة من أمثال ابن تيمية والحجوي الثعالبيى والمراغي وفريد وجدي، فنرى أنها سوابق تشير إلى رؤية حضارية ورسالية تستحضر عالمية الرسالة وواجب البلاغ، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، كما يقول المثل. وعليه، فيلزم تنزيل هذه الرؤية في شكل بناء نظري متكامل يجمع بين المقتضيات الشرعية، ونظريات الترجمة المعاصرة في بعدها التواصلي والمعرفي، ونحن نراها الأنسب لخدمة هذه الأهداف النبيلة لهذا المسعى.

- نلاحظ أيضا في البحوث المعاصرة قلة الزاد المعرفي المتعلق بنظريات الترجمة المعاصرة التي أشرنا إليها مع ميل واضح للتيارات الشكلية والأسلوبية والبنيوية ذات الأفق الضيق للجملة (التي كانت مزدهرة في النصف الأول من القرن العشرين على حساب النظريات التي تطورت منذ أواسط القرن العشرين إلى الآن (وهي نظريات يمكن وصفها بتعدد المقاربات

والفروع المعرفية واتساع أفق التحليل من الجملة إلى النص مثل النظريات النصية والخطابية والمعرفية، إلخ).

ومن هذا المنطلق فنحن نضم صـوتنا إلى صـوت د. وليـد العمري في دعوته إلى "تعزيـز الدراسـات والبحـوث في مجال ترجمة معـاني القـرآن الكـريم، والنهـوض بنظريـة الترجمـة في هـذا المجـال وتطبيقهـا واقعـاً في مجـال ترجمة معاني القرآن الكريم وأن توجَّه الطاقات العلميـة لإفادة المـترجم، بـدلاً من أن تبقى الأعمـال العلميـة في هذا المجال، على قلتها، حبيسـة الأروقـة الأكاديميـة. وأن يكون الهدف الأسـمى للبحث في هـذا المجـال الوصـول إلى ترجمات أفضـل لمعـاني القـرآن الكـريم، فـالمترجم وحده لا يستطيع القيام بذلك، فالممارسـة المفتقـرة إلى النظرية لا ترقى لأن تكون هي الممارسة المثلى."[48]

[48] أنظر العمري 2005، المصدر المذكور.

دراسة ترجمية مقارنة بين نظرية الترجمة للقرآن الكريم والأناجيل

ذكرنـا في نهايـة الفصـل السـابق أن بعض الطروحـات النظرية المستخدمة، بشكل صريح أو مضمر، في الحكم على ترجمات القـرآن الكـريم يسـتند إلى مفـاهيم ثاويـة تعتبر من المسلمات في أكبر تجربـة ترجمـة في التـاريخ المعروف: ترجمة الأناجيل. وللوقـوف على تفاصـيل هـذا الموضوع، ارتأينا أن نخصص فصلا لعرض عام مقارن بين ترجمة القرآن الكريم والأناجيل يسهم في توضيح الرؤيـة وتمهيـد السـبيل للفصـول اللاحقـة، ويكـون بمثابـة تنبيـه للدارسـين المسـلمين لنظريـات علم الترجمـة لتلافي السـقوط في فخ التعميمـات النظريـة بنـاء على تجربـة

خاصـــة ومـــا يـــواكب ذلـــك من ضـــياع البوصـــلة ومنهج التمحيص العلمي.

ترجمة الأناجيل بين النظرية والتطبيق

للتـدليل على خصـائص ترجمـة القـرآن الكـريم بشـكل واضـح، سنخصـص الجـزء الثـاني من هـذا الجـزء لإجـراء مقارنـــة عامـــة من وجهـــة النظـــر الترجميـــة بينـــه وبين الأناجيل.

وقد اخترنا المقارنة بين القرآن والأناجيل لعدة أسباب:

- أولهـا أن الأناجيـل تعـد من أكـثر الكتب ترجمـة في التـاريخ، وهـذا يجعـل منـه مـادة خصـبة للتوصـيف النظري حول قضايا الترجمة.
- والثـــاني، وفي نفس الاتجـــاه، هـــو كوننـــا نـــزعم أن الأساس المنهجي الـذي تسـتند إليـه أغلب الكتابـات النظريـة في الترجمـة في الغـرب هـو نتـاج للـتراكم النظري حول الترجمة الإنجيلية، بدليل أن جزء كبـــير من النصوص القديمة التي تصنف على أنهـا تتطـرق لنظرية الترجمة مادتها هي ترجمة الأناجيل[49].

---

[49] أنظر مثلا إلى أعمال كل من أوجين نايدا - 1965صاحب نظرية "التكافؤ الشكلي والدينامي" وجون كلود مارغو 1987.

- من جهة أخرى: فإن بعض وقائع الجـدل الحـاد الـذي وقع بخصوص ترجمة القرآن الكريم (الحالـة التركيـة والجدل الـذي قـام في مصـر في النصـف الأول من القرن العشرين) لا يخلو، ولو بطريقـة غـير مباشـرة بتأثير من الرؤية الترجمية الإنجيلية، والإرث الفكـري الأوروبي فيمـا يتعلـق بنظـيرة الدولـة القوميـة ذات الثقافة الواحدة واللغة الواحدة.

ونبدأ بتعريـف مـوجز للكتـاب المقـدس عنـد المسـيحيين المسمى "الإنجيل" أو "الأناجيل".

الأناجيـل، أو الكتـاب المقـدس عمومـا هـو الاسـم الـذي يطلقـــه ســواء المســيحيون أو اليهــود على النصــوص المقدسة المقبولة لكليهما أو أحدهما (أو قـد تختلـف في أجزاء منهـا). وأنهـا نصـوص مـوحى بهـا من اللـه، أو من خلال (الروح القدس لدى المسيحيين[50]).

---

[50] والكتاب المقدس عبارة عن ترتيب لمجموعة من الكتب (أسفار)، كتبت في فترات تاريخية مختلفة. وينقسم إلى العهد القديم، وهو الجزء المشترك بين المسيحيين واليهود، وكتب العهد القديم هي أسفار النبي موسى الخمسة، وتعرف باسم التوراة لدى اليهود. و"الأنبياء"، وهي كتب أنبياء اليهود. وكتب تاريخية وتسبيحية أخرى. وتلك منها مزامير النبي داود (الزبور) والمزامير المؤلفة من القساوسة والمكتوب أسماؤهم عليها وهى المزامير إلى تؤله يسوع. و كتب العهد الجديد لا تعترف بها اليهود وهي، الأناجيل الكنسية الأربعة متى، مرقس، لوقا، يوحنا. والأناجيل كتبت عن حياة السيد المسيح، وهي بحسب التقليد الكنسي والليتورجيا الكنسية والمخطوطات منسوبة لأربعة من رسل المسيح، اثنان منهم ضمن الإثني عشرة حواريا، ارسلهم يسوع واوصاهم قائلا: إلى طريق امم لاتمضوا والى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا إلى بالحرى إلى خراف بنى إسرائيل الضالة) كما جاء في متى الاصحاح 10 فقرة 5 وهناك اناجيل أخرى منحولة غير كنسية مثل إنجيل توما وفيليب ومريم المجدلية وقد تم اكتشافها في أوراق نجع حمادى عام 1945 ومكتوبة بالقبطية والآرامية. أنظر المقال الموثق كاملا في موسوعة الويكيبديا.

هذا وقد تمت ترجمة الكتاب المقـدس الى لغـات عديـدة تجاوزت الفى لغة يتحدث بهـا تقريبـا 80% من البشـر _ هذا غير لهجات محلية كثيرة جدا . وابرز تلـك الترجمـات تاريخيا هي:

1. الترجمة السبعينية : وتنسب الى كبار علمـاء اليهـود البـالغ عـددهم 72 عالمـا، وقـد تمت على مشـورى "ديمتريوس فـاليريوس " لحـاكم مصـر الاغـريقى " بطليموس فيلادلفيوس " مؤسس مكتبة الإسكندرية بضرورة ترجمـة التـوراة الى اليونانيـة لصـالح يهـود الإسـكندرية بعـد ان ضـعفت لغتهم العبرية[51]. الترجمة السريانية :تمت في القرن الثـاني الميلادي ويطلـق عليهـا "الترجمـة البسـيطة" لبسـاطتها ووضوحها.
2. الترجمة اللاتينية : تمت ايضـا فى القـرن الثـانى ثم قـام القـديس ايرونيمـوس "جـيروم" بتنقيحهـا ومراجعتهـا سـنة 383 م .وتعـرف ترجمتـه باسـم "الفولجاتا" الشعبية .

---

51 فأرسل بطليموس إلى رئيس الكهنة ايعازر فى أورشليم بهذا الخصوص الذى أرسل اليه بدوره لفائف التوراه مع 72 حبرا "6 احبار من كل سبط ". وقد اعتكفوا على ترجمة التوراه فى جزيرة فاروس . ثم استمرت ترجمة بقية اسفار العهد القديم بعد ذلك ، حتى انه قبل عام 132ق.م .كان العهد القديم كله قد ترجم الى اليونانية على يد يهود الاسكندرية .

3. الترجمة القبطية : قام بها فى القرن الثانى العلامـة القبطى بـــانتينوس عميـــد مدرســـة الاســـكندرية اللاهوتية فيما بين عامى 181 _ 190 م

توالت منذ ذلك الزمـان الترجمــات. فبلغت عـام- 1800 إلى 72 ترجمـة، ثم عـام- 1900 بلغت 567، وفي عـام- 1965 بلغت 1250. وفي نبـــذة أصـــدرتها مـــؤخراً دار الكتاب المقدس في مصر، ذكــرت أن الكتـاب المقـدس اليوم تُرجِم كله أو أحد أجزائه إلى 1946 لغة ولهجة[52].

وورد في موقـع "إيكليسـيا ديجيتـال" أنـه وفقـا للتقريـر السنوي للاتحاد الإنجيلي العالمي ل31 ديسـمبر 1427ه- 2007 م، فـــإن عـــدد الترجمـــات الكليـــة أو الجزئيـــة المنشـــورة للأناجيـــل بلغت 2454 إلى مختلـــف لغـــات ولهجات العالم[53].

وربما تكون الأناجيل بشكلها الحـالي الأكـثر شـيوعا أكـثر كتاب تمت ترجمته في التاريخ دون أي شـك، لكن مـاهي الأسـئلة الـتي تطرحهـا هـذه الترجمـات، ومـا نوعيـة الجدالات الترجمية حول الأناجيل؟

---

52 راجع مقال السير وليم جونس حول ترجمة الأناجيل عموما، والترجمات إلى اللغة العربية على وجه الخصوص على الموقع الإلكتروني "بيت الله"، على الرابط التالي: http://www.baytallah.com/insp/insp6.html

53 يمكن الاطلاع على الخبر الموجز للمجلة الكنسية أو الدخول على الرابط للاتحاد الإنجيلي العالمي. http://www.revistaecclesia.com/index.php?option=com_content&task=view&id=4241&Itemid=230

ترجمة "الفولجاتا"

للتدليل على نوعية الجدالات الترجمية للأناجيل، سنذكر بإيجاز النزالات التي أحاطت بأهم ترجمات الإنجيل عبر التاريخ.

يعد القديس إيرونيموس صاحب أحد أهم الترجمات للكتاب المقدس (العهد القديم من العبرية والعهد الجديد من اليونانية)، وهذه الترجمة يمكن أن تعد بمقاييس العصر الحالي ترجمة "رسمية"، سواء من حيث طريقة الإعداد لها (بطلب من البابا دماسيوس أسقف روما لسكرتيره إيرونيموس، أو من حيث منهجها)، وقد اعتبرت هذه الترجمة مرجعية معتمدة لدى الكنيسة لأزيد من ألف سنة. غير أن أحد الرسائل التي وصلت إلى أيدينا (رسالة إلى باماكيو، 405 م.)[54] تؤكد أن هذا المترجم لم يسلم من الاتهامات بالزندقة وإشاعة العقائد الفاسدة، وقد دافع عن نفسه في هذه الرسالة بالاستشهاد بمراجع دينية مثل مترجمين سابقين للأناجيل

7[54] نستند إلى ترجمة لرسالة باماكيو إضافة إلى "رسالة حول الترجمة للوثر" إلى الإسبانية الواردة في كتاب " textos clásicos de la teoría de la traducción, Miguel Ángel Vera, Editorial Cátedra, 2004¨

ووثنية مثل هوراتيو وشيشرون. وما يستشف من أصل الخلاف هو أن المنتقدين يحتجون بكون الترجمة تتسم ب"حرية" في التصرف اللغوي يتم انتقادها على أنها يمكن أن تؤول على أنها خروج على العقائد. وفي معرض الرد على هذه الاتهامات، يتهم خصومه بالجهل بالترجمة وانعدام الإحساس باللغة وبالرسالة الإلهية وأفضل الطرق لتبليغها.

ترجمة لوثر وانشقاق الكنيسة البروتستانية

غير أن أكثر الترجمات إثارة للجدل على الإطلاق في تاريخ الكنيسة (الكاثوليكية) صنيعة رجل مثير للجدل بامتياز هو مارتن لوثر. نشرت الترجمة الكاملة التي تضم العهدين القديم والجديد إلى الألمانية سنة- 1534 في وارتبورغ بعد سنوات من الجهد المشترك مع مجموعة من المترجمين، وقد قام بمراجعتها وتدقيقها حتى سنة وفاته 1546 حيث نشرت طبعة جديدة. وقد أخذ الكثير على هذه الترجمة، غير أن الجدال تركز حول جملة واحدة، موجودة في الإصحاح الثالث، 28 من رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية، "اذا نحسب ان الانسان يتبرر بالايمان بدون اعمال الناموس"، وفي

إنجيل لوثر، أقحم هذا الأخير كلمة "فقط" قبل كلمة الإيمان، وهو ما عده مهاجموه مخالفة عقدية، غير أن لوثر، كما جاء في الرسالة المذكورة رد عبر حجة لغوية، وهي أن السياق كان يقتضي إضافة هذه الكلمة ليكون التعبير بألمانية سلسة، أي أن الإشكالية هي بين شكل ومضمون، بين عقيدة ولغة.

وثمة مآخذ أخرى للمنتقدين على ترجمة لوثر، غير أنه لا أحد ينكر أمرين أساسيين: الأول أنها حاولت عبر مجهود جماعي طويل وشاق لا يخلو من روح نقد ذاتي وتحسين مستمر، حاول التعبير عن مضامين الأناجيل بأبسط طريقة ممكنة، والميزة الثانية هي أن هذه الترجمة كانت مؤسسة للغة الألمانية المعاصرة، فالدعوى الإصلاحية، وإن لم تكن تمردا عقديا على الكنيسة في روما، فلم تخل قط من نفس قومي ألماني واضح كان له أعظم الأثر في "انشقاق" الكنيسة الألمانية مدعومة من الأمراء المحليين وتسميتها بالكنيسة "البروتستانتية"[55].

---

[55] للمزيد من التفاصيل، يمكن مشاهدة الفيلم الذي يحمل نفس اسم عالم اللاهوت والمترجم الألماني الأشهر، وهو فلم موثق مع تحيزه للطروحات البروتستانتية، على الرغم من أنه يمر مرور الكرام على قضية الترجمة، وهو إنتاج لسنة 2003، من بطولة جوزيف فينس وإخراج إريك تيل.

ترجمة الإنجيل إلى العالم الجديد

في سـنة 1960، تم نشـر النسـخة الأولى من ترجمـة الإنجيل إلى العالم الجديـد بعـد قرابـة عشـرين سـنة من العمل الترجمي الذي أشرفت عليه لجنة من المـترجمين لم يتم الإفصاح أبدا عن هوياتهم حتى بعـد وفـاتهم بطلب شخصي منهم.

وكـان الغـرض المبـدئي منهـا تحـديث لغـة الأناجيـل لأن الإنجليزيـة لأن نسـخة "الملـك جيمس"، والسـائدة في الولايات المتحدة آنذاك، أصبحت متقادمة.[56]

بيـد أن هـذه الترجمـة هي في الأصـل انعكـاس للتيـار الإنجيلي الأصولي السائد في العـالم الجديـد، ويـدل على ذلك أمران أساسـيان: أولهمـا هـذه العـودة إلى الأصـول العبرية والأرامية دون أي تدخل من وساطات تاريخية مع الكتـاب المقـدس، وهـو مـا أثـار بـالطبع حفيظـة النخب الكنسية، خصوصا الكاثوليكية.

ومن ذلـك اعتمـادهم لاسـم "يهـوه" بـدل "تيتراغمـاتون" اليونانية أو "تيو" اللاتينيـة، والـتي سـادت في الترجمـات إلى ذلك العهد، كمـا انعكس ذلـك على تقسـيم الأسـفار،

---

[56] للمزيد من المعلومات راجع المقال جيد التوثيق عن الترجمة إلى العالم الجديد في الموسوعة الإلكترونية ويكيبديا، وهو متوفر بعدة لغات منها الإسبانية والإنجليزية.

حيث تم استبدال العهد القديم والجديد بالأسفار المكتوبة أصلا بالعبرية والأرامية وتلك المصنفة بمثابـة "المسـيحية اليونانية"، وقد ترجمت هـذه النسـخة إلى أزيـد من 250 لغة ولهجة.

بعد مراجعة هذه الأمثلة، وبعيدا عن القضايا الخاصة التي طرحتها هذه الترجمات داخل سياقها التاريخي، نود إبـراز بعض الخصائص العامة للترجمة الإنجيلية.

الخاصـية الأولى ذات طـابع لغـوي، وهي متعلقـة بانعـدام الوحدة في أمرين أساسيين:

عــدم وحــدة مصــدر النص، بمعــنى أنهــا مجموعــة من الأسفار التي تكون العهـد القـديم والجديـد (على اختلاف بين الكنــائس بخصــوص الكتب المعتمــدة) الــتي كتبت بشـكل متفـرق على امتـداد يقـارب ألـف سـنة، ولم يتم اعتمــاد الأســفار الــتي نعرفهــا حاليــا من قبــل الكنيســة الكاثوليكية إلا سنة 382م. على عهـد داماسـيوس الأول، في اللغات الأصلية التي كتبت بها هذه الأسـفار، فبعضـها كتب بالعبريــة، وبعضــها بالأراميــة (بعــد السـبي البــابلي) وبعضها الآخر باليونانية.

إزاء هذا الوضع، فإن تصور الكتاب المقدس وما يلـزم أن تكـون عليـه الترجمـة يلخصـه السـير وليم جيمس على الشكل التالي:

"ذكرنـا في الفصـل الأول أن المسـيحية لا تـؤمن بكتـاب هبط علينا من السماء بكلماتـه وحروفـه، بـل نحن نـؤمن بالوحي. ولقد أعطى الله الـوحي بالنسـبة لأسـفار العهـد القديم باللغة العبرانية، وأجزاء قليلة منه بالأراميـة، وأمـا العهد الجديد فأعطاه الرب باللغة اليونانية." [57]

وبالتـالي، فـإن الرسـالة الإلهيـة بكـل أبعادهـا، الروحيـة والتشـريعية والأخلاقيـة والتعبديـة هي رسـالة "عـابرة للغـات" إن جـاز التعبـير، والمهم هـو أن الأناجيـل بكـل اللغات تكون وفق عقائد الكنيسة.

ويتابع وليم جيمس تعليقه حول منطق الترجمة الإنجيليـة بالقول:

لكن ترجمة أقوال الله الحية إلى لغات الناس الحيـة هي على جـانب عظيم من الأهميـة، وبـدونها يصـبح «المتكلم أعجمياً عندي». فليست المفردات العبرية أو الأراميـة أو اليونانيـة هي نهايـة المطـاف حـتى يكـون لزامـاً على الإنسان أن يتقنها ليكون بوسعه فهم رسالة الله إليه. إن

---

[57] السير وليم جونس المرجع السابق.

الله لا يتقيد باللغات التي هي أساساً وصـمة للتمـرد على الله، وهو طبعاً لا يُلزم الإنسان أن يتعلمها ليكون بوسـعه الاستماع إلى كلامه.[58]

وهـذا الوضـع أدى إلى تركـيز النقاشـات والمسـاهمات العلمية حول الترجمات الإنجيليـة في قضـايا لغويـة بحتـة حول تطور اللغـة ومعـاني الكلمـات عـبر العصـور، وكـذا الـتراكيب والمفـردات الـتي أضـحت متجـاوزة مـع مـرور الـزمن. ويمكن إيـراد أمثلـة على هـذه البحـوث النظريـة التي تركز على الجـوانب الأسـلوبية والتركيبيـة والبنيويـة والوظيفيـــة والثقافيـــة من مؤلفـــات بعض من كبـــار الدارسـين من أمثـال نايـدا جـون كلـود مـارغو، شـوكل وثورو، طابر ونايدا[59].

وثمة تطـور لافت في هـذا البـاب، وفقـا للبحث المـذكور للد. العمري، وهـو المواكبـة المسـتمرة للمسـؤولين عن الترجمـــة لتطـــور النظريـــات الترجميـــة وفقـــا للنظريـــة التداولية والتواصلية والسيميائية والمعرفية والإفادة منهـا في تحسين الترجمات الموجودة وربطها بالواقع المتغير، ويـدلل عليهـا بقيـام علمـاء اتحـاد الإنجيـل الأمـريكي (American Bible Society) بإدخال البعد السيميائي (

---

[58] السير وليم جونس المرجع السابق.

[59] المرجو الرجوع إلى مؤلفات هؤلاء الكتاب في ثبت المراجع.

(semiotic) في ترجمة الإنجيل، والبعد السيميائي يشتمل على ترجمة النص المكتوب إلى فلم سنمائي أو كرتوني أو اختصاره على شكل قصة للأطفال توضع على الإنترنت، أي باختصار تحويل النص من وسيلة اتصال إلى وسيلة اتصال أخرى،[60] أو تعاملهم مع المستجدات النظرية التي يطورها الدارسون وتطبيقها على ترجمة الإنجيل باستمرار ولهم حضور بارز في الدوائر العلمية المهتمة بدراسات الترجمة بل منهم من هو من أبرز الأسماء في هذا المجال من أمثال إرنست أوقست-قت (Ernst August-Gutt).[61]

أما عن تنفيذ عمل الترجمة، فتتكلف به جهات عديدة تهتم بترجمة الإنجيل ودعم مشاريع الترجمة القائمة وهي: مترجمو لوثران للإنجيل (Lutheran Bible Translators)، ومترجمو الإنجيل التبشيريون (Evangel Bible Translators)، ومترجمو الإنجيل

---

[60] أنظر مثلا البحث التالي: P. Soukup & R. Hodgsonson (eds.) (1999) *Fidelity and Translation*: *Communicating the Bible in New Media*. NY. American Bible Society.

[61] للمزيد حول هذه النقطة، راجع البحث:
Majola, A. O. and Wendland, E. (2004) "Scripture Translation in the Era of Translation Studies". In T. Wilt (ed.) Bible Translation: Frames of Reference. Manchester: St. Jerome.

الــرواد (Pioneer Bible Translators)، ومــترجمو وايكلف للإنجيل (Wycliffe Bible Translators) الذين يُعرفــون أيضــاً بمعهــد اللغويــات الصــيفي (Summer Institute of Linguistic) هم أكبر هذه الجهـات على الإطلاق إذ يبلــغ عــدد أعضــائه أكــثر من خمســة آلاف ترجموا العهد الجديد كـاملاً إلى 347 لغـة ويعملـون على إخراج ترجمات جديـدة إلى 800 لغـة أخـرى، وجمعيـات الإنجيل المتحدة (United Bible Societies)، التي هي عبـارة عن جهـد جمـاعي لأكـثر من مئـة جمعيـة إنجيـل قومية.

هذا ويـذكر د. العمـري (ص. 20-21) في بحثـه المـذكور بشكل مفصل، عبر حـوار مـع أحـد كبـار المسـؤولين عن الترجمـة الإنجيليـة أن هـذه المؤسسـات أنهـا مؤسسـات عملاقــة، وهــذا مــا يتأكــد عــبر الاطلاع على المواقــع الإلكترونية لها.

هذا ويعتبر إعداد دراسات وتقارير مفصلة عن عمل هـذه المنظمات وطريقة عملها والنظريـات الـتي تعتمـدها في الترجمة أحد المباحث الأساسية التي يلـزم أن تقـوم بهـا المؤسســات الإســلامية، وذلــك لتحديــد علمي للجــوانب

النظرية والتطبيقية التي يمكن الإفـادة منهـا مـع مراعـاة الفروق الجوهرية بينها وبين الترجمة القرآنية.

الخلاصات

تلخيصا لما سبق، وتجميعا للخلاصات يمكن إبراز النقــاط التالية:

- لعــل الخلاصــة الأولى تتمثــل في الموقــع الهامشــي لترجمة القرآن الكـريم في الحضـارة الإسـلامية لأسـباب بنيوية تتعلق باعتبار النص القرآني لدى المسـلمين الـذي أحدث نوعا متميزا من العلاقة الفريدة بين القرآن واللغة العربيـة، ونظامـا معينـا للعلـوم الإسـلامية وإنتـاج النخب الدينيــة يكــاد يغـني عمليــا عن القيــام بعمــل الترجمــة، خصوصا في عصـر الازدهـار الفكـري والثقـافي والتوسـع الجغرافي لرقعة العالم الإسلامي (لتفاصـيل أكـثر، انظـر مقالنا التحليلي التاريخي لسنة 2017. لكن تغير الأوضاع وتحـول العـالم الإسـلامي من موقــع الريـادة إلى موقـع دفاعي إزاء أنماط التفكير الوافدة من الغرب، في شكل أفكار قومية مبنية على أساس الدولة القومية في الفكــر الغربي، وهو ما ظهر جليا في بداية القـرن العشـرين في الحالــة التركيــة والــتي امتــدت أصــداؤها، على مســتوى

الجدل الفكري النظري على الأقل، إلى مصر والمغــرب. وربما ساهمت حدة السجالات التي قامت حول الترجمــة في زيادة حدة التحفظ إزاء ترجمــة القــرآن الكــريم دون النظر إلى خصوصية السياق في الحالة التركية، المختلف تماما عن مصر أو المغرب، ونحن نتقاطع في هذا الــرأي مع د. العمري في بحثه الذي ذكرناه سابقا.

- وفي المقابـل، فـإن ترجمـة الأناجيـل لهـا تـاريخ حافـل سواء من عدد الترجمات من مختلف اللغات أو الجدالات الفكرية التي حفظها التاريخ، وهو ما يجد تفسـيرا لـه في طبيعة النص الإنجيلي الذي جمع نصوص عديـدة تـراكمت على مــدى ألــف ســنة تقريبــا، ومــرت بعــدة لغــات في عمليــات معقــدة قبــل أن تقــوم الكنيســة بتجميعهــا في نسخة ترجمهـا للاتينيـة القـديس هـيرونيموس، المسـماة "فولجاتـا" ومنـع الكتب الأخـرى. فتـاريخ الكنيســة تـاريخ ترجمـات ومـا يهم الكنيسـة هـو طبيعـة هـذه المعتقـدات بغض النظــر عن اللغــة الــتي يتم التعبــير بهــا عن هــذه العقائد، وهـذا مـا يفسـر اعتراضـها على ترجمـة لـوثر أو إنجيل العالم الجديد، كما يفسر إلى حد ما غلبة نظريــات التكــافؤ الــدينامي أو الــوظيفي أو النظريــات التداوليــة

والتواصلية التي من شأنها دعم القدرة التبليغية دون المساس بالأسس العقدية للمؤسسة الكنسية.

-لزم التشديد بداية على المكانة المركزية التي تشغلها الترجمات في حالة الأناجيل والعدد الهائل للترجمات التي تغطي أغلب اللغات واللهجات المعروفة في كل بقاع العالم، والتي تفسرها النزعة "التبشيرية" التي طبع بها الغرب تبنيه للديانة المسيحية في العهد الروماني ولم تكن سائدة قبل هذا العهد، والمؤسسات الهائلة التي تعكس هذا التنافس بين الكنيسة الكاثوليكية من جهة والكنائس الإنجيلية الأصولية (عكس الكنائس الشرقية مثلا)، وهذا يعاكس الموقع "الهامشي" للترجمة في السياق الإسلامي، فرغم كل الجهود المحمودة التي تم القيام بها لترجمة القرآن الكريم للغات متعددة، إلا أن هذا في نظرنا لا يعدو كونه وضعا مقلوبا، من وجهة النظر الحضارية، فالدين الإسلامي دين عالمي بنص القرآن الكريم وكلام المصطفى صلى الله عليه وسلم، وواجب البلاغ يقتضي نهج كل السبل واستخدام كافة الوسائل، ومن بينها الترجمة، للنهوض بهذا الواجب الذي تفرضه خاتمة الرسالات من إقامة الحجة على الناس لبلوغ مقام الشهادة على الناس، وهو ما يشجع نظريا

على الترجمة لكن الواقع في تـاريخ الحضـارة الإسـلامية يشير إلى هامشية الاهتمام بهذا الجانب.

- بارتباط مـع مـا سـبق، فمن مظـاهر المفارقـة أنـه في الحالـة الإنجيليـة لا يمكن الحـديث على عن أصـل واحـد، فهي مكونة من عـدة كتب (العهـد القـديم أي تـاريخ بـني إسرائيل والعهد الجديد وهذا الأخير متضمن لأربع روايات منسوبة لحواريي نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام)، ولا حتى عن مفهوم "النص الأصلي" لأن النسخ المعتمدة هي ترجمـــات أو ترجمـــات لترجمـــات من العبريـــة إلى اليونانية ومنها إلى اللاتينية واللغـات الأوروبيـة المختلفـة. ويحدث أن يتم اكتشاف أثري لنسخ قديمة (أشهرها ربمـا مخطوطـات البحـر الميت)، فتهـتز أركـان الكنيسـة من احتمـال أن تتضـمن هـذه النسـخ مـا يخـالف تعاليمهـا "الرسمية". ومرد ذلك أن الترجمـة (في حـال الاعـتراف بهـا) وفـق الرؤيـة الحضـارية المسـيحية، تحظى بكـل مقومـــات "النص الأصـــلي" بكـــل أبعـــاده: اللاهوتيـــة والتشـــريعية والتعبديـــة أو الأخلاقيـــة وغيرهـــا، ومـــا يهم الكنيسـة هـو أن تتضـمن النسـخة تعاليمهـا "الرسـمية" بشكل واضح. وعليـه، تصـير نقاشـات الترجمـة الإنجيليـة على نوعين:

- قضايا لغوية تفصيلية ذات طابع اسلوبي (نظريات الترجمة الإنجيلية عند نايدا ومارغو و أوغوست غوت) بحتة في غالب الأحيان. ومن الجدير بالملاحظة أن مؤلفات كل من نايدا وطابر ومارغو لا تتطرق للجوانب العقدية الشائكة، ربما لاعتقادها أن هذا الأمر محسوم سلفا، بل إن النقاش يتحول إلى نقاش أسلوبي شكلي حول الخصوصية الثقافية والتاريخية للخطاب الإنجيلي وطريقة نقل الرسالة الإنجيلية في سياقات ثقافية بعيدة، وإلى لغات بعضها محدود جغرافيا أو لغات شفهية تكاد تنعدم فيها تقاليد الكتابة.
- القضايا العقدية التي تكون فيها الترجمة سلاحا لخلافات عقدية رأت فيها مؤسسة الكنيسة "زندقة" أو خروجا عن تأويلها العقدي، ولو كان ظاهرها لغويا بحتا.

وهنا أيضا نجد مظهرا آخر من مظاهر الوضع المقلوب من وجهة النظر الحضارية، فنجد هذا الكم الهائل من الترجمات والمؤسسات والنظريات في سياق يتسم بانعدام مفهوم "النص الأصلي"، وهو أدعى أن يتم التحفظ فيه ومع ذلك فإن دلائل الواقع تشير إلى عكس

ذلك، بينما الوضع معاكس تماما في حالة القرآن الكريم، سـواء من حيث مفهـوم "النص الأصـلي" وارتباطـه العضوي باللغة العربية، وكذلك ارتباط العلـوم الإسـلامية الحيوي باللغة العربية تعلما وتعليما وتكوينا ولو كان ذلـك في بلاد غير عربية اللسان. وعليه فإن هـذا الوضـع أدعى إلى الاجتهاد في الترجمة على اعتبار أنهـا لن تكـون أبـدا مصـدر أي تهديـد جـدي لأسـس الإسـلام العقديـة والتشريعية، بل إن الترجمة تغدو في ظل هذه الشـروط أداة فاعلـة، من بين أدوات أخـرى للـدعوة والبلاغ للعالمين، الذي لا يستثني جماعـة أو شـعبا من الشـعوب مهما كانت لغته.

- وعليه، فإن هذه المقارنة من شأنها أن تجعلنـا نمـيز بين العوامل البنيويـة الـتي تحكم التصـور الإسـلامي لمفهـوم النص القـرآني وعلاقتـه باللغـة العربيـة، وفصله عن نوازل فقهيـة معينـة (القـراءة بالترجمـة في الصلاة) وجدالات فكرية مرتبطة بسياق سياسي معين (الحالـة التركيـة والجـدال في مصـر)، وتبـني نظرية لترجمة القرآن الكريم تتبنى تصوريا العوامـل البنيوية وتبحث نظريـا في طـرق تنزيلهـا بالاسـتعانة بالعلوم والمعارف التي تراكمت في الـوقت الحـالي

ومراعاة هذه الفوارق أثناء الإفادة تنظيميا وتنظيريا من التجربة الإنجيلية دون السقوط في الإسقاطات الجاهزة أو الاستلاب الفكري.

- هذا ويعتبر إعداد دراسات وتقارير مفصلة عن عمل هذه المنظمات وطريقة عملها والنظريات التي تعتمدها في الترجمة أحد المباحث الأساسية التي يلزم أن تقوم بها المؤسسات الإسلامية المختصة في هذا المجال، وذلك لتحديد علمي للجوانب النظرية والتطبيقية التي يمكن الإفادة منها مع مراعاة الفروق الجوهرية بينها وبين الترجمة القرآنية.

الفصل

الثالث

أسس نظرية تأصيلية لترجمة القرآن الكريم

خلصنا في الفصل السابق إلى أن الخلل الأكبر في "نظرية ترجمة القرآن" ليس شرعيا في المقام الأول بل هو ناجم عن عدم معرفة بطبيعة الوساطة اللغوية التي تسمى الترجمة، وطبيعة مقاربتها لمفهوم النص الأصلي والآليات الظروف التي تحكم عمل المترجم وترهن بدرجات متفاوتة نتيجة عمله.

وعليه، سنخصص هذا الباب لعرض موجزا ومركز لأهم محطات تطور علم الترجمة وتطورها من الانطباعية النقدية، الفلسفية والأدبية للترجمات، إلى مرحلة تبني هذا العلم من قبل علماء فقه اللغة أو اللسانيات.

هذا ويجوز اعتبار دخول هذا العلم حلبة الترجمة أهم الأسباب في التطور والتنوع الهائل للنظريات التي ظهرت منذ العقود الأولى للقرن العشرين، وكانت مطبوعة بالتيارات النظرية السائدة في ذلك الوقت المتمثلة أساسا في البنيوية الأوروبية والأمريكية، لتتلقى بعد ذلك أصداء الطفرة الفكرية في علم الألسن

الــتي رامت التخلص التــدريجي من الطــابع التجريبــبي-الإمبريقي للبنيوية التقليدية وتبـني نمـاذج تحليليـة أوسـع أفقا والانفتاح على إسهامات العلوم الإنسانية بغيــة الحــد من فرط التجريد الذي كانت تعاني منه النماذج التحليليـة التقليدية والاتجاه بها إلى أفق مقاربة أشـمل للاسـتخدام الفعلي الاجتماعي للغة، وهو ما جعلها تنحو بشكل تلقائي نحو العلوم الإنسانية.

وعلى الــرغم من أنــه لا يمكن بــأي حــل من الأحــوال التحدث عن تطور خطي في نماذج الدراسـات الترجميـة التي ظهرت منذ أواسط القرن الماضـي، غـير أن الأكيـد هـــو أنهـــا ســـارت في نفس المنحى الـــذي انعطـــف بالدراسات الترجمية إلى مجال العلـوم الإنسـانية وعلـوم التواصل الإنساني الفعلي.

التعريف

توخيـا للتــدرج العلمي الضــروري في طــرق المواضــيع، وجب تعريـــف الترجمـــة من وجهـــة النظـــر اللغويـــة والاصطلاحية ابتداء.[62]

---

[62] أنظر موقع "معاجم": www.maajim.com

يشير لسان العرب في مدخل فعل "رجم": الرَّجْمُ القتل وقـد ورد في القـرآن الـرَّجْمُ القتـل في غـير موضـع من كتاب الله عز وجل وإِنما قيل للقتـل رَجْمٌ لأَنهم كـانوا إِذا قتلوا رجلاً رَمَوْهُ بالحجارة حتى يقتلوه ثم قيل لكـل قتـل رَجْمٌ ومنه رجم الثيِّبَيْنِ إِذا زَنَيـا وأَصـله الـرمي بالحجـارة ابن سيده الرَّجْمُ الرمي بالحجارة رَجَمَهُ يَرْجُمُهُ رَجْماً فهو مَرْجُوم ورَجِيمٌ والرَّجْمُ اللعن ومنه الشـيطان الـرَّجِيمُ أَي المَرْجُومُ بالكَواكب صُـرِفَ إِلى فَعِيـلٍ من مَفْعُـولٍ وقيـل رَجِيم ملعون مَرْجوم باللعنة مُبْعَدٌ مطرود وهو قـول أَهـل التفسير (...)

ويضـــيف القـــاموس العـــربي الأشـــهر أن " التُّرْجُمـــانُ والتَّرْجَمـان المفسِّــر للســان وفي حــديث هِرَقْــلَ قــال لتُرْجُمانه الترجمان بالضم والفتح هو الـذي يُتَـرْجِم الكلام أَي ينقله من لغة إلى لغـة أُخـرى والجمـع التَّراجِم والتـاء والنون زائدتان وقد تَرْجَمه وتَرْجَم عنه وتَرْجُمـان هـو من المُثُل التي لم يذكرها سيبويه قال ابن جني أَمـا تَرْجُمـان فقــد حكيت فيــه تُرْجُمــان بضــم أَولــه ومثالــه فُعْلُلان كعُتْرُفان ودُحْمُسان وكذلك التاء أَيضاً فيمن فَتَحها أَصـلية وإن لم يكن في الكلام مثل جَعْفُر لأَنه قد يجوز مع الأَلف والنون من الأَمثلة ما لولاهما لم يجـز كعُنْفُـوان وخِنْـذِيان

ورَيْهُقان أَلا تـرى أَنـه ليس في الكلام فُعْلُـو ولا فِعْلي ولا فَيْعُل ؟"

هـذا وتـورد أمهـات القـواميس الأخـرى معـاني مشـابهة للفعل ومشتقاته، وهي اشتقاقات تحيل على حقـل دلالي لا يخلو من طابع سلبي يستحضر مفهوم اللعنـة والكـذب والرمي بالحجارة حتى الموت.

هـذا من الناحيـة اللغويـة، أمـا من الناحيـة الاصـطلاحية، فتتعدد التعريفات وتتشعب، فهي تطلق على معان:

1. تبليغ الكلام لمن لم يبلغه. ومنه قول الشاعر:

   إن الثمانين وبلغتها   أحوجت سمعي إلى ترجمان

   أي أن سـمعه في هـذه السـن أصـبح غـير قـادر على التقاط الأصوات إلا مستعينا بمن يبلغهـا إليـه ويوصـلها له.

2. تفسير الكلام بلغته الأصلية الـتي جـاء بهـا، ومنـه مـا قيل في عبد الله بن عباس رضي الله عنـه، من أنـه "ترجمان القرآن".

تفسير الكلام بلغة غـير اللغـة الـتي جـاء بهـا، وذلـك بـأن يستوعب الجملة الأصلية ومقاصدها وأسـاليبها، ثم يقـوم بصياغة هـذه المعـاني باللغـة الأخـرى، سـاعيا ليكـون مـا

ذكره موافقا لمراد صاحب الأصل (...). (العلوش، 13-14)

وبعيدا عن النقاش في أصل الكلمة ومختلف الاستعمالات، الأصلية والمجازية، التي يمكن أن تتسع لها، والتي ترجع على كل حال إلى أصل واحد وعملية تواصلية من قنن إلى آخر أو من سنن لغوي، وفق تعبير سوسير، نود أن نركز تعريفنا على الاستخدام الاصطلاحي، الذي يعني عملية نقل مضامين من لغة إلى أخرى.

هذا وتتفق تعريفات كل من قاموس المجمع الملكي الإسباني للغة لكلمة "ترجمة" أو ¨traducción¨ عن تلك الواردة في مختلف القواميس والموسوعات جوهريا عن تعريف القاموس الرسمي للغة الإسبانية[63]، غير أنها تجمع في الجوهر على جملة أمور يمكن إيجازها على الشكل التالي:

- صيرورة الترجمة
- النتيجة أو المنتج النهائي لعملية الترجمة

---

[63] **1.** f. Acción y efecto de traducir.
2. f. Obra del traductor.**3.** f. Interpretación que se da a un texto.
4. f. Biol. Etapa de la expresión genética en la que se sintetiza una proteína a partirde la información contenida en el ARN mensajero mediante el código genético.**5.** f. Ret. Empleo, dentro de la cláusula, de un mismo adjetivo o nombre endistintos géneros, números o casos, o de un mismo verbo en distintos modos, tiempos o personas. http://www.rae.es

- الأشـكال والطـرق المختلفـة للترجمـة الشـفهية أو المكتوبة.

بعد هذه المقاربة اللغوية الأولية، ننتقـل لتعريفـات حـول المعـاني الـتي تحتملهـا الترجمـة بشـكل عـام، ويعرفهـا الكاتب والشاعر المكسـيكي أوكتـافيو بـاث على الشـكل التالي:

"إن تعلم الكلام هو تعلم الترجمة: لما يسأل الطفل أمــه حول معنى هذه الكلمة أو تلـك، فـإن مـا يسـأل عنـه في الحقيقة هو أن تترجم إلى لغته معنى الكلمة المجهولة".

ولربما يبدو هذا التعريف فضفاضا، غير أنه يضع الترجمــة في سياق عمليات التحول داخل اللغة أو مـا بين اللغـات وهدفها التواصل طبعا.

وثمــة تعريفــات أكــثر تخصصــية لتحديــد ماهيــة عمليــة الترجمة مثل تعريف كاتفورد الذي يتحدث عن:

"استبدال مادة نصية في اللغة الأصلية بأخرى في اللغـة الهدف".

أما طابر ونايدا، فيعرفان الترجمة كما يلي:

"تتمثل الترجمـة في إعـادة إنتـاج عـبر مقـابلات طبيعيـة ودقيقة لرسالة اللغة الأصلية إلى اللغة المستقبلة".[64]

---

[64] Taber & Nida ، 1965، ص. 29.

أما هـاوس فيعرفهـا على أنهـا: "اسـتبدال نص في اللغـة الأصـل بنص مقابـل دلاليـا وبرغماتيـا في اللغـة الهـدف" (هاوس، 1997:31)

بينما يفضل كل من رايس وفيرماييرِ الحديث عن "عرض معطيات فوق عرض معطيات آخر".

هذا ويورد باقي أهم الدارسين في هذا المجـال تعريفـات تتفق في الجـوهر، غـير أنهـا تختلـف في بعض التفاصـيل والجزئيات المتعلقة بطبيعة نظريـة الترجمـة والاتجاهـات الكبرى المؤثرة في هذا الحقل المعرفي[65].

وقبل هذه التعريفات "العلميـة"، المتـأخرة بـزمن طويـل عن تاريخ الترجمة الضـارب بجـذوره في التـاريخ، شـابت هــذا النشــاط مجموعــة من التعريفــات أو التوصــيفات، المجازية في الغالب، التي تحاول النفاذ إلى جوهرها.

فــالبعض مثــل شــاطوبريان الــذي تحــدث عن "صــورة شخصـية" أو "مـيزان الكلمـات" بتعبـير فـاليري لاربـو أو "الحسـناء الخائنـة" كمـا يسـميها لابلانكـور و "الاغتيـال" بــرأي جــورج ســاند، أو التعبــير الإيطــالي الأشــهر عن الترجمة traduttore traditore "المـترجم خـائن" أو

[65] راجع الفصل الخاص بالتعريفات في كتاب هورتادو ألبير، Traducción y traductología 2011، Ed. Cátedra، إضافة إلى الفصل الخاص بتعريفات الترجمة في أطروحتنا لنيل الدكتوراه 2006 .

التعبير الفرنسي ¨les belles infideles¨ أو الحسناوات الخائنات" [66]

ولا يخفى ما تتضمنه هذه التعبيرات المجازية من نظرة سلبية للترجمة، نظرة تعتبر "الأصل" بمثابة منبع الفضيلة مقابل الترجمة التي تعتبر تحريفا وتلويثا لهذا النص وتعتبرها "لقيطة" على اعتبارها نتيجة خيانة. ويمكن أن نفصل بشكل مسهب في الأسباب الاجتماعية والنفسية لهذه النظرة المتجذرة خصوصا بين أوساط غير المطلعين على نظرية الترجمة إلى الوقت الحاضر وهي أسباب فصلت في بعض نواحيها الكثير من دراسات الترجمة، لكن هذا سيبتعد بنا عن الغرض المطلوب.

وبعد هذا المدخل الموجز للتعريفات، التي تختلف باختلاف النظريات المعتمدة والتطور التاريخي لنظريات الترجمة في العالم الغربي، وهو ما سنتطرق له في الأسطر التالية.

تاريخ الترجمة

فترة ما قبل اللسانيات

[66] رشيد برهون، درجة الوعي في الترجمة، 2003، ص. 5-7.

يطلق الدارسون هذه التسمية على فترة تاريخية طويلــة من النصوص المكتوبة الـتي تتطـرق، وصـفا أو تقييمـا أو تفكيرا، في كنه هذه العملية التواصـلية الإنسـانية. لكنهـا بالطبع لا تغطي تاريخ هذا النشاط الإنساني القـديم قـدم لغـات الإنسـان، وتغطي مختلـف جـوانب الحيـاة اليوميـة لحاجة الناس عند وجود اختلاف في اللغـات إلى التفـاهم من أجل قضاء حاجاتهم.

لكن وجـود شـواهد مكتوبـة على هـذا النشـاط لا يتجـاوز عمره أزيـد من ألفي سـنة[67]، وقـد عمـد بعض الدارسـين إلى الخلــط بين تــاريخ الترجمــة وتــأريخ الترجمــة عــبر النصوص المكتوبة[68].

هذا ويقسم الباحثون أيضا فـترة التـأريخ و التنظـير حـول نشاط الترجمة إلى قسمين.

الفـترة الأولى تمتـد من تـاريخ بدايـة الشـواهد المكتوبـة على النشــاط الــترجمي وتضــم مجموعــة من النصــوص لشخصيات مشهورة في عالم الفكر والثقافة والأدب من أمثــال شيشــرون و إيرونيمــوس ولــوثر ودريــدن وتيتلــر

67 "La traduction, orale ou écrite, est aussi ancienne que la parole et que l'écriture. L'ethnologue ne trouve guère de tribu si isolée qu'elle n'ait entrés en contacte avec une autre langue différente et en son sein quelques locuteurs bilingues. On possède les textes de traités signés par les hittites et l'Egypte pharaonique, rédigées en deux langues, qui ont plus de trois mille ans. (..)"
للمزيد من التفاصيل، راجع مقال جورج مونان في " Enciclopedia Universalis

68 أنظر مثلا كلا من طوريس (1994) وغارسيا ييبرا (1994).

وشليرماشـر وبنجـامين وأورتيغـا إي كاسـيت. لكن هـذه النصوص على اختلاف المؤلف والزمان والمكان تشـترك في مجموعــة من النقــاط تجملهــا الباحثــة في تــاريخ الترجمة هورتادو ألبير[69] على الشكل التالي:

- اعتبار التفكير في الترجمـة أمـرا ثانويـا، بينمـا يعتـبر نشاط الترجمة نفسها المهمة الرئيسية.
- غالبية الإسهامات تـتركز في الترجمـة الأدبيـة وتأخـذ شكل أحكام انطباعية.
- التفكير حـول صـيرورة الترجمـة ينبـني على ثنائيـات جامدة، مستحيلة التوفيق في غالبيــة الترجمـات من قبيل: ترجمة حرفية/ترجمة حرة، واعتبارا من عصــر النهضة، انتشرت ثنائية الوفاء/الخيانة.

وتواصل هذه الباحثة التي ألفت مجلدا ضخما حول تطـور نظرية الترجمـة عـبر العصـور تقييمهـا لهـذه الفـترة كمـا يلي:

- مواقــف جامــدة: تعتمــد على ثنائيــات لا ســبيل إلى تحققهــا في الواقــع من قبيــل: القابليــة للترجمــة/ استحالة الترجمة.

---

[69] هورتادو ألبير، المرجع السابق، ص. 121

- عدم تحديد المصطلحات التي يتم توصيف الترجمة عن طريقها من قبيل: الوفاء وعدم القابلية للترجمة والطريق الأوسط.
- شيوع الإلزام.

فترة اللسانيات

يكاد الدارسون لتاريخ نظرية الترجمة يجمعون على كون القرن العشرين قرن ازدهار الترجمة بامتياز، ويعزون ذلك إلى سببين أساسيين:

- زيادة الطلب على الترجمة
- التقدم الكبير في علوم الألسن أو اللسانيات

ما من ريب أن القرون الثلاثة الأخيرة شهدت طفرة غير مسبوقة فيما نعلم في تاريخ البشرية في أغلب نواحي الحياة، وعلى الأخص في مجال الاتصال، كما أن تطور الأنظمة السياسية والاقتصادية شكل عاملا حاسما في تزايد الطلب على الترجمة لتلبية الحاجات المتزايدة للتواصل من أجل سير التبادلات التجارية أو سير المنظمات الدولية التي تنوعت وتوسع نطاق اختصاصاتها، وكذا التبادل الثقافي والتواصل الإنساني

الذي أضحى أكثر سـرعة وفاعليـة وكثافـة. ومـوازاة مـع ذلك، فقد تطورت طرائق ترجمية كانت محدودة الأهميـة في الماضي مثل الترجمة الشـفهية والتتبعيـة والترجمـة. ولربمـا كـان القـرن الحـادي والعشـرين قـرن الاتصـال بامتياز، فقد شهدت تقنيات ووسائط الاتصال ثورة كبـيرة وسريعة مازلنا نعيش فصول وتيرتها المحمومة.

وعلى الرغم من الهيمنـة الواضـحة للغـة الانجليزيـة على السـاحة الدوليـة، غـير أن الحاجـة إلى الترجمـة مـازالت قائمة إلى حد كبير في العالم المعاصر.

تطور علم اللسانيات أو الألسن

على الـرغم من العلاقـة البديهيـة، من حيث المبـدأ على الأقل، فإن تطـور علم الترجمـة باعتبـاره فرعـا من علم الألسـن لم يكن تلقائيـا ولم يـواكب بـدايات علم الألسـن الحديث كما نعرفه اليوم.

وتجدر الإشارة في هذا السـياق إلى كـون حلقـة الوصـل الأولى بين نظريـة الترجمـة وتطـور اللسـانيات الحديثـة وقعت من جـراء حـدث سياسـي ضـخم هـو "الثـورة البولشـفية"، فقبـل حـدوث الثـورة في 1917، كـانت

الطروحــات الســائدة في الســاحة العلميــة الروســية مستوحاة من نظريات شليرماشر وهومبولت منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر. ولعل المســاهمة الأعظم في هـذه "الثـورة الترجميـة" كـانت مشـروع ترجمـة الآداب العالمية الذي عهد به البلاشفة للكاتب ماكسـيم غـوركي، وكانت مقدمة هذا الكاتب للمجموعة المترجمـة بـذرة تم تطويرهــا من قبــل معاونيــه من أمثــال شوكوفســكي وكوميلـوف وفيـدوروف، لكن هـذا الأخـير سـوف يعمـل على تطوير النظرية بالتوجه أكثر نحو اللسانيات[70].

أما فيما يخص العلاقة بين اللســانيات ونظريـة الترجمـة، فلاشك أنها عضوية من منطلق أن اللســانيات علم وضـع لنفسه مهمة الدراسة المنهجية للظواهر التي تمس اللغة بشكل عام، وبالتالي فاهتمامها بالترجمة باعتبارهـا فرعـا تطبيقيا، مرتبطا بالخواص النحوية للغـات وكـذا دراسـات النحو المقارن للغات.

وعلى نفس النحو، يمكن القول أيضا أن الترجمة شـكلت أحد العوامل الحاسمة في تطور علم اللسانيات الحديث، فقد شكلت الدراسـات التاريخيـة النحويـة المقارنـة أحـد الروافــد الأساســية في تطــور علم اللســانيات، وتجــدر

[70] أنظر هورتادو ألبير، المرجع السابق، ص. 120-121.

الإشارة في هـذا السـياق إلى دراسـة السـير وليم جـونز حول اللغة السنسكريتية، والتي مكنت من تحقيق طفـرة نوعية في تصنيف اللغات.

غير أن هذا الارتباط بين العلم وموضوع الدراسة لم يكن تلقائيـا، بـل إن جـورج مونـان يـذهب إلى تقسـيم هـذه العلاقة إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: تمتـد إلى والعقـود الأولى من القـرن العشرين، واقتصرت فيها إسـهامات أبـرز اللسـانيين في الغـرب على "ملاحظـات متنـاثرة هنـا وهنـاك، ونصـائح منهجية وتأملات حرفية"[71].

المرحلـة الثانية: تـزامنت مـع نهايـة الحـرب العالميـة الثانية حيث تزامنت الحاجة إلى الترجمـة مـع ظهـور أول المؤلفات التي اختصت بهذا المجال، على يد مؤلفين من أمثـال فيـدوروف وفينـاي وداربلـني وكـاتفورد ونايـدا وغيرهم[72].

لكن وجب أخذ تصنيف مونان بكثير من الحـذر، فلا يمكن اعتبار هـذه المؤلفـات دراسـات مكتملـة حـول الجـوانب

[71] في مقدمة كتاب مارغو، **Margot**, J. C., 1987, *Traducir sin traicionar*, Ed. Crisitiandad: Madrid ، وهذا ينطبق على أبرز علماء اللسانيات في بداية القرن العشرين من أمثال سوسير وماريتيني وتروبتسكوي، ولربما كان الوحيد من بين جيل "الرواد" الذي يسلم من هذا التصنيف هو جاكوبسون الذي عبر مقاله "في الجوانب اللغوية من الترجمة" (1959).

[72] أنظرمؤلف راباداں *Equivalencia y traducción: problemática de la equivalencia translémica inglés-español* ، Universidad de León, 1991

اللسانية من الترجمـة، وقـد اختـار المؤلفـون العديـد من التسميات لموضوع دراساتهم مثل: نظرية الترجمة، علم الترجمـة، علم اللغـات المقـارن. لكن وجب وضـع هـذه المقاربـــة في ســـياق تطـــور علم اللســـانيات، حيث إن البنيويـة كـانت النظريـة السـائدة في حينـه. وعليـه فقـد كـانت المقترحـات بالدراسـة العلميـة تـتركز في مقارنـة البنيات اللغوية والدلالية، وإمكانيات وجـود عناصـر لغويـة عالمية في اللغات. (كاربونيل 1999: 51)

هذا وقـد تـوجهت الدراسـات اللسـانية، ومعهـا تطبيقاتهـا الترجمية أيضا صوب التيارات التوليديـة والتحويليـة الـتي مثل كتـاب نعـوم تشومسـكي "بنيـات تركيبيـة" (1957) محطتها الفارقة.

هذا وقد شكلت المقاربة التي تعتمـد على الجملـة فقـط وحدة للتحليل وفق منهج يوازي مناهج العلـوم الطبيعيـة، إذ تعمد إلى تحليل لا يتجاوز حدود العبارة الواحدة وتبـني طروحاتها على هذه النتائج.

علاوة على هذه اللحوظـة الخاصـة بنوعيـة المقاربـة، فلا يجدر بنا إهمـال كـون الدراسـات اللسـانية كـانت محفـزا كبيرا للعمـل الـترجمي، حيث أن المقارنـات النحويـة بين

اللغــات كــانت تقتضــي القيــام بعمــل ترجمــة للأمثلــة المقترحة للتحليل.

ومــع مــرور الــوقت والتطــور الحاصــل في الدراســات اللســانية بــدا واضـحا أن هـذا العلم الحـديث النشـأة هـو الأكثر ملاءمة لدراسـات الترجمـة، وكـانت هـذه الأبحـاث ترمي إلى تطبيق الدراسات البنيوية داخل اللغة الواحــدة على الدراسات المقارنة بين اللغات، أو بتعبير كاربونيل:

" إن إنشـاء نظـام بـنيوي يقتضـي إحـداث منظومـة من العناصــر المحــددة بــالنظر إلى علاقتهــا بكــل واحــد من عناصر النظام" [73]

وعلى الضفة الأخرى من المحيـط الأطلنطي، كـان ثمـة تيار آخر يبحث عن حلـول لمعضـلات اللغـات، وذلـك عن طريق تطبيق نماذج المعادلات الرياضية على النحو، فيما ســمي بالنظريــات التحويليــة والتوليديــة، وكمــا يعلــق كاربونيل، فإن:

"يطمح هذا النحـو إلى التحـول إلى نمـوذج كفء، أي أن يتحول إلى آلية لتخريج عدد لا نهـائي من الجمـل انطلاقـا من عدد محدود من القواعد والبنيات". [74]

---

[73] أنظر **Carbonell**, O., (1999), *Traducción y cultura, De la ideología al texto*, Salamanca: Ediciones Colegio de España.. ص. 51.

[74] المصدر نفسه، ص. 51.

ولعـل العامـل المشـترك بين النظريـات اللسـانية الـتي عمـرت ضـفتي الأطلسـي طـوال عقـود هي كـون هـذه النظريـات ذات مقاربــة صــارمة على مســتوى الجملــة الواحدة والتي تعتبر الوحدة الأساسية للتحليــل المنهجي، علاوة على ذلك، فإن هـذه النظريـات تشـترك في كونهـا تطمح إلى تطبيق منـاهج العلـوم الطبيعيـة على اللغـات، أي الاحتكام إلى دراسات تفضي إلى التوصل إلى قواعـد محدودة العدد، يمكن البرهنة عليها ونتائجهـا متطابقـة إذا تم تجريب نفس العناصر في ظروف متطابقة.

غــير أن هــذه النظريــات والمنــاهج العلميــة الــتي أثبتت نجاعتها في تحقيق طفـرة في الكيميـاء أو الفيزيـاء مثلا، قد أثبتت محدودية النمـاذج التحليليـة الـتي قـدمتها أثنـاء تطبيقهـــا على لغـــة التواصـــل الإنســـاني وفـــق أغلب الدارسين، والدليل على ذلك النتيجـة المحـدودة أنـه بعـد الحرب العالمية الثانية، وفي ظـل السـباق المحمـوم بين المعسـكرين الشـرقي والغـربي، والـتي أدت إلى تزايـد الأبحاث حول الترجمة الآلية. ويقـول مونـان أن البـاحثين في هــذه الــبرامج من المناطقــة والمعلومــاتيين تلقــوا دورات تــدريب ســريعة في مبــادئ اللســانيات وذلــك لاخـتراع "آلات ترجمـة" قـادرة على تحليـل وتقـل الآلاف

من النصـوص يوميـا من لغـة إلى أخـرى لتلبيـة الطلب الهائل على الترجمـة في فـترة الحـرب البـاردة، غـير أن النتائج التي خلصت إليها جعلت البـاحثين يصـابون بمـزيج من "التشـاؤم" من نجاعـة الحـل وكـذا "التسـرع" في العمل[75].

ويصف حاتم وميسون منهجية عمـل البـاحثين في إعـداد البرامج الحاسوبية للترجمة الآلية على الشكل التالي:

" بـدل المبـادرة إلى فحص دقيـق لعمليـة الترجمـة كمـا يقوم بها المترجمون الآدميون، فإن الأبحاث الأولى حـول الترجمـــة الآليـــة آثـــرت التركـــيز على مشـــاكل تحليـــل التراكيب وحل مشاكل تعدد المعاني في جملـة تسـتخدم عينـة (...) وقـد تم اعتبـار مفهـوم السـياق غـير قابـل للتحليل، وبالتالي فهي خارج مجال قدرة الآلات". [76]

ويخلص مونـان في نهايـة تقييمـه لهـذه الدراسـات إلى مقولـة شكسـبيرية للتعبـير عن المـأزق الـذي واجهتـه النظريات اللسانية ذات الطبيعة البنيوية حيال الترجمة:

---

[75] راجع رابادان، المصدر نفسه.

[76] **Hatim**, **B. & Mason**, I. (1990-1995), *Teoría de la traducción, una aproximación al discurso*, traducción de Salvador Peña, Ed. Ariel: Barcelona. . ص. 37.

"وعليه، فإنها وجـدت نفسـها أمـام خيـارين: الأول يتمثـل في الإعلان عن الاسـتحالة النظريـة للترجمـة والسـقوط في التنـاقض المنطقي على أرض الواقـع في ظـل آلاف الترجمـات الـتي تتم يوميـا، والثـاني، وهـو أيضـا يقتضـي تضحيات لا يستهان بها، أن تضع جانبا معطياتهـا النظريـة وتقوم بدراسة الترجمة دون أية أحكام مسـبقة، مـع كـل التبعات التي تنجم عن هذا الخيار.

ومـع ذلـك، وجب التنبيـه إلى كـون هـذا الجيـل الأول من المنظرين في مجـال الترجمـة لم يكن حرفيـا في التقيـد بالحدود النظرية للمقاربة البنيوية، بل إن بعض المـؤلفين من قامة نايدا وكاتفورد ضمنوا دراساتهم إشارات عديـدة إلى السياق الثقافي والإثـني واللغـوي لكونـه جانبـا يلـزم أخذه بعين الاعتبار[77].

[77] تورد الباحثة هورتادو ألبير، نفس المصدر 2002، ص. 126-127، ستة اتجاهات كبرى في النظريات التواصلية على الشكل التالي:

1. اللسانيات المقارنة التقليدية، وريثة الدراسات اللغوية بين فترات زمنية مختلفة لمختلف العناصر النحوية والمفردات والتراكيب، وغيرها. ويعد كتاب غارسيا ييبرا (1982) *Teoría y práctica de la traducción*
2. تيار الدراسات الأسلوبية الذي يتوخى تطبيق مبادئ الدراسات الأسلوبية في على النصوص المترجمة من لغة لأخرى، ويعد كتاب *La stylistique comparée du Français et de l` Englais* لفيناي وداربلنت (1958) مثالا حيا على هذا التيار.
3. الدراسات المقارنة لبعض العناصر النحوية من وجهة نظر الأسلوبية المقارنة (Chuquet y Paillard 1989).
4. تطبيقات نظرية الترجمة على نظريات متعددة للتحليل النحوي مثل تطبيقات غارنيير (1985) للنظرية المنهجية للنحو لغيوم ونظريات المستويات لهاليداي وكاتفورد (1965).
5. التيارات الدلالية، وأهمها تطبيق لارسون (1984) ونايدا (1975) استخدمها أيضا.
6. التيار السيميائي الذي يعتبر الترجمة عملية تحويلية لنظامين للعلامات، ومن أهمها إسهامات كل من لدوسكانوف (1969); وأركايني (1986) بين الرمز اللغوي والرمز الأيقوني.

غير أن المحاولات، على الرغم من قيمتها المضافة الـتي لا تنكر، خصوصا من وجهة نظر تعليم الترجمـة، فهي في المحصلة لا تعدو كونها فرعا تطبيقيا لاختبار مـدى نجاعـة التحليلات التي لا تتعدى نطاق الجملة الواحدة، وذلك في غياب شبه تام للأبعاد التواصلية التي تشكل محـور عمـل المترجم الآدمي. وهذا مـا سـتركز عليـه النظريـات الـتي أخـذت في التشـكل مـع سـتينيات القـرن الماضـي إلى اليوم.

النظريات التواصلية للترجمة

كما سـبق وأسـلفنا في السـطور السـابقة، فقـد شـهدت الدراسـات اللسـانية جملـة من الإسـهامات الـتي أغنت مسارها، ومضت بها نحـو مجـالات أرحب من الدراسـات التطبيقيـة، ومن بينهـا نظريـة الترجمـة. غـير أن الجـدير بالإشارة في هذا السـياق أن هـذا التحـول إلى "صـرعة" في اللسانيات لا يمكن حصره في فـترة زمنيـة معينـة أو تحديد تاريخ لبدايته، فالتطورات في العلـوم عـادة تكـون محصلة الكثير من الإسـهامات الـتي تأخـذ زخمـا معرفيـا بشكل تـراكمي، وتكـون لهـا إرهاصـات ومحـاولات أولى،

إضافة إلى مراجع يمكن أن تكون بعيدة من الناحية الزمنية.

وعليه، فإن منحى النظريات اللسانية عموما شهد تغيرا عاما منذ الستينات، وذلك نتيجة للطفرة الكبيرة في نماذج التحليل والقياس إلى اللسانيات النصية واللسانيات المعرفية، وكذا الطفرة الهائلة في بعض الفروع المعرفية لعلوم اللغة مثل البرغماتية والتواصل الثقافي وتحليل الخطاب، وكل هذه التطورات والمستجدات كان لها دور في تطور نظرية الترجمة باعتبارها دراسة تطبيقية للسانيات[78].

هذا ويكمن تحديد ملامح التطور الذي شهدته اللسانيات نحو نماذج أكثر تواصلية:

- تعدد المقاربات: لقد أصبحت الدراسات اللسانية عبارة عن مجموعة من البحوث من مختلف الشعب والدراسات، سواء من العلوم الطبيعية، أو من العلوم الإنسانية، وذلك لتحديد العوامل المختلفة والأبعاد المتداخلة في العملية الترجمية.

---

[78] أنظر مثلا كتاب رايس وفيماير، **Reiss, K. & Vermeer**, V., (1984 [1996]), *Fundamentos para una teoría funcional de la tradución*, Madrid: Akal Universitaria. (1990).

- توسـيع وحـدة البحث والتحليـل: لقـد تـزامن هـذا التوسـيع في نطـاق الشـعب العليمـة المتدخلـة في الدراسات مع توسيع في عينة الدراسة، فقد تحـولت من الكلمـــة إلى الجملـــة، وتوســعت لتأخـــذ منحى أشـمل (اللسـانيات النصـية، الدراسـات البرغماتيـة، تحليل الخطاب).

في تقديمه لكتاب فان دايـك لسـنة (1980) (الـذي يعـد أحد رواد هذا التحول في المنهج)، يقول غارسيا بيريو[79]:
" والحقيقـة أن إعلان النص باعتبـاره وحـدة أكـبر وأعلى من العبـارة، يعـني بالضـرورة تجـاوز المقولـة الأساسـية التي انبنت عليها النظرية التوليديـة للـتراكيب، سـواء في نسـختها التشومسـكية أو في التعـديلات اللاحقــة الــتي شملت النظرية الأصلية"

وفي المحصلة، فإن هذه الدراسات حـاولت توسـيع أفـق البحث في تعقيـدات اللغــة أمــام القصــور الواضــح في النظريات التقليدية لعلـوم اللسـانيات ونماذجهـا النحويـة التي سادت في العقود الأولى من القرن العشرين.

ففي توصـيف للمشـهد الحـالي في الدراسـات المهتمـة بعالم الترجمة، يؤكد أننا:

[79] Van Dijk, T., 1980, *Texto y contexto* . Madrid: Cátedra

"أكثر من أي وقت مضى، توجد (دراسات الترجمة) في مفترق الطرق لعدة تخصصات معرفية، وأي محاولة تحديد اعتباطية بشكل من الأشكال لن تكون مجدية في الوقت الراهن لتطور المقاربات في مجال دراسة اللغات الحية"[80]

لا يفوتنا بعد إيراد هذه العبارات لغارسيا بيريو التنويه بالوعي المتزايد لدى دارسي الترجمة بضرورة توسيع أفق الدراسات (ولو كان ذلك على حساب الدقة الإمبريقية التجريبية التي ميزت الدراسات اللسانية في أول عهدها) لمقاربة الجوانب المختلفة للظاهرة المعقدة التي تمثلها اللغات الإنسانية.

أهم المحطات في تطور دراسات الترجمة

نود في هذا الفصل تقديم لمحة عامة عن المحطات الفارقة في صيرورة التغيرات التي طالت دراسات الترجمة وانفتاح أفق هذه الدراسات ليشمل العديد من فروع المعرفة الإنسانية. وتجد الإشارة إلى أن هذا التحول كان بطيئا وكان لزاما على المدافعين عنها القيام

[80] نفس المرجع، ص. 23

بمراجعة للعديد من مسلمات التحليل اللساني "التقليدي" لإقحام العلوم الاجتماعية في المقاربات الخاصة بدراسات الترجمة.

1. اللسانيات النصية

لعل أهم ما حملته الرياح الجديدة التي هبت على دراسات الترجمة وغيرت من ملمحها ومقارباتها هو ما يمكن أن يسمى بإنهاء "احتكار" اللسانيات، في مفهومها التقليدي المبني التركيبي، لدراسات الترجمة، وقد تم هذا الأمر وفقا للدارسين وفق مسارين أساسيين:

- اعتبار أن اللسانيات قد وسعت من نماذجها التحليلية للإفادة من إسهامات العلوم الإنسانية من علم الاجتماع علم النفس والتواصل والنقد الأدبي، أو التجريبية مثل علم الأعصاب.
- أن العلوم الاجتماعية النفسية والأدبية قد أفادت من تطور اللسانيات في دراساتها عبر شعب مزدوجة تحمل اسم اللسانيات الاجتماعية (السوسيولسانيات في تسمية المغاربة) أو اللسانيات النفسية (سيكو لسانيات).

ومهما يكن من أمر، فإن الحقيق أن ثمة صيرورة للتقارب بين الدراسات والشعب ونحوا واضحا إلى نماذج هجينة أو اعتماد مقاربات متعددة يتم التوفيق بينها لبلوغ غايتها.

في هذا الصدد، لزم التأكيد على أن أواسط السبعينات شهدت حراكا بحثيا يرمي إلى توسيع النماذج التحليلية، أطلق عليه الدارسون اسم اللسانيات النصية. وفي هذا السياق، يقول كل من بوغراند ودريسلر:

"إن النص يعد واقعة تواصلية تحقق الشروط السبعة للنصية، وإذا لم يحقق النص أحد هذه الشروط، لا يحق اعتبار النص تواصليا"[81] (بوغراند ودريسلر، 1981:35)

وقد فتحت هذه المقاربة الباب على مصراعيه، عبر التركيز على النهج التواصلي في الحكم على الظواهر اللغوية[82] إلى التركيز على قضايا السياق والاستخدام اللغوي اليومي بدل التركيز على التحليل التجريدي.[83]

---

[81] **Beaugrande, R., A., & Dressler, W., U.,**1997, Introducción a la lingüística del texto, Ed. Ariel: Barcelona.

[82] يحدد روبير دي بوغراند المعايير السبعة التي تجعل النص نصا وأساس لإنتاج النصوص واستعمالها، هي السبك (أو الترابط النحوي) والالتحام (الترابط المفهومي والمعنوي) والقصد (قصد المتكلم إيصال رسالة إلى المخاطب) والقبول (قبول المخاطب للنص من حيث هو كيان منسبك متلاحم) ورعاية الموقف (ويتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد) والتناص (ويتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به)، والإعلامية (الإخبار). أنظر كتاب روبير دي بوغراندي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2007.

[83] مع ما تقدم في هذه الفقرة، فلا يجوز التعميم بأن كل الدارسين على صعيد واحد من حيث اتباع "الصرعات" اللسانية، بل هو توصيف عام للاتجاهات الكبرى لتطور الدراسات اللسانية. وتجدر الإشارة إلى مجموعة من الباحثين الذين يمكن أن يصنفوا في إطار "الرواد" أو المناوئين للتيار الغالب في زمن معين مثا باختين وبالي ومالينوفسكي، الذين أفردوا جزء من دراساتهم لجوانب متعلقة بالسياق، وقد كانت هذه الدراسات بكل تأكيد أساسا لتلك التي ستليها إلى الوقت الحاضر:

تجدر الإشارة في هذه النقطة على الخلاف الحاصـل بين الدارسـين في قضـية التسـمية، فقـد ذهب بعضـهم مثـل رينكيما (1993) إلى تسميتها بدراسات تحليـل الخطـاب بدل اللسانيات النصية.

لكن لا مشاحة في الاصـطلاح مـادام النظـر في النمـاذج التحليلية والأطروحات النظرية متسقا.

ويـرى الباحثـان بوغرانـد ودريسـلر في مراجعتهمـا لأهم الدراسات الصادرة في هذا المبحث أن بدايـة الدراسـات اللسانية النصية المعتـبرة كـانت في أواسـط السـتينيات، مـع بحث رونالـد هـارفغ (1968) بخصـوص "الاسـتبدال" الـــذي يمكن أن يحصـــل للعبـــارات المتضـــمنة في نفس النص، مـــــع محافظتهـــــا على خاصـــــيتي التجـــــانس والانسجام[84]. ويشيران أيضا إلى كتابـات كوسـيريو (1956-1966) وبايــك (1967) وهارفيــك (1968) وهــوش (1971). وتحت راية التيار التحويلي، قـام كـل من كـاتس وفــودور (1963) الــتي تفيــد بضــرورة فهم النص ليس بوصفه مجموعة من الجمـل مرتبطـة بـأدوات ربـط، بـل باعتباره جملة طويلة مكونة من وحدات مرتبطة بروابــط

[84] خاصيتا التجانس والانسجام تعتبر أحد الركائز السبعة للنصية، أي الشروط اللازمة لكي يعتبر النص كذلك من وجهة النظر التواصلية، وسيأتي بيان الأركان السبعة في هامش لاحق.

زمنية، دون إغفال أعمال كل من كارل هيدولف (1966) وهورست إيزنبرغ (1968-1971)[85].

بيد أن نقطة البداية الحقيقية لهذه الدراسـات تمثلت في اجتمـاع عـدد من البـاحثين سـنة 1972 في جامعـة كوستانزا (هولندا) من أمثال هـانز ريسـر وبيـتر هارتمـان ويوناس بيتوفي وتيون فان ديك ويينس إيهوي ووولفمـان كوك، وهي المجموعة التي ستعرف فيما بعـد بمجموعـة كوستانزا.

بعد القيام ببعض البحوث التي يمكن اعتبارها "تمهيديـة"، وضـع البـاحث تيـون فـان ديـك كتابـا حاسـما في تطـور اللسـانيات النصـية *Some aspects of text grammar* يـدعو إلى توسـيع النمـوذج النحـوي إلى المجـال النصـي، وقـد لجـأ في ذلـك إلى اللسـانيات المعرفية لتفسـير العديـد من عمليـات التعميم والتجريـد التي يقوم بها المتلقي لاستخلاص البنيـات الكـبرى للنص انطلاقا من البنيات الصغرى[86].

هذا وقد عمد باحثون آخرون مثل كالساميغليا وتوسـون (1999) إلى تصـنيف للشـعب المعرفيـة الـتي قـدمت إسهامات للدراسات اللسانية من الأنثروبولوجيا اللغويـة،

[85] للمزيد من التفاصيل، راجع كتاب دريسلر وبوغراند المذكور، ص. 59 وما يليها.
[86] للمزيد من التفاصيل، راجع كتاب دريسلر وبوغراند المذكور، ص. 64 وما يليها.

وعلم الاجتماع، وتحليـل الحـوار، واللسـانيات الاجتماعيـة التفاعلية واللسانيات النفسية والفكر الفلسـفي ونظريـة مبدأ التعاون لغريس ونظرية الأهميـة لسـبربر وويلسـون ونظريـة المواضـعات الاجتماعيـة لغوفمـان والبرغماتيـة اللغوية[87].

أمـا في الاتجـاه المعـاكس، فقـد شـهدت اللسـانيات في مفهومها الكلاسيكي طفرة نوعية مع أعمـال جاكوبسـون فيمـا سـمي باللسـانيات الوظيفيـة، ولا ننسـى أعمـال هاليداي (78 و 85) حـول الوظـائف الكـبرى للغـة. وقـد أشـرنا سـابقا إلى اللسـانيات النصـية، لكن يجـدر بنـا أن نضيف أيضا البلاغة الحديثة من خلال مفاهيم المواضعات وقواعد الأجناس الأدبية.

2. الاتجاهات الحديثة في دراسات الترجمة

على غـرار تطـور الدراسـات اللسـانية، فـإن دراسـات الترجمة، باعتبارها شعبة تطبيقيـة لدراسـات اللسـانيات، فقـد شـهدت مجموعـة من التحـولات الـتي سـارت في اتجاه نماذج متعددة الاختصاصـات في محاولـة لاسـتكناه الأبعاد المتعددة لظاهرة الترجمـة باعتبارهـا فعلا تواصـليا

[87] لتفاصيل أوفى عن النظريات، راجع الجرد الوارد في كتاب كالساميغليا وتوسون (1992) (Calsamiglia y Tusón, 1999: 22-23)

وبرغماتيـــا نصـــيا وثقافيـــا، من خلال النمـــاذج الوصـــفية والتحليلية التي تعتمدها.

سنحاول في السطور اللاحقة رصد أهم الإسهامات الــتي مثلت محطات فارقة في هذا المجال، والـتي سـارت في اتجاه الانفتاح والاستفادة من تطور هذه الدراسات.

وفي هذا الصدد، تقول الباحثـة هورتـادو ألبـير في سـياق حديثها عن البعد التواصلي للترجمة:

"إن الترجمة، مثل أي نص، تعتـبر وحـدة لغويـة تواصـلية تتم دوما في سياق اجتمـاعي، وتتـأثر بالعوامـل المـؤثرة في الفعــل التواصــلي، فالترجمــة إذن تتم داخــل ســياق معين وتقوم بوظيفة محددة".[88]

ومن وجهة النظر التواصلية، يتم تقسيم عناصر أية عملية تواصلية في مرسل ورسالة ومستقبل. وفي تطبيق أولي لهـــذا النمـــوذج، يمكن القـــول أن مقاربـــة اللســـانيات "التقليديـــة" قـــد ركـــزت في دراســـاتها على المرســـل والرســـالة وتجـــاهلت أو قللت من أهميـــة الطـــرف المسـتقبل إضـافة إلى سـياق ومحيـط التواصـل. وهـذه بالضبط هي النقـاط الـتي اسـتعادتها الدراسـات الحديثـة مانحة إياها موقع الصدارة.

---

[88] هورتادو ألبير، نفس المرجع، ص. 507.

لكن تجدر الإشارة، كما يحدث غالبا في هـذه الخلاصـات، أنــه لا يمكن أن نتحــدث عن "ولادة" هــذه الأطروحــات دفعــة واحــدة، بــل إن ثمــة مجموعــة من الإرهاصــات والأفكار المتناثرة من قبل منظـرين للترجمـة قبـل فـترة طويلة، مثل كتابات تيتلـر (1790)، وبشـكل أوضـح لـدى الدارســين في القــرن العشــرين مثــل نايــدا ومــارغو وسيليســكوفيتش وبيرنييــه ورايس وفيرميــير (1996)، إضــافة إلى إســهامات كــل من نــورد (1988-1991و 1997) وهولز مانتاري (1984)[89]، و هيوسون ومارتين (1 991)، وهـــاوس (1977 و 1985) ونموذجـــه التحليلي المعتمد على التطابق وعدم التطابق ومفهوم التفاوضية، وكذا لوفوفسكايا والتي أكـدت كلهـا على ضـرورة إفـراد العنايـة الكافيـة للمتلقي للترجمـة وسـياقها أي ظـروف إنتاجهـا (أي الشـروط العمليـة والاقتصـادية الـتي تحكم عمل المترجم) باعتباره عوامل فاصلة في المنتج النهائي المتمثــل في النص باللغــة الهــدف، علاوة على النســق السيميائي الخاص بكل ثقافة على حدة.

أمــا فيمــا يخص الإســهامات الوافــدة من مجــال النقــد الأدبي، يمكن الإشـارة إلى الكتابـات المتمـيزة لمدرسـة

[89] راجع تفاصيل أكثر عن هذه التيارات في كتاب هورتادو ألبير، نفس المرجع، ص. 512.

"التلاعب الأدبي" وأبرز مؤلفاتها "التلاعب في الأدب لـتيو هيرمـــانس (1985)، إضـــافة إلى مدرســـة "النظم المتعددة" لجامعـة لوفاينـا وتـل أبيب، والـتي أفـادت من كتابات كل من سوزان باسنت وأندري لوفيفـير، الداعيـة إلى نمــوذج تحليلي وصــفي للنظم الأدبية[90]. ومن جهــة أخرى فإن التفكـير الفلسـفي في اللغـة كـان دومـا أحـد الروافد لفهم جديد للغـة، عن طريـق نظريـات "تقـويض البنـــاء" انطلاقـــا من كتابـــات دريـــدا (1985) وفيـــدال كلارامونتي (1989)[91].

وتذهب هذه النظريات بعيدا في مساءلة التقسـيمات بين اللغـات، معتـبرة النظـام الثقـافي أو الأنظمـة الثقافيـة المتعددة ليست جامدة بل حية ودائمة الحركيـة، وتخضـع لتفــاوض مســتمر أثنــاء الفعــل التواصــلي. وفي حــال الترجمة، تذهب إلى أن هـذه الديناميـة للفعـل التواصـلي تــرهن عمــل المــترجم لأن يكــون عملا نســبيا، وتجعــل الترجمة بمثابـة إمكانيـة لتحقـق نص في لغـة أخـرى من بين إمكانيـات عديـدة، وفقـا لقواعـد الالـتزام والتفـاوض المتغير من حالة تواصلية إلى أخرى[92].

---

90 لمزيد من التفاصيل، أنظر الكتاب الجامع للباحثة هورتادو ألبي، ص. 558-560.

91 للحصول على معلومات حول المؤلفات المشار إليها، المرجو الاطلاع على فهرس المراجع في نهاية المؤلف، أو الاطلاع على فهرس الكتب الهائل لمؤلف هورتادو ألبير المذكور.

92 راجع كتاب الباحث الإسباني كاربونيل المذكور، ص. 269.

وتجدر الإشارة إلى وجود عدة نظريات للتواصل الثقـافي ودينامياتـه ضـمن الدراسـات اللسـانية، أنهـا تعـود لبدايـة القرن العشرين، حيث ذهب دارس الباحث فرانـز بـواس إلى كــون التقســيمات النحويــة غــير ثابتــة في اللغــات المختلفة، بل إن كل لغة تحـدد تقسـيماتها النحويـة وفقـا لتجربتهـا الخاصـة، كمـا يشـير إلى علم الأعـراق الـدلالي وإســهامات كــل من ســتيفن تيلــر (1969) و وروناــد كاسون (1981) وكذا النظريات المعرفية التي تربط بين التقسـيمات الذهنيـة واللغويـة المقارنـة بين اللغـات(عن طريق السيناريوهات الذهنية والنماذج الذهنية)، ودراســة المحاورات مع الدارس هيمز (62-70-72) مـع الاهتمـام بدور السياق، وكذا أعمـال باباسـتيرخياديس و فـان ديـك وكينتش في طرق تلقي النصـوص المنتميـة إلى ثقافـات أخـــرى والعمليـــات الذهنيـــة للمتلقي وفقـــا لتصـــوره و"افتراضـــــاته" عنـــــد تلقي نص معين[93] (كاربونيـــــل، 1999:269).

وختامـا، نـود أن نشـير إلى مدرسـة تمـيزت في دراسـة تاريخ الترجمة من وجهة نظر نقدية ذات طـابع نسـواني. وإضــافة إلى نقــدها للطــابع الأبــوي الــذي يحكم النحــو

[93] راجع كتاب الباحث الإسباني كاربونيل المذكور، ص. 269.

والمجاز في اللغات، فقد أشارت إلى انطباع هذه النزعة أيضا في الترجمة من أمثال جون دوليزل، وليفن دولست[94]. غير أن ما يهمنا أكثر هي الدراسات القيمة التي قام بها رواد هذه المدرسة للتعرف على ظروف عمل المترجمين والظروف الزمنية والمكانية لعملهم، ومدى أثرها في إنتاجهم الترجمي[95].

خلاصات

في متم هذا المبحث، نود التأكيد على مجموعة من الخلاصات:

- إن دراسات الترجمة حقل معرفي متشعب وقائم بالذات منذ زمن طويل، وله من التراكم العلمي والمعرفي ما لا يسع أحدا أن يتجاهله وهو يتطرق لموضوع الترجمة خصوصا في قضية هامة وحيوية بالنسبة للدعوة الإسلامية مثل الحكم على مدى شرعية ترجمة القرآن الكريم.
- إن التصنيف الشائع عند عدة مؤلفين في ترجمة القرآن الكريم والمستند إلى الثنائيات والتقابلات

[94] راجع مختلف مؤلفات دوليزل في فهرس المراجع أو مقالا له حول أهمية تاريخ الترجمة في التدريس (يلخص مقولاته) في نفس الفهرس (2003).

[95] وجب التنويه في هذا السياق بدراسة قيمة للمؤرخ ديميتري غوتاس حول ظروف الترجمة والمترجمين في العصر العباسي والسياق التاريخي لهذه الترجمات وتبعاتها الفكرية والسياسية، تحت عنوان: الفكر العربي والثقافة اليونانية، تعريب د. نقولا زيادة، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2003.

الترجمية قد كان سائدا منذ القرن التاسع عشــر إلى أواسط القرن العشرين من قبيل: الترجمية الأمينــة/ الترجمة الخائنة، الترجمة الحرفية/ الترجمــة الحــرة، ونشـــير بـــالأخص إلى ثنائيـــة الترجمـــة الحرفيـــة/ التفســـيرية. فهـــذه الثنائيـــة من وجهـــة نظـــر علم الترجمة لا تعتبر باي حال من الأحوال نوعا من أنواع الترجمــة بقــدرما تعتــبر حلــولا ترجميــة لحظيــة في سياق توصيف ترجمة لجملة أو تعبير معين.

- إن دخول اللسانيات على خــط دراســة الترجمــة قــد أحدث قفزة نوعية في هذه الدراسات، بحيث أضفى نوعا من المنهجية العلمية على نشاط الترجمة الذي اعتبره أحد الشعب التطبيقية لعلم اللغة.
- إن تطور اللسانيات قد أفضــى بهــا إلى أخــذ مســافة من التوجهات "الإمبريقية" التي سادت في المراحل الأولى عن طريق توسيع مجال دراستها من البنيــات الصــغيرة (الكلمــة، العبــارة) إلى البنيــات الكبــيرة (النص) للتركــيز على الجــانب التواصــلي للظــاهرة اللغويــة وتطبيقاتــه على التحليلات الترجميــة الــتي تقتضي الانتقال من سنن لغوي لآخر.

- إن هـذا التطـور قـد تـزامن مـع ميـل الدراسـات الترجميـة إلى المقاربـات المتعـددة الاختصاصـات والـتي فتحت المجـال للعلـوم الإنسـانية بفتح مجـال دراسـات الترجمـة على إسـهاماتها في محاولـة لاستكناه الجوانب المتشعبة لهذا النوع من الوساطة بين اللغـات وفـق نظـرة تواصـلية أكـثر شـمولية وتعقيدا.

النموذج التحليلي

بعـد هـذا الاسـتعراض العـام لأهم محطـات تطـور علم الترجمة، والذي يمكننا من تصنيف "النظريات" الـتي يتم تكرارها من قبل الكثير من الباحثين في موضـوع ترجمـة القـرآن الكـريم دون أدنى تمحيص، علاوة على الوقـوف بشكل عام على تطور نظريـات علم الترجمـة وتوجهاتهـا الكبرى.

وفي منحى عملي يمكن من رسم الطريق بشكل واضـح وتقديم نموذج ملموس للأفكار التي عبرنا عنهـا بين ثنايـا هذا الكتاب، نود أن نستعرض النمـوذج النظـري والعملي الذي نقترحه لدراسة ترجمة القرآن الكريم.

وبما أن هذا النمـوذج يتـوخى رسـم معـالم إطـار نظـري يستند إلى الرؤيـة الإسـلامية للقـرآن الكـريم وخصائصـها الاعتبارية، ويفيد من الـتراكم العلمي لنظريـات الترجمـة بطريقة انتقائية بغية تجويـد الترجمـات وتوجيهها الوجهـة الأمثل خدمة للأهداف الدعوية والتبليغية للقرآن الكريم.

ونـــود أن ننبـــه على أنـــه إذا كـــان التصـــور الفلســـفي والمقاصدي الذي سنعرض له في الصفحات التالية يتعلق بالرؤيـة الإسـلامية للقـرآن الكـريم، فـإن بـاقي الأدوات المنهجية المتحصلة من حقول معرفية متعددة من شـأنها أن تكون مفيدة في تحليل وتقـييم ونقـد الترجمـات على اختلاف مشاربها وطرق إعدادها ومنطلقاتها سواء التقنية أو الاستشارية أو الفكرية أو العقدية.

1. الأساس التصوري

لا شك أن منطلـق كـل نمـوذج تحليلي يلـزم أن يكـون إطارا تصوريا يوجه كل النقاط والأفكار الإجرائيـة الـتي تعتبر تجسيدا لهذا التصور وتطبيقا له في الواقع.

ولا شــك أننــا من خلال كــل مــا أســلفنا لا نحتــاج إلى التأكيد على أهمية وجود إطار تصوري دقيق لخصــائص القـــرآن الكـــريم وتبعـــات الخصـــائص على أي عمـــل ترجمي محتمل. ولعل هذا الضبط والتدقيق من الأمـور

التي لا يكاد يتوقف عندها الباحثون الـذين اطلعنـا على أعمـــالهم، ربمـــا اعتقـــادا منهم بأنهـــا أمـــور بديهيـــة محسومة.

وإن كنا نوافقهم على كونها من البداهات الـتي يجـادل فيها أحد من وجهة النظر الإسلامية، غير أن تحليل هذه الخصـائص والنظـر إليهـا من وجهـة نظـر الترجمـة من شأنها أن تسهم في تبديد التحفظ التاريخي للمسـلمين من قضية ترجمة القرآن الكريم.

الاعتبار المبدئي

من وجهة نظر الفلسفة الإسلامية، يعد الفصل الذي خصصه الفيلسوف الإسلامي المعاصر د. طه عبد الرحمن لترجمة القرآن الكريم في كتابه "سؤال العمل" (2012)، والذي وضع له عنوانا موحيا: "القول الثقيل والترجمة التأصيلية"، مرجعا فريدا في هذا الشق "التأصيلي" لنظرية ترجمة القرآن الكريم.

ينطلق د. طه عبد الرحمن من تعريف شقي المعادلة، وذلك من وجهة نظر "العمل" التي تشكل الخيط الرابط للمؤلف: مفهوم الترجمة ومفهوم القرآن الكريم.

بخصوص المفهوم الأول، يقول الكاتب: "معلوم أن ترجمة الخطاب ممارسة علمية صريحة، إذ تبحث في عمليات الفهم والتأويل والإنشاء التي ينطوي عليها نقل القول من لغة إلى قول نظير في لغة أخرى، وتتبع في هذا النقل طرائق وأساليب مقررة وقواعد وقوانين محددة"

ويعد هذا التعريف غاية في العمق لكونه يتضمن العناصر الأساسية لنظريات الترجمة الحديثة، وعلى رأسها اعتبار أننا لا نترجم لغة معينة بل خطابا مخصوصا داخل هذه اللغة، والعمليات الذهنية والإجرائية لتنفيذ الترجمة ودراسة الأعمال المترجمة[96].

أما الخطاب القرآني، فيعرفه في سياق موضوع المؤلف، أي العمل: "كلام عملي بالصورة المثلى، فلم ينزل إلى الناس إلا لكي يتعبدوا به للحق سبحانه ولا تعبد بغير تغلغل في العمل (...)، لا سيما وأنه أنزل من أجل أن ينشئ عملا متميزا جديدا ولو أنه أخذ بأسباب عملية قائمة في المجال التداولي العربي كالأسباب اللغوية"[97].

---

[96] من خلال تتبع المؤلفات العديدة للفيلسوف المغربي، يمكن أن نطلع على مجموعة من الأفكار والتأملات حول عمل الترجمة من وجهة نظر فلسفية جديرة بدراسات رصينة، يبقى أهمها وأكبرها حجما تنظيره للترجمة "التأصيلية" في كتابه فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة" 1995.

[97] نفس المصدر، ص. 191.

وبعد هذا التعريف الذي سيتوسع فيه لاحقا، ينتقل إلى التأصيل لمفهوم القول الإلهي باعتباره "قولا ثقيلا" انطلاقا من قوله سبحانه وتعالى: "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا".

ويفصل طه عبد الرحمن في مفهوم "الثقل" عبر تحديد ثلاثة أركان:

- **التعالي**: وهو خاصية "الملقي" عز وجل، أي ذات قدسية تلقي القول من خارج عالم الحس، لكنها تخاطب كائنات حسية، وبالتالي تخلق كلاما حسيا "متعاليا" من جهة الملقي.

2. **السعة واللاتناهي**: من وجهة نظر "الملقى"، فهو كلام لا ينفد ولا يبلى ولا يحصى ولا يمل.

3. **الكونية**: من وجهة نظر "الملقى عليه"، وهو مجموعة من العوالم الممكنة، أو قل الخلق كله، ممثلا في شخص الرسول الكريم، بما في ذلك عالم الجمادات التي لا تقرؤه كما يقرؤه البشر لكنها تصغي إليه فتهوي خاشعة ساجدة[98].

---

[98] نفس المصدر، ص. 192.

وعكس هذه الأركان التي تميز القرآن الكريم من وجهات نظر مختلفة، تغدو الترجمة "قولا خفيفا" غير متعال ومضمونه متناه ومتلقيه غير كوني.

فإن كانت الترجمة، وفقا للكاتب، قولا أخف عموما من الأصل، فإنها في حالة القرآن الكريم تبلغ منتهى الخفة مقابل الثقل اللامتناهي للقول القرآني.[99]

وفي نفس السياق، يتطرق عبد الرحمن لأنواع الترجمة من وجهة النظر الفلسفية، ويطرح تقسيما مهما من وجهة نظرنا.

- الترجمة التحصيلية: أو ما يسميه "الحرفية اللفظية"، أي نقل لفظ بلفظ.

الترجمة التوصيلية: أو ما يطلق عليه اسم "الحرفية المضمونية"، وتعني الترجمة "معنى بمعنى".

الترجمة التأصيلية: التصرف في المضمون لفظا ومعنى بما يراعي مقتضيات استيعاب المتلقي لها والانتفاع بها.

هذا ويفرد عبد الرحمن الصفحات التالية لرفع اللبس عن أي تأويل "تكافؤي" للتصرف الذي يقصده، ويمثل على ذلك بقراءة في ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة

[99] نفس المصدر، ص. 192

الفرنسية انجزه يوسف الصديق ويعده نموذجا لل"الترجمة التأصيلية الفاسدة".[100]

ولتحديد مفهوم الترجمة "التأصيلية" التي يدافع عنها، يحدد عبد الرحمن مقومات هذا النوع من الترجمة على الشكل التالي:

1. **قلب مفهوم الذات والآخر**: التصور التقليدي بين تكييف الأصل لحفظ الذات أو العكس. فالقول الثقيل ينبغي أن يكون محل "الذات"، والترجمة باعتبارها قولا خفيفا لا يمكن إلا أن تكون محل "الغير" [101] .

وبالتالي، فالترجمة التأصيلية وفقا لعبد الرحمن ليست نقل النص الأصلي للوفاء بمقتضيات المجال التداولي للمتلقي، بل العكس، نقل المتلقي نفسه للوفاء بمقتضيات النص الأصلي.

إنه يعني "تحويل وجهة المتلقي إلى قبلة هذا النص".

وبالتالي لا يكون هدف الترجمة الاستغناء على الأصل بل استشعار الحاجة إلى العودة إليه.

---

[100] نفس المصدر، ص. 192

[101] وهذا القلب للمفاهيم كما يراها منظرو الترجمة من ثلاثة وجوه:

1.القول الثقيل مجال التعالي وعدم التناهي والكونية، والمطلوب أن يتعرف عليها المتلقي للتعرف على أسرار وجوده، كأنه كان غريبا عن ذاته ويتعرف عليها عبر هذه القيم.

أن القول البروميثي ينزل من القول الثقيل منزلة المجاز من الحقيقة والظل من الواقع، وهو بذلك محتاج إلى الآخر، الذات التي لا وجود له بدونها، بينما الذات لا تحتاج إلى آخر.

الملقي الآعلى ليس الآخر لأنه على الرغم من "تعاليه" فله خقيقة المعية والحضور، ولا يليق بالملقي الأعلى إلا أن يكون الذات فلا تليق في حقه الفرعية.

2. **الاقتباس مكان الاختلاس**، والاقتباس ناجم عن كون "القول الخفيف ليس قرآنا كما هو القول الثقيل، فينتفي عنه كل ما يثبت لهذا فلا يصلح للعبادات ولا تجزئ قراءته في الصلوات، ولا تستنبط منه الأحكام والتشريعات، ولا تعد تلاوته ولا ترتيله ولاحفظه من الطاعات؛ وأما من جهة الباطن، فإن القول الخفيف ليس أنوارا زكية ولا أسرارا خفية كما هو القول الثقيل، فلا ترتقي به الروح في المنازل السنية، ولا تفيض منه على القلب أية معارف خاصة (...)

ولا يكون الاقتباس إلا بطريقين: خروج الناقل عن الشعور بأنه يترجم القول الثقيل نفسه إلى الشعور بأنه يترجم عن القول الثقيل. أي ان يعتقد الناقل في قرارة نفيه ألا حول له ولا قوة على رفع التحدي الإلهي، وهو الإعجاز، إلا أن ينجذب إليه كمن يتعرض للواردات والإلهامات والنفحات، وأن يترجم النص نفسه بنفسه في قلبه "ليس الناقل هو الذي يترجم القول الثقيل، وإنما القول الثقيل هو الذي يترجم نفسه في صورة فهم يحصله الناقل في صدره".[102]

---

[102] المصدر نفسه، ص. 202

3. **الحصـــول على الإذن بالترجمة**: ليس فقـــط بمعرفـــة اللســـانين: العـــربي والأعجمي، لا يـــترك الاختلاس إلى الاقتباس حتى يصير فاهما عـاملا بـدل ناقــل فقــط، أي أن ينتقــل من "اســتنطاق القــول الثقيــل بعقلــه إلى اســتقباله بقلبــه". ولهــذا الإذن علامتان: "أن يصبح قادرا على أن يقرأ في قلبه كمـا يقرأ في كتاب" (إشـارة إلى قـول الرسـول الكـريم عنــد تلقي الــوحي للمــرة الأولى)، وبــذلك يســتحق مرتبــة "التــنزل" وليس الــنزول، وهي تلــق متجــدد لمعاني الذي تم نزوله بألفاظــه على المتلقي الأول، عليه الصلاة والسلام.

ومن جهة أخرى، يضـيف عبـد الـرحمن، يلـزم أن تـزدوج روحــه بــروح أخــرى من غــير جنســها، أي روح قدســية لا توجد عند المــترجم الخــالي من روح الإيمــان. ويستشــهد بقولــة لمــارتن لــوثر حــول ضــرورة وجــود قلب مــؤمن لترجمة "اقتباسية".

تعليقا على الأفكار التي أوردها طه عبد الرحمن في هــذا الفصل، يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

- من الأساسي في أي ترجمة للقرآن الكـريم الفصـل المطلــق بين "الأصــل" وهــو كلام اللــه عــز وجــل

باعتباره "قـولا ثقيلا" وهـو متعـال من حيث المصـدر ولامتنـاه من جهـة القـول نفسـه وكـوني من جهـة المتلقي، و"الترجمة" التي لا تعدو كونها جهدا إنسانيا قاصـرا بالضـرورة. وبالتـالي، فـإن الترجمـة لا تعـدو كونها قطـرة من بحـر. وهـو مـا أكـد عليـه من خلال اعتباره أنه بدل "ترجمة القرآن"، يجدر الحـديث عن "الترجمة من القرآن"

- إن هـذا الفـارق يجعـل اعتبـارات "الأصـل" الروحيـة والتعبدية والتشريعية غير واردة في الترجمة، ويجعل من هذا العمل مجرد عمل يقرب من القرآن الكـريم لغير الناطقين باللغة العربية، وبذلك يحقـق اصـطلاح "الترجمـة عن القـرآن" وليس "ترجمـة القـرآن الكريم".
- ويجدر أن نتوقف أيضا عند كون أحد أهداف الترجمة التأصـيلية يتمثـل في كـون الترجمـة يلـزم ألا تجعـل المتلقي مستغنيا بالترجمة عن الأصل، بل أن تحملـه باسـتمرار على العـودة إلى الأصـل، في تبـادل أدوار بين "الذات" و"الغـير" كمـا يراهـا منظـرو الترجمـة. ونعتقد أن هـذه الفكـرة تؤصـل للـدور البـديل الـذي يتصـوره عبـد الـرحمن للترجمـة في حالـة القـرآن

الكريم، أي أن تكون أداة لتقـريب النـاس من كتـاب اللــه وحثهم على الرجــوع إليــه وتعلم لغــة الضــاد للتمكن من الاطلاع على القرآن الكريم بكل أبعاده.

- ثمة فكرة أخرى أثارهـا د. طـه عب الـرحمن تتعلـق بــالفرق بين "الــنزول" القــرآني الــذي حصــل على رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، و"التنزل" الـذي يجعـل كلام اللـه يتجـدد باسـتمرار في قلـوب المسلمين. وهذا التـنزل الخالـد المتجـدد دليـل على خلود الرسالة لقدرتها على التعامل من النــاس على اختلاف بيئــــاتهم وعصـــــورهم ومســـــتوى رقيهم الحضاري. وهذا "التنزل" الذي ينهل منه العلمـاء في مختلـف العصـور، ونجـده حاضـرا في اختلاف وتعـدد التفاسير عبر العصور. وهو مـا يفتح أيضـا بـاب تعـدد الترجمات وإمكانية تحسين وتحيين الترجمـات بمنهج علمي تشرف عليه مؤسسات متخصصــة في البحث وإعــداد الترجمــات أداء لــواجب البلاغ للعــالمين. وسنعود لهذا الموضوع في نهاية هذا البحث.
- وفي تعليق أخير، يمكن أن نتناول فكرة العلاقــة بين الإيمان بالرسالة السماوية والترجمة بالقول أنه على إيماننا بأن التلقي الروحي للرسالة غاية في الأهميــة

في عمل الترجمة، غير أننا نقر بصعوبة صياغة هذا الأمر المجرد في شكل إجرائي. وقد أشار د. عبد الرحمن إلى مارتن لوثر وتشديده على ضرورة وجود الدافع الإيماني لترجمة جيدة للأناجيل، ونحن نزيد عليه أن الترجمة السبعينية تمت بأمر من أحد الملوك بعزل سبعين حكيما في جزيرة لتسهيل اتصالهم بروح القدس، كما أن القدسي"إيرونيموس" صاحب ترجمة "الفولجاتا" الشهيرة يظهر في الأيقونات المسيحية على هيئة رجل يلبس أسمالا وعلى رأسه هالة القداسة التي تشير إلى اتصاله بروح القدس، وفق الرؤية المسيحية طبعا.

المقاصدية وترجمة القرآن الكريم

بعد أن أوضحنا بكل الحجج النظرية والتطبيقية الممكنة أن الجدل الشرعي حول ترجمة القرآني الكريم يستند إلى رؤية تفتقر، فيما نزعم، إلى معرفة بنظرية أو ممارسة الترجمة للترجمة عموما، ولترجمة القرآن الكريم وفقا لخصوصياته التي أوضحناها في موضعها. خصوصيات انعكست على بناء وبنية العلوم الإسلامية

بشكل جعل ثمة انصهارا للغة العربية بهـذه العلـوم، وهـو مـا أدى، من بين أسـباب أخـرى، إلى الوضـع الهامشـي للترجمة في مجال مصادر التشريع والتعبـد (وهـذا الكلام ينطبق أيضا على السنة النبوية) في الحضارة الإسـلامية، عكس سياقات حضارية-دينية مختلفة بـل ومناقضـة لهـذا الوضع (ترجمة الأناجيل مثلا). وبالتـالي، وجب "التهـوين" من أمر الترجمة وعدم إقحام النقاش حولها إلى مجالات التهديد للدين أو العقيدة أو رسـالة الإسـلام، بمـا لا يعـني تــرك الحبــل على الغــارب، بــل الاجتهــاد في الترشــيد والمراقبة على الترجمات ممـا يقـوم بـه المسـلمون من قبل مؤسسـات رسـمية أو أهليـة لهـا الكفـاءة الشـرعية والترجميــة للنهــوض بهــذه المهمــة، وكــذا ترجمــات المستشـرقين لبيـان مـدى انضـباطها في نقـل رسـالة الإسلام، وتحذير الناس من الترجمـات الـتي ثبت ضـررها أو اعترتهــا هنــات واضــحة من حيث الجــودة شــكلا أو مضمونا.

وعليـه، فإننـا نـذهب إلى أن مـيزان الحكم على ترجمـة القـرآن الكـريم في غايتهـا وليس في "نوعهـا" (أسـلوبها برأينا)، فيجب أن تنضبط هذه الغايات لكل ما ينفع الناس

ويخدم هذا الدين من جهة البلاغ للعالمين وإقامة الحجة عليهم بذلك.

ونقترح لذلك نظرية متكاملة تكون الترجمة جزء فاعلا في داخلها، خير معبر عنها هو المصطلح الفقهي الذي يدل على ذلك هو "مقاصد الشريعة" أو المنهج المقاصدي، الذي اشتهر به الفقيه الأندلسي أبو إسحاق الشاطبي. هذا ويعرف د. أحمد الريسوني، الذي يعتبر من كبار المقاصديين في العصر الحالي، هذا المنهج كما يلي:

"مقاصد الشريعة-أو مقاصد الشارع- هي المعاني والغايات والآثار والنتائج، التي يتعلق بها الخطاب الشرعي والتكليف الشرعي، ويريد من المكلفين السعي والوصول إليها"[103]

ويضيف الريسوني في نفس السياق:

"ولكن يبقى علينا –ونحن نبحث عن المقاصد- أن نعرف ماهي الغايات التي يرمي الخطاب الشرعي إلى تحقيقها وإيصال الناس إليها؟ وماهي الفوائد التي يحققها لنا

---

[103] أحمد الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة،2010، دار السلام: الرباط، ص. 7.

العمل بمقتضى الحكم الشـرعي؟ بعبـارة أخـرى: مـاهي مقاصد ذلك التشريع؟" [104]

لن نــدخل في تفاصــيل المقاصــد كمــا يبينهــا الســيد الريسوني في كتبه، بل نتوخى الانطلاق من هذه الأسـئلة يمكن أن ينير الطريق إلى مجموعة من الأسئلة الموازية حول الترجمة (من وجهة نظر المسلمين طبعا):

- ما الغاية والمقصد من ترجمة القرآن وماهي الفوائد التي يحققها هذا العمل؟
- من هــو القــارئ (أو القــراء) أو المتلقي المفــترض للترجمة؟
- وتبعا لـذلك، يحـق لنـا أن نتسـاءل: مـاهي خصـائص الترجمـة وتوجهاتهـا (القـرارات الاسـتراتيجية) وكـذا القرارات التفصيلية أثناء عمل الترجمة؟

لعل الجواب على السؤال الأول يعـد بـديهيا إلى حـد مـا، فنحن المسلمون نعتبر الإسلام دينـا عالميـا، وأن رسـالته هذه خاتمة الرسـالات، وكـل مسـلم مكلـف تكليفـا عينيـا بتبليـغ هـذه الرسـالة بشـتى طـرق ووسـائل الـدعوة[105].

---

[104] نفس المرجع، ص. 9.

[105] جاء في فتوى لموقع إسلام ويب في شرح هذا الحديث ما يلي" فالفقرة المسـؤول عنهـا هي جـــــــــزء من حـــــــــديث صـــــــــحيح أخرجـــــــــه البخـــــــــاري وغـــــــــيره.
وأما بخصوص معناها فهو أن المسلم مطالب بتبليغ ما وصل إليه من القرآن والأحاديث النبويـة إلى غـــيره ممن لم يبلغـــه.
قال المباركفوري في كتابه تحفـة الاحـوذي في شـرحه للحـديث المشـار إليـه نقلاً عن صـاحب

وعليـه تصـبح الترجمـة وسـيلة من وسـائل الـدعوة وأداء واجب التبليغ لغير الناطقين باللغة العربيـة، لغـة الـوحي، أو تكون وسيلة للرد على الشبهات التي يمكن أن يثيرهـا البعض أو يروجهــا حــول الإســلام من خلال الاستشــهاد المبتور أو المشبوه بآياته. ويلزم التأكيد بشـكل صـريح لا يدع مجالا للتأويل أو الشك بأن الترجمة لا تعوض الأصــل القـرآني، وأن الـوحي نـزل من عنـد اللـه تعـالى باللغـة العربية وأنـه كلام اللـه تعـالى الـذي يسـتحيل على بشـر اسـتيعابه بشــكل تــام، وبــالأحرى مجــاراة خصائصــه الإعجازية ذات الأوجه التي لا حصر لها.

وتصير الترجمة بهذا المعـنى مجـرد "كتـاب تفسـير" في محاولـة تقـريب لهـذا القـارئ لمضـامين القـرآن الكـريم وآياته، لا تغـني بـأي حـال عن تعلم اللغـة العربيـة للتعبـد أولا، ولزيـادة التفقـه في الـدين، والاطلاع مباشـرة على هذه المعجزة الخالدة.

وبذلك، نود أن نعـرض بعض التحفظـات بخصـوص تأكيـد بعض الآراء الشرعية على ضرورة تضـمين الغلاف عبـارة "ترجمة معـاني القـرآن الكـريم"، أولا باعتبارهـا تحصـيل

اللمعات ما نصه: بلغوا عني: أي ولو كانت آية قصـيرة من القـرآن، والقـرآن مبلـغ عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، الجائي به من عند الله، ويفهم منه تبليغ الأحـاديث بـالطريق الأولى. يمكن الدخول عبر لفظ الحديث في محرك البحث للموقع.

حاصل لأن الترجمـة متضـمنة لهـذا المعـنى إجمـالا، وفي الحالة الخاصة للقرآن الكريم غير ممكنة بأي شكل آخـر. فهذا العنوان قـد يـوحي أن ثمـة ترجمـة أخـرى يمكن أن تكــون كــذلك أو تزعمــه، أي "ترجمــة حرفيــة للقــرآن الكـريم"، وهـذا مـا قررنـا ونجـزم باسـتحالته على كـل المسـتويات. أمـا التحفـظ الثـاني، فعلى فـرض قبـول العبـارة ذاتهـا، فـإن تركيبهـا قـد يـوحي أن الترجمـة قـد استنفذت مضامين القرآن الكريم، وحاشـا للـه أن يصـدر ذلك من مسلم، فلا يمكن لبشر مهما كان شأنه أن يحيط بكلام رب العالمين، وبه وجب التنبيه.

والأولى لمن يفضـــل تضـــمين هـــذه العبـــارة أن يـــدخل النسبية بشكل واضح في العنوان "ترجمــة لبعض معـاني القرآن الكـريم" و"ترجمـة مـا تيسـر من معـاني القـرآن الكريم"، أو ما شـئنا ممـا يفيـد هـذا المعـنى. ولنـا عـبرة بليغــة في ترجمــة بهيج الــتي اتخــذناها، فقــد ســماها " القرآن: تفسير إلى اللغـة الإسـبانية المعاصـرة"، فجعلـه بالتالي نسـبيا وتفسـيرا من بين تفاسـير كثـيرة وتـأويلات كثيرة ممكنة، ولربما كـان الأمـر مختلفـا لـو وضـع كلمـة "تفسير" معرفة مثلا.

ويمكن تبعا لذلك تقسيم الجمهور المستهدف من الترجمات إلى عدة فئات:

- مسلمون حديثو عهد بالإسلام من غير الناطقين باللغة العربية.
- أشخاص غير مسلمين يرجى تأليف قلوبهم وإرشادهم لدين الحق ويستشعر فيهم ميل لهذا الدين، في سلوكهم أو في نظرتهم للحياة.
- مسلمون لديهم دراية بالإسلام ويرغبون بالاستزادة منه.
- أجيال من أبناء المسلمين في الغرب، ممن هم مسلمون عقيدة وثقافة، غير أن إلمامهم بالعربية ضعيف أو شبه منعدم.
- جمهور غير مسلم، أكاديمي ومثقف له اهتمامات علمية أو مهنية للاطلاع على رسالة الإسلام.

تبعا لذلك، يلزم القيام بمجموعة من الدراسات الميدانية والأكاديمية حول الخلفية الثقافية والسياق الديني والثقافي الذي يعيش في ظله القارئ المستهدف، لتحديد طبيعة الحاجيات والمواضيع التي يلزم التركيز عليها في الترجمات، وهي دراسات غاية في الأهمية، فبقدر ما يتم تجميع معطيات ومعلومات على أسس

علمية منهجية على يد خـبراء وفي علم الأديـان المقـارن وفي العلوم الاجتماعية واللغوية والنفسـية لبحث أوضـاع الجاليات المسلمة أو البلدان التي يراد توجيـه الترجمـات إليها، تكـون القـرارات الترجميـة واعيـة وناجعـة لتحقيـق الأهداف المرسومة.

الأدوات المنهجية

لقد تعمدنا في بداية هذا الجزء من بحثنـا أن نقـوم بجـرد للنظريات الحديثة في علم الترجمة لكونها، كمـا أسـلفنا، الغائب الأكبر في النقاشات حول ترجمة القرآن الكــريم. ونحن على يقين أن اسـتيعاب هـذه النظريـات بشـكل معمق وانتقائي تبعا للسياق الخـاص للقـرآن الكـريم في الحضارة الإسلامية من شـأنه أن يفتح الطريـق أمـام مـا نسـميه "نظريـة تأصـيلية للترجمـة من القـرآن الكـريم"، وهي نظرية تتوخى عدة أمور من أهمها:

- نقـل نقاشـات المشـروعية والجـواز إلى نقاشـات الكيفية والأهداف.
- نظريـة تغطي الجـوانب الخطابيـة الكـبرى ولا تغفـل الجوانب التفصيلية الإجرائية.
- نظرية تؤسس للدراسات الترجميـة للقـرآن الكـريم على أسس علمية عملية.

- وبالتالي تسهم في فتح النقاشات الكبرى حول الدور الحضاري لترجمة القرآن الكريم وكيفية جعلها أداة للتعريف برسالة الإسلام العالمية، دون أن تعتبر هذه الترجمات بديلا للنص القرآني باللغة العربية.

اعتمادا على مجموع الدراسات والمؤلفات التي ذكرنا في بداية هذا المبحث، واعتبارا لتعدد مقارباتها وتنوع مشاربها، يلزم تحديد وتفصيل النموذج في محورين أساسيين:

- القرارات الكبرى أو القرارات الاستراتيجية
- القرارات التفصيلية أو الإجرائية

كما سبق أن فصلنا في عرضنا للاتجاهات الكبرى لنظريات الترجمة، فإن الاتجاهات اللسانية ذات الطابع الخطابي التي دخلت مجال دراسة الترجمة منذ ستينيات القرن الماضي بشكل تدريجي وعلى هيئة نماذج تحليلية متعددة تجمع بينها خاصيتان أساسيتان: تعدد الروافد وفق مبدأ التكاملية واعتماد النص وحدة التحليل المرجعية، وهذا يفترض النظر إلى النص من وجهة نظر خطاب متكامل موجه إلى متلقي خطاب الترجمة والمنهج العلمي المتكامل يبتغي دراسة مسيرة الترجمة منذ المراحل الأولى أو الجنينية. وهو نهج نجده واضحا

في التمييز في دراسات الترجمة من وجهـة نظـر تحليـل الخطاب حول الترجمة باعتبارها منتجا جـاهزا، والترجمـة باعتبارها صيرورة عملية[106].

والقـرارات الـتي يتخـذها المـترجم أو هيئـة الترجمة[107] للقيام بهذه الوساطة.

ولا شك أن الخطـوة الأولى في إعـداد أي عمـل تـرجمي تتمثـل في وجـود دافـع معين، أو مجموعـة من الـدوافع المتداخلـة، يتقـاطع فيهـا الهم الثقـافي والإيـديولوجي والاقتصادي أو هذه العوامل جميعا. وتختلف هذه العوامل تعقيدا وتداخلا مع حجم وطبيعة المشروع الترجمي.

لكننا نعتقد أن منطلق أي دراسة نظرية أو تحليلية يتمثـل في تحليل هـذا الجـانب الابتـدائي أو التمهيـدي من عمـل الترجمة، والـذي يتفاعـل مـع المرحلـة الإجرائيـة الفعليـة لتنفيذ الترجمة.

وانطلاقا من كون أي خطـاب يتبـنى رؤيـة معينـة يسـعى إلى تحقيقهـا، فـإن أي عمـل تـرجمي يتطلب اتخـاذ مجموعة من القرارات التي نطلق عليها اسم "القـرارات

---

[106] لتفاصيل ونقاش مستفيض حول هذه النقطة، نرجو العودة إلى الفصل التمهيـدي لكتـاب حاتم وميسون حول نظرية الترجمة من وجهة نظر تحليل الخطاب. (1995) في الصفحات 13 و14.

[107] نعتبر هذا التعبير أدق للتعبير عن عمل الوساطة: فيمكن أن يكون المترجم فردا في بعض الحالات، وفي حالات أخرى يكون الفريق مكونا من عدة مترجمين ومنسقين ومراجعين ومستشارين ومصححين ومسؤولي النشر، ويكون إنجاز العمل بطريقة تنسيقية وتفاوضية تفترض علاقات قوة أفقية أو عمودية حسب الحالات.

الاستراتيجية"[108]، ونعني بها القرارات الكبرى الـتي تحكم تصورا نظريا عامـا للنص أو المضـمون الأصـلي وطريقـة القيام ب"الوساطة" الترجمية لضمان تكييفه مع المتلقي المفترض لهذا المضمون.

وبالتـالي فـإن الدقـة تفـترض أن نعتـبر أن نتيجـة عمـل الترجمة خطابا مختلفا عن خطاب النص الأصلي، ودرجـة هـذا الاختلاف متفاوتـة حسـب الحـالات، وهـذا الخطـاب يمكن أن يكون متعدد ومركب القنوات أو موازيا لخطاب آخر مثل خطاب الصورة (الأيقوني) أو الصوت وغيرها.

وبالتالي، فإن هذا المفهـوم مفيـد جـدا لنظريـة الترجمـة عموما، ولترجمة القرآن الكـريم وهي موضـوع بحثنـا من ناحيتين:

1. الناحيـــة النظريـــة: لا شـــك أن اتخـــاذ القـــرارات الاستراتيجية بخصوص الترجمـة تعـد مرحلـة فاصـلة في جودة الترجمات ودرجة نجاحهـا في أداء المهـام المرسومة لها، وهذا يترتب على وجود أساس علمي

[108] نستخدم مفهوم القرارات الاستراتيجية بشكل لم يركز عليه الدارسون الذين استخدموا هذا المفهوم الذي يعود أصله إلى علم النفس المعرفي. فنحن نقصد به القرارات الكبرى المبدئية التي تحكم التصور الأولي والخطوط العامة للعمل، بينما يقوم الدارسون ببسط المفهوم أيضا على طرائق العمل أثناء إنجاز الترجمة، والذي أطلقنا عليه اسم القرارات الإجرائية والتفصيلية. راجع الفصل المخصص لهذا المفهوم من قبل هورتادو ألبير (2001، ص. 271-279) الذي يستعرض أبحاث كل من كانالي (1983) وباكمان (1990) وبوثو وبوستيغو (1993) و مانشون (1994) وغيرهم.

وعملي لهيئة الترجمة يتيح لهـا القيـام بهـذه المهمـة على أكمل وجه.

2. الناحية النقدية أو التقييمية[109]: نؤكد على مركزية أن تهتم الدراسـات النقديـة للترجمـات الموجـودة على هذا الجانب في تقييمها للعمل الترجمي.

بخصوص هـذه النقطـة الأخـيرة، فـإن الدراسـات لهـذا الجانب تتطلب وجود مـادة للعمـل عليهـا لأنـه إن كـان منتج الترجمـــة النهـــائي موثقـــا، فـــإن أغلب العمـــل الاســتراتيجي يكــون شــفهيا أو ســريا، وبالتــالي يكــون صعب التوثيق للقيام بدراسات جادة عليه.

وتجـــدر الإشـــارة إلى أن هـــذه القـــرارات لا تكـــون بالضرورة صريحة ومتوفرة في المـادة الموازيـة الـتي نفصلها في السطور التاليـة، بـل تكـون ضـمنية ويمكن تلمسها من خلال دراسة الخطوط العامة للترجمة.

وبخصوص القرارات الصريحة، فيمكن دراستها انطلاقا من نوعين من المصادر:

---

[109] تجدر الإشارة إلى وجود مجهود تنظيري في هذا المجال، تفضل الأستاذ عبد الرحيم حزل(سبتمبر/ أيلول 2018) بتجميعه وتنسيقه اعتمادا على إسهامات كل من لاروز (1994) وغواديك(1981) وغيرهم ممن فصلوا في مبادئ وأقسام التقييم ومفهوم جودة الترجمة ومفهوم الخطأ في الترجمة وغيرها. وتتمثل أهمية هذه الأبحاث في كونها محاولة جدية للتفصيل في مسألة غالبا ما كانت تندرج ضمن الانطباعية التقليدية السائدة في هذا المجال.

- المادة الموازية الخارجـة عن النص المتـوفرة عن هـذا الجـانب من عمليـة الترجمـة من حـوارات ومقالات تتناول موضوع الترجمة.
- النصـوص الموازيـة المضـمنة في النص المـترجم، وسنفصلها فيما يلي.

3. تحليل البنيات الصغرى

في السـطور السـابقة، حاولنـا مقاربـة مجموعـة من الأدوات المنهجية التي تبدو لنا مناسبة لمقاربة ترجمـة القرآن الكريم وفق المبادئ النظرية التي تم إقرارها.

لكن التحليـل لن يكتمـل دون إمكانيـة تـوافر أداة منهجية للتحليل الوصفي للبنيات الصـغرى للنص، عـبر لغـة دقيقـة تمكن من اسـتكناه الخيـارات النظريـة والخطابية للقرارات الكبرى وتفاعل هذه القرارات مع المشاكل الفرعية والتفصيلية التي يواجهها المترجم.

وعليـه، نقـترح اعتمـاد الإطـار المفـاهيمي للنظريـة الأسـلوبية المقارنـة في الترجمـة، من خلال نموذجهـا الأساسـي كمـا فصـله كـل من فينـاي وداربلنيـه في كتابهما "الأسلوبية المقارنة بين الفرنسية والإنجليزيـة" الصادر سنة 1958 (ص.46-55).

وتنطلـق النظريـة من مفهـوم "وحـدة الترجمـة" الـتي تعتبر الجزء الأصغر من الخطـاب، والـذي طبقت عليـه مفهوم "نموذج الموقف" الذي لا يتضمن فقط عناصــر لسانية بحتة بل يتعداها إلى تحليل ردة فعل القــارئ أو الوضع والموقف المكافئ لها في النص المترجم.

ويقـدم الكتـاب سـبع طـرق أساسـية للترجمـة يحـدد نطاقهـا في ثلاثــة مســتويات: المفــردات والــتراكيب والرســالة. وهــذه الأســاليب أو الطرائــق تنقســم إلى فئتين أساسيتين:

- أســاليب الترجمــة المباشــرة أو الحرفيــة: وهي الاقتراض والنسخ والترجمة الحرفية.
- أساليب الترجمة غير المباشرة أو الحــرة: الإبــدال والتطويع والتكافؤ والتصرف.

وبخصوص الفئة الأولى، تفصــل النظريــة أكـثر في أنــواع الترجمة المباشرة على النحو التالي.

- الاقتراض: يكون خيارا إجباريا في حال عدم وجـود أي حل آخر، ويتمثل في نقل حرفية المصطلح من لغـة أخـرى وكتابتهـا بـأحرف اللغـة الأخـرى، مثـل "أمير" أو "جهادي" التي تنقل بحرفيتهــا إلى أغلب اللغات الأوروبية.

- أما النسخ أو calque فهو متعلق أكثر بـالتراكيب عن طريق اقتراض بنيتها في النص المترجم، وهي على نـوعين: النسـخ التعبـيري عن طريـق إدراج نمـط تعبـيري جديـد دون ضـرورة الحفـاظ على البنية، وبالمقابل يوجد النسخ البـنيوي الـذي ينقـل تعبيرا جديدا مع الحفاظ على بنيته.
- أما الترجمة الحرفية، فهي تركيبيـة بحتـة، وتتمثـل في نقل الوحدات في النص الأصل نقلا حرفيا مـع مراعاة الخصائص الأسلوبية للغة الأصل.

وبخصوص أساليب الترجمة غير المباشرة، فيفصـلها الكتاب على النحو التالي:

- الإبدال: يتمثل هذا الأسلوب في استبدال جزء من الخطاب بآخر دون المسـاس بالمضـمون كتغيير فئة نحوية بأخرى مثلا، وينقسم بـدوره إلى إجبـاري لمـا توجـد طريقـة واحـدة في التعبير، واختياري في الحالة العكسية.
- التحوير: ويعرفه المؤلفان بأنه على أنه تغيـير في الرسالة مراعـاة لعبقريـة اللغـة المـترجم منها، وعلى غرار الصنف السابق، ينقسم إلى إجباري واختياري.

- التكافؤ: يتمثل في التعبير عن نفس الموقف باستخدام وسائل أسلوبية وبنيات مغايرة للغة الأصل، وهو يعتبر أكثر عمقا من التحوير لأنه يعتمد عناصر خارج اللغة أي أسس سياقية بحتة، وهذا شائع بالنسبة لترجمة الأمثال والتعابير الاصطلاحية.
- التكييف: وهو أسلوب يتمثل في أسلوب أو مصطلح غير موجود في اللغة المترجم إليها. فيتم تكييفه إلى تعبير مكافئ ويأخذ بعين الاعتبار في هذا المسعى الانطباع الذي يحدثه في نفس القارئ.

في ختام هذا العرض للنظرية الأسلوبية المقارنة، فقد أبانت عن محدوديتها في تفسير وتحليل اختيارات المترجم على المستوى العام للنص (البنيات الكبرى) غير أنها تبقى أداة منهجية مهمة تتضمن لغة وصفية دقيقة لمستويات تصرف المترجم وقراراته تبعا لعوامل عديدة.

نظرية النصوص الموازية

في إطار تتميم البناء النظـري لدراسـة ترجمـات القـرآن الكريم، لابـد من التعـريج على نظريـة غايـة في الأهميـة لدراسـة القـرارات الكـبرى أو الاسـتراتيجية للنص، وهي نظرية العتبات النصية أو النصوص الموازية.

ويجد مفهوم النصـوص الموازيـة كمـا نتصـوره أصـله في النقــد الأدبي عــبر مــا يســمى ب"عتبــات النص"، وهي النصـــوص المصـــاحبة للنص، والـــتي تقـــدم لنـــا بعض المعطيـات المكملـة لمفهومـه وتصـوره من وجهـة نظـر الكاتب المؤلف. ويعتبر الباحث الفرنسي في مجال النقد الأدبي جـــيرار جيـــنيت من المراجـــع في تفصـــيل هـــذا المفهوم في دراسة تنظيريـة بعنـوان "عتبـات" [110]، الـذي يعتـبر فيـه العتبـات النصـية "خطابـا أساسـيا، ومسـاعدا، مسـخرا لخدمـة شـيء آخـر يثبت وجـوده الحقيقي، وهـو النص" [111]. وسنركز في هذه القرارات على ما يســمى[112]

[110] Gérard Genette. Seuils. Ed. Du seuil. Paris 1987. ، وللتوسع، يمكن الاطلاع على دراسات بالعربية لباحثين في الموضوع مثل د. عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص: البنية والدلالة،شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1/1996، و محمد مفتاح: دينامية النص ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ، 1987، و د. سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 /1989 وغيرهم.

[111] جينيت، المرجع السابق، ص. 16.

[112] يتضمن الكتاب تقسيم النص الموازي إلى قسمين:

1. النـص المــوازي الداخــلي (Péritexte):

، كل نص مواز يحيط بالنص أو المتن و قد سمي (النص المحيط) أو النص المصاحب أو النص المجاور.

والنص الموازي الداخلي عبارة عن ملحقات نصية، وعتبات تتصل بالنص مباشرة. ويشمل كل ما ورد محيطا بالكتاب من الغلاف، والمؤلف، والعنوان، والإهداء، والمقتبسات، والمقدمات، والهوامش، وغير ذلك مما حلله جنيت في الأحد عشر فصلا الأولى من كتابه (عتبات seuils).

2.النص المــوازي الخارجي (Epitexte):

ب. النـــص المـــوازي الداخـــلي (Péritexte): كـل نص مواز يحيط بالنص أو المتن و قد سـمي (النص المحيـط) أو النص المصاحب أو النص المجاور.

والنص الموازي الداخلي عبارة عن ملحقـات نصـية، وعتبات تتصل بالنص مباشرة. ويشمل كل ما ورد محيطا بالكتـــاب من الغلاف، والمؤلـــف، والعنـــوان، والإهـــداء، والمقتبسـات، والمقـدمات، والهـوامش، وغـير ذلـك ممـا حللـه جـنيت في الأحـد عشـر فصـلا الأولى من كتابـه (عتبات seuils).

من وجهة نظر الترجمة، يمكن اعتبـار عتبـات النص جـزء ممـا يمكن تسـميته ب"القـرارات الكـبرى" أو القـرارات الاستراتيجية في أي مشروع ترجمي. فالمترجم باعتبـاره وسيطا ثقافيا ولغويا، مستقبلا ومنتجـا لخطـاب معين في آن، بوعي أو بغير وعي، لابد أن يستبطن تصورا عاما لما يترجمه. ويمكن أن يكون هذا التصور صـريحا أو مضـمرا، كأن يقدم المـترجم للمؤلـف (في حـال الترجمـة الأدبيـة والفكريـــة والعلميـــة) أو يضـــع حواشـــي وهـــوامش أو شهادات، إلخ.

النص الموازي الخارجي أو الرديف أو النص العمومي المصاحب. "وهو كل نص من غير النوع الأول مما يكون بينه وبين الكتاب بعد فضائي وفي أحيان كثيرة زماني أيضا، ويحمل صبغة إعلامية مثلا لاستجوابات والمذكرات، والشهادات، والإعلانات، دراسات عن النص ويشمل الفصلين الأخيرين من كتاب جنيت السابق ذكره.

وهـذه الضـروب من النصـوص الموازيـة يمكن اعتبارهـا علامات تفيـد في التعـرف على التصـور العـام للترجمـة، علاوة بالطبع على النص المترجم نفسه[113].

ويمكن أن نجـد بعض الأمثلـة لأعمـال أكاديميـة وبحـوث تركـز على بعض العناصـر الترجميـة في إطـار النصـوص الموازية مثل كتاب الأستاذين فونسيكا ورولدان (2014) وهو دراسة لنصـوص المقدمـة لمجموعـة من الترجمـات لمؤلفـات كلاسـيكية من الإغريقيـة واللاتينيـة إلى اللغـة الإسبانية)، أو بحوثا أكاديمية حول دور النصوص الموازيـة في الترجمة القانونية للأستاذة جيما أندوخار (2011)[114]، وتتطـرق هـذه النصـوص الموازيـة في تحديـد السـياق للترجمة من حيث التصور الأولي لدورها، أو حول ظروف التنفيذ وإكراهاته. وليس خافيا على أحد مدى أهمية هـذه الإشارات بالنسبة لدراسات الترجمة، فهي تعتـبر الوثيقـة الوحيدة الجديرة بالثقة من الناحية العلمية الـتي تتطـرق لهـذه الجـوانب وتسـاعد على الحصـول على معلومـات حول الصيرورة الإجرائيـة لتنفيـذ الترجمـة، وبالتـالي فهم

[113] خصص د. محمد برادة في أطروحته المذكورة فصلا لمقدمات الترجمات التي قام بتحليلها في أطروحة الدكتوراه، وقد كان حدسه في محله بتضمين التحليل لهذه النقطة، وربما يكون هذا التحليل الذي نقوم به تتمة لهذا العمل.

[114] يمكن الاطلاع على بيانات نشر الكتابين في فهرس المراجع.

أعمق وأفضل لنتيجة هذه الترجمـة، أي العمـل المـترجم في صيغته النهائية.

النظرية الغائية أو "سكوبوس"

طوَّر هانس فيرمير (Hans J. Vermeer 1996-1984) النظرية الغائية (أو نظرية الهدف) في الترجمة، وهي نظرية تركز على كون عمل الترجمة يتوقف كثيرًا على الغاية المتوخاة من الترجمة (الغاية/الهدف أوskopos) وترى النظرية أن هدف الترجمة النهائي *Translatum* هو الذي يحدد للمترجم سلفًا الاستراتيجية التي ينبغي عليه أن يتبعها في ترجمته، أكثر من كل العوامل الأخرى. هذا ويلزم أن تكون هذه الغاية واضحة كي يتمكن المترجم من اختيار الاستراتيجية المناسبة في الترجمة وبالتالي من تحقيق ذلك الهدف أو تلك الأهداف المتوخاة من الترجمة. وفي حال عدم وجود رسالة من الزبون تحدد هدف الترجمة فإنه ينبغي على المترجم أن يقوم هو بدور الزبون أو رب الترجمة وبالتالي بتحديد هدف الترجمة وبناء استراتيجيته في تحقيقها على هذا الأساس. وتميز النظرية الغائية أيضًا بين نوعين من

الترجمات: "الترجمات الوثائقية" (Documentary Translations) و"الترجمات الوظائفية" (Instrumental Translations). في النوع الأول يركز المترجم على القيمة التواصلية للوثيقة/النص ـ أية وثيقة/أي نص ـ بحيث يتمكن واضع الوثيقة/النص في اللغة المنقول منها، من التواصل مع متلقي الوثيقة من اللغة المنقول إليها وذلك بأخذ جميع العوامل الثقافية للغة المنقول منها بعين الاعتبار. وبعبارة أخرى: يحدد النص الأصلي، وثقافة النص الأصلي، وبنية النص الأصلي وعناصره اللغوية شروط الترجمة هنا، بحيث تأتي الترجمة في اللغة المنقول إليها تعبيرًا دقيقًا عن النص الأصلي المترجَم. وأكثر ما يكون هذا النوع في الترجمة الأدبية وما كان بحكمها.

أما في النوع الثاني، فإن هدف الترجمة يقتضي نشوء وظيفة جديدة في القيمة التواصلية بين واضع الوثيقة/النص في اللغة المنقول منها ومتلقي الوثيقة من اللغة المنقول إليها، تتمثل في احتفاظ النص المترجَم بالوظيفة ذاتها التي يملكها النص الأصلي. ويعبر فيرميير عن النص الأصلي على أنه معروض معلومات يلزم نقله إلى اللغة الهدف مع مراعاة التجانس النصي.

لا شك أن هذه النظرية بتركيزها على عامل واحد تهمل جوانب أخرى غاية في الأهمية، علاوة على كون تقسيم النصوص إلى وثائقية ووسائلية تبدو جامدة ولا تصلح لتوصيف العديد من النصوص مثل النصوص الصحفية الهجينة بين القيمة الأدبية والنزعة التواصلية.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه النظرية جد مفيدة في التركيز على أهمية هدف النص وغايته في تحديد الاستراتيجية التي يلزم اتباعها في الترجمة.

والواقع أن هذا الجانب، أي المتلقي المفترض للنص لم يلق كبير اهتمام من قبل دراسات الترجمة علاوة على كون مفهومه يبقى ضبابيا إلى حد كبير. وهذه الدراسات يمكن أن تشمل المرحلة السابقة للترجمة للتعرف على القارئ أو فئات القراء المختلفين للترجمات، أو في مرحلة لاحقة لعمل الترجمة بغرض التقييم واحتمال تعديل الاستراتيجية الترجمية.

وفي ظل شح هذه الدراسات، يبقى مفهوم المتلقي المفترض، بأبعاده النفسية والاجتماعية، غير متجانس بالضرورة، ويخضع في كثير من الأحيان لإسقاطات وتخمينات بحتة خول ردة فعله إزاء مختلف الاستراتيجيات الترجمية.

النظرية الإدراكية لاتخاذ القرارات والخيارات

آخر المساهمات النظرية التي سنأتي على ذكرها واستخدامها في نموذجنا التحليلي تجد أصولها في النظرية التعرفية أو الإدراكية الذهنية cognition ، وقد حاولت من خلال مقاربتها الخاصة تحليل طرق اتخاذ القرارات والتعامل مع الخيارات وتطبيقها على النشاط الترجمي. وقد قدمت أعمال فيلس[115] (1996-1998) مجموعة من الإضاءات حول الصيرروروة التي يتبعها الذهن البشري وطرق اتخاذ القرارات.

ويعتقد فيلس أن أحد الجوانب المهمة في أية نظرية للترجمة تتمثل في محاولة توصيف السلوك الذهني للمترجم، والذي يعتبر نتيجة للتفاعل بين الأنماط التعرفية الذهنية والمعارف ومقتضيات المهمة المنوطة به.

ويعتبر فيلس أن اتخاذ القرارات من قبل المترجم يفرض نفسه لما يجد هذا الأخير نفسه أمام مجموعة من الخيارات. والمؤلف يفيد في ذلك من التطور الحاصل

[115] WILSS, W. Knowledge and Skills in Translator Behavior, Benjamins, Amsterdam, 1996

في نظريات اتخاذ القرارات في العديد من المجالات مثل الاقتصاد والسياسة والفلسفة وعلم النفس اللساني.

ويخلص الكاتب في محصلة أبحاثه إلى كون صيرورة اتخاذ القرارات عملية في غاية التعقيد، تقتضي وجود أربعة عناصر:

1. التحقق
2. الواقعية
3. التكييف السياقي
4. توجيه القيم (موازنة العوامل التي تؤثر في اتخاذ القرارات)

يتعرض فيلس أيضا لنقطة هامة وهي نوع المعارف التي يلجأ إليها المرء عند مواجهة مشكلة معينة إلى نوعين من المعارف: النظرية والإجرائية. غير أنه في حالة الترجمة، فإن القضية تصير أكثر تعقيدا لكون طبيعة العمل لسانية (تحويل نص إلى نص آخر)، لكونها خاضعة لعوامل عديدة مثل محدودية الذاكرة والانتباه والتداخلات، وهي بالتالي غير خاضعة لثنائيات جامدة. فالمترجم يتعامل بشكل متزامن مع البنيات النصية الكبيرة والبنيات الصغيرة.

علاوة على هذه العوامل، يضيف المؤلف أخرى متعلقة بالسياق العام والظروف الشخصية مثل الوقت المخصص ومتطلبات الزبون وغيرها.

أما بخصوص مراحل التعامل مع المشاكل، فإن فيلس يقترح مسلسلا من ستة مراحل اعتمادا على أعمال كوربين (1980):

1. تحديد المشكل
2. توضيح وجه الإشكال
3. البحث وتجميع المعلومات الموجودة سلفا
4. المداولة أو السلوك السابق للاختيار
5. لحظة الاختيار
6. التقييم أو السلوك اللاحق للاختيار

هذا ويمكن أن تحصل اختلالات أو تعثر في أي واحدة من المراحل أو تدع إحداها مكانها للأخرى، كما يمكن أن يحدث ما يسمى بعدم الاختيار وقد يكون ذلك لسببين:

- أي أن تكون الخيارات متعددة ويكون المترجم عديم الخبرة فلا يكون اختياره الأفضل، أي أن يترجم بأول خيار يسنح له.
- السبب الثاني يكمن في خلل في البحث عن المعلومات، إذ أن توفر معطيات كثير ليس ضمانة

بالضرورة لأفضل اختيار. ففي حالة المترجم المبتدئ، يمكن أن يقوم بتجميع معلومات لا تكون مفيدة للترجمة.

وعليه، فإن المهارة الأساسية التي يتعامل بها المترجم في هذه الحالات تتعلق أكثر بالتبسيط الذهني للمشاكل، أي جعلها في متناول المعالجة الذهنية الممكنة.

في ختام عرضنا الموجز لأهم نقاط هذه النظرية، نود أن نختم بالقول أن هذه النظرية تتوخى تقديم نموذج توصيفي وتقييمي لعمل الترجمة، حاولنا من خلاله الاستعانة بالعديد من النظريات التي تتطرق بجوانب نعتبرها غاية في الأهمية بالنسبة للترجمة عموما، والفرع التطبيقي على القرآن الكريم، وذلك عبر عدة جوانب:

3. تزويد الدارسين بآليات تحليل للبنيات الصغرى بعلاقة وثيقة بالبنيات الكبرى اللازمة لدراسة الترجمات من وجهة نظر تواصلية خطابية.
4. توصيف طريقة تعامل ذهن المترجم مع عملية شديدة التعقيد مثل الترجمة، وهو ما من شأنه أن يمكن الحصول على معطيات حول سلوك المترجم ونوعية المعلومات المسبقة التي قام

بتجميعها أو متطلبات الزبون أو الشخص أو المؤسسة الموعزة بالترجمة من خلال النصوص الموازية التي تحدثنا عنها آنفا.

دراسة تطبيقية

بعد هذا العرض لأهم النظريات والأدوات التحليلية التي نقترحها ضمن ما سميناه النظرية التأصيلية لترجمة القرآن الكريم، نود قبل التطرق إلى النموذج التحليلي أن نؤكد على نقطة في غاية الأهمية حول ترتيب استخدام هذه النظريات، ونعتبر أن صيرورة التحليل يمكن أن تتم من الأعلى إلى الأسفل، أي أن يتم تحليل البنيات الكبرى من خلال نظرية النصوص الموازية ونظرية القرارات الترجمية الكبرى، وفي مرحلة لاحقة، يمكن القيام بتحليل البنيات الصغرى، وبناء على هذه

المقارنة، يمكن تلمس معـالم "القـرارات الاسـتراتيجية" الـتي اتخـذها المـترجم (أو مؤسسـة الترجمـة) ودرجـة تفاعلهـا مـع "القـرارات الإجرائيـة" الـتي يلـزم اتخاذهـا لمواجهـة إكراهـات وصـعوبات النص المختلفـة، والـتي يمكن أن تحيـد بشـكل أو بـآخر عن القـرارات المبدئيـة لعوامل عدة، اصطلاحية أو تركيبية أو نحويـة أو دلاليـة أو تداولية أو ثقافية أو غيرها.

يلـزم التنويـه إلى أن هـذه الدراسـة النظريـة لا تمثـل إلا نموذجـا مصـغرا لمـا يجب أن تكـون عليـه الدراسـات النقدية لترجمـات القـرآن الكـريم، بـل إن هـذه التقـارير يلـزم القيـام بهـا على نحـو مؤسسـي، أي تشـرف عليهـا مؤسسات بها فريق عمل متعدد الاختصاصات يعد تقـارير تركيبية تقوم بتقييم موضوعي بأسس منهجية علمية.

يتضمن التحليل مؤشرات القرارات الكـبرى الـتي وردت في مقدمات وحواشي الترجمات الـتي سـنقوم بتحليلهـا، وهي كالتالي:

- العنوان
- المقدمة (وأيضا مقدمة السور في حالة ترجمـة بهيج الملا)
- الهوامش

أما بخصوص الهوامش، فيمكن تقسيمها إلى نوعين: الصنف الأول يتعلق بقرارات استراتيجية يتم التطرق فيها إلى الحالة بعينها، لكن يتم التأكيد على أنها تندرج ضمن نهج عام ينسحب على كل الحالات المشابهة في النص المترجم، أما الصنف الثاني، فيتعلق بقرارات تفصيلية لحالات بعينها لمواجهة صعوبات ملموسة لا تنسحب على النص. وبالتالي، فلا بد من تحليلها في الشق المتعلق بالقرارات التفصيلية مع التشديد على أن هذا الفصل لا يعدو كونه منهجيا لأن الترابط بين التحليلين يشكل أساس المنهج المتكامل للترجمة.

وفي مرحلة لاحقة، سنقوم بتحليل النص المترجم نفسه وهو ما نسميه "القرارات التفصيلية"، أي الخيارات الأسلوبية المتاحة التي تم تفصيلها في إطار نظرية الأسلوبية المقارنة، وذلك للوقوف على تفاصيل الترجمة، ومدى انسجام الخيارات الترجمية المختلفة مع القرارات الاستراتيجية الكبرى، الصريحة أو المضمرة، التي تم رصدها في العتبات النصية المدروسة.

تحليل الترجمات

ترجمة كورتيس

كما أسلفنا في الفصل السـابق، فقـد قررنـا في الجـانب التطبيقي أن نقوم بدراسة مقارنة موجزة لمجموعــة من الترجمــات للقــرآن الكــريم من العربيــة إلى الإســبانية، وذلــك بنــاء على التصــنيف المتضــمن في نهايــة الفصــل الماضي:

وإذا كانت دراسة القـرارات الكليـة اعتمـادا على مفهـوم العتبات النصية المذكور ممكنة بشكل عام، فإن التطـرق إلى الدراسة الجزئية لسلوك المـترجم، باعتبـاره وسـيطا واعيا وخبيرا، قد تم إخضـاعها لمفهـوم العينـة لاعتبـارات موضوعية تخص حجم هذه الدراسة، لكننا نعتقـد أن هـذه العينة "سورة الكهف" يمكن أن يمنح فكرة واضـحة عمـا نرمي إليه من خلال هذا العمل.

ونبدأ بدراسة القرارات الكبرى أو العامة أو الاستراتيجية.

1. القرارات الاستراتيجية

نبدأ هذا التحليل من ترجمة المستشرق الإسـباني خوليـو كورتيس[116]، وتحديدا من النصوص الموازية أو المصاحبة، ويتضمن العناصر التالية:

- الغلاف: صورة للكعبة المشرفة
- العنوان: القرآن

[116] El Corán, Julio Cortés, Editora Nacional, Madrid, 1980:

- نسخة أعدها: خوليو كورتيس

أمـــا الصـــفحة الثانيـــة، فيتم الإشـــارة إلى أن الترجمـــة والهـــوامش من تـــأليف خوليـــو كـــورتيس، أمـــا المقدمـــة والفهرس التحليلي فهو من تأليف المستشرق الفرنسي، الراهب الدومينيكاني، جاك جوميـير[117]. وهـذه نقطـة في غاية الأهمية، إذ إن عمـل التـأطير العـام لنظـرة القـارئ للنص يتم بشــكل مشــترك بين كــورتيس وجوميــير، وأن دراسة جوميـير هي دراسـة مستشـرق متـدين، أي رجـل دين مسيحي، وسندرس مظاهر هذا المعطى في دراسـة جوميـير، الـتي يمكن أن تعتـبر نوعـا من النص المـوازي الخارجي الذي يسـاهم في "تـأطير" عـام لرؤيـة القـارئ حول النص القرآني وسياقه التاريخي والعقدي من وجهـة نظر معينة طبعا.

---

[117] جاك جوميير، راهب فرنسي من تنظيم الدومينيكان، درس اللاهوت والأدب في فرنسا واللغات العربية في فرنسا والقاهرة، وصار مدرسا وعضوا في المعهد الدومينيكاني للدراسات الشرقية في القاهرة. وله عدة مؤلفات في مجالات الأديان المقارنة والتاريخ الإسلامي والمعجمية، إلخ، ومن بين مؤلفاته:

- l*e Mahmal et la caravane égyptienne des pèlerins de la mekke* (1953)
- *Le commentaire coranique du Manar*, dans "Islam d'hier et d'aujourd'hui", 19, Paris, 1954
- *Bible et Coran* (1959)
- *Vie du Messie* (1963)
- *Manuel d'arabe égyptien* (1964)
- *Lexique pratique Français - Arabe* (1976)
- *Les grands thèmes du Coran* (1978)
- *L'islam aux multiples aspects* (1982), repris et complété sous le titre *Pour connaître l'Islam* (1988)
- *Un Chrétien lit le Coran* (1984)
- *L'islam vécu en Égypte* (1994)
- *Dieu et l'homme dans le Coran* (1996)
- Divers articles et études dans *Mideo*, l'*encyclopédie de l'Islam*, l'*encyclopaedia Universalis*

(المصدر ويكيبيديا)

في النسخة التي نعتمدها للتحليل، تقـع المقدمـة في 77 صفحة، وتتضمن العناوين الداخلية التالية:

- أصول الإسلام من وجهة النظر الإسلامية
- الجزيرة العربية قبل الإسلام
- الجماعـات ذات التقليـد الإنجيلي في شـبه الجزيـرة العربية
- حياة محمد
- محطات في تاريخ النص القرآني
- هل يوجد نقد نصي للنص القرآني
- السور المكية والمدنية
- العلاقة بين الإله الخالق والمخلوق
- العلاقات بين الإله والإنسان عبر التاريخ
- القرآن والتاريخ
- العلاقات بين الإله والجماعة المسلمة
- ملحقـات فنيـة: اختصـارات ورمـوز وشـجرة نسـب الرسول الكريم
- كلمة حول الترجمة
- مسرد

وفي نهاية النص، يمكن للقـارئ أن يطلـع على الفهـرس التحليلي.

وضــمن هــذه الدراســة الطويلــة والغنيــة بالمعطيــات، اســـتوقفتنا مجموعـــة من الملاحظـــات في عـــدد من المواضيع المطروقـة، ويمكن أن تكـون مفيـدة لموضـوع هذه الدراسة.

فبخصوص اللغة العربية وعلاقتها بـالقرآن الكـريم، يقـول أنه بالنسبة للمسلم، فإن القرآن قد أنزل باللغة العربيـة. وأسلوبه بـه جمـال معجـز، ولا يمكن تقليـده: أي ترجمـة للقرآن إلى لغة أخرى من شأنها تشويه النص، وأنــه بعـد جــدال طويــل، انتهى أغلب اللاهوتــيين المســلمين إلى القبــول بشــرعية الترجمــات على أن تقــدم فكــرة عن "أفكار" القرآن، غير أن الأســلوب لا يمكن تـذوق حلاوتـه إلا بالعربيــة. وفي نفس الســياق، فــإن جمهــور العلمــاء المســلمين لا يجــيز عمليــا، باســتثناء حــالات محــدودة، استخدام الترجمة لأغراض تعبدية." (ص. 10)

في هذه الفقرة، تكتفي المقدمة بعرض الموقف الســائد لدى جمهور العلماء المسلمين من قضية ترجمـة القـرآن الكريم، وتجتر معالم القصور والخلط الـتي تشـوب هـذه النظرة، والتي تسعى هذه الدراسة إلى رصـدها واقـتراح نظرة ترشيدية لها.

نقطة أخرى لزم التوقف عندها في الدراسة التمهيدية لجوميير، وهي حضور الرؤية المسيحية التقليدية ذات الطابع الجدلي حول رسالة الإسلام[118]، فعلى الرغم من تأكيده أن رسالة الإسلام هي في المحصلة "تأكيد" لرسالة موسى وعيسى: "من جهة أخرى، فإن ظهور الإسلام كان بمثابة ضربة قاضية للعديد من الجماعات المسيحية...." (ص. 12)

لا ندري إلى أي حد يمكن أن يدعم المؤلف مقولاته عن نتائج ظهور الإسلام على الجماعات المسيحية، غير أن تعليقه هذا يبدو وكأنه تمهيد لما هو أشد من ذلك، والذي جاء في سياق تعليقه على العناصر الأسلوبية المشتركة بين المسيحية واليهودية من جهة وتفسير المسلمين للقرآن الكريم بكون الأصل مشتركا، ويضيف: "ولكن يحق لنا أن نتساءل هل كان ثمة أي نوع من التواصل بين الجماعات المسيحية واليهودية والجماعة المسلمة في فجر الإسلام" لأن المسيحيين لا يشكون في هذا الأمر ويعتبرون الإسلام "فرقة ضالة" من المسيحيين (ص. 16)

118 - أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، كتاب عالم المعرفة، العدد 215، نوفمبر 1996، منشورات المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت. ص. 29-57.

وهنا تتبدى الرؤية المسيحية التقليدية للإسلام، والموقـف الشخصي أو العقدي لجومبير، والذي ينفي الأصـل الإلهي لهـذا الـدين. والحقيقـة أن هـذا غـير منصـف، ولـو تم الانطلاق من مرجعية جومبير نفسه، فهـو يقـدم لترجمـة بدراسة تقتضي الموضوعية والحياد، بل تزعم نقـل رؤيـة المسـلمين لـرؤيتهم للعـالم والأديـان السـابقة، وطـرح الموضـوع على هيئـة سـؤال اسـتنكاري يحمـل أكـثر من دلالة على موقـف شخصـي لامـبرر لـه في ظـل السـياق الذي وردت فيه[119].

وفي الصفحات التالية، تقابلنا تعليقـات أخـرى في سـياق السرد التـاريخي للمؤلـف من نفس القبيـل. ففي سـياق الحديث عن الجماعات المسـيحية في الجزيـرة العربيـة، يتوقـف جوميـير عنـد الـراهب بحـيراء وفـق الروايـة المسلمة، وكذلك وفق رواية كتـاب غـير معـترف بـه من قبل الكنيسة يسمى "القيامة" يبين أهميـة هـذا الـراهب، حسب زعم جومبير، في أصل القرآن الكريم (ص. 17)

غير أن الموقـف الأكـثر وضـوحا في الإشـارات المبطنـة لجومبير تمثـل في حديثـه عن أول بشـائر الـوحي وتعبـد

[119] هذا التعليق يطرح بالنسبة لوجهة النظر التي نتبناها قضية مهمة للنقاش حول ترجمات المستشرقين وآرائهم المضمنة في الهوامش أو المقدمات، ومدى مشروعيتها والموقف منها على ضوء النظرية المقاصدية لترجمة القرآن الكريم. وسنعود للتفصيل في هذه النقاط في الخلاصات.

الرسول الكريم في غار حراء يختمها بسؤال استنكاري لا يخلــو من دلالــة: "إن المصــادر الإســلامية تتحــدث عن خلوات تعبدية للقيام بتمارين روحيــة في غــار قــريب من مكة، وهناك بدأت علامات الرسالة: هل كــان يتوجــه إلى هناك فقط بدافع من ميــل شخصــي للصــلاة أم أنــه كــان عضــوا من مجموعــة تمــارس هــذا النــوع من التمــارين؟ ليس لدينا أية وثيقة تثبت ذلك". (ص.19)

بعد التطرق إلى عدة مواضيع في ســياق النظــرة العامــة للقرآن الكريم للإنسان والعــالم والخــالق، يخصــص زهــاء صفحة ونصف للترجمة، يستهلها بمعلومات حــول الأصــل المترجم، النسخة وسنة الطبــع والمكــان والقــراءة، (ص. 72).

وفي الصــفحات اللاحقــة، تنتقــل المقدمــة إلى اعتمــاد خطاب يمكن وصفه ب"التقني" أو "الفــني" عن أســلوب الترجمة ومحدداتها ، مؤكــدا أنهــا الــتزمت النص الأصــلي من حيث توزيــع الســور وتــرقيم الآيــات، إلا العنــاوين الداخلية التي توضع بين معقوفتين، أي أنه يعتبرها خارجة عن النص[120]. ومن الناحيــة الأســلوبية، يؤكــد أن الترجمــة

[120] لا تقدم المقدمة أي تفسير لهذا "الترتيب" الذي يدرجه في السور، غير أن نظرة سريعة عليها تبين أنها "موضوعاتية"، ففي سورة الكهف مثلا، نجد العناوين الداخلية التالية: "مقدمة"، "النائمون في الكهف"، "مهمة محمد"، "حكاية الرجلين"، "كناية عن هذه الحياة"، "موسى و عبد الله"، "ذو القرنين"، "يوم الحساب". وهذه العناوين قد تكون إحالة على رأي شائع لدى المستشرقين، من كون القرآن الكريم كتاب لا يعير أدنى اهتمام للترتيب الزمني أو

تهتم بـالمعنى دون الأسـلوب، أي أنهـا تحمـل "بعضـا من أسلوب القرآن"، كما أنها تسعى إلى البحث عن المماثلة من حيث الأثر على المتلقي.

أما بخصوص الجـدل بين الترجمـة الحرفيـة والتفسـيرية، فإنه يعتبر أن ثمة تمييزا بين "ما يقوله القرآن" و"ما يبدو أنه يعنيه"، بحيث أنه يحيـل على الهـوامش في كثـير من الأحيـان لنقـل حرفيـة التعبـير القـرآني بينمـا يميـل إلى تبسيط المعنى أو حذف الطابع المجازي في متن النص.

ويمكن التخمين، من خلال التحليل الـذي سـنقدمه لاحقـا لترجمـة سـورة "الكهـف"، أن صـاحب هـذه المعلومـات "التقنية" يمكن أن يكون المترجم نفسـه وليس صـاحب المقدمــة، وذلــك اســتنادا إلى كــون التحليــل الجــزئي للهوامش في السور يتطرق لما يمكن أن يحمل على أنه أحكام قيمة من قبيـل مـا ورد في المقدمـة، لكونهـا ذات طبيعة "لغوية" أو تأريخيـة. غـير أنـه في غيـاب معطيـات موثقة تؤكد هذه الفرضية، فلا يمكن من الناحية التحليلية سـوى القـول بـذلك على سـبيل الاحتمـال[121]. وسـنعود لاسـتكمال الحـديث في هـذه النقطـة عنـد الحـديث عن

الموضوعاتالمطروقة (مع ما في هذا الرأي من مركزية على الذات وإحالة على مرجعية الإنجيل)، وتكون هذه العناوين بهذا المعنى محاولة ل "مساعدة" القارئ المفترض على متابعة النص.

[121] في هذه النقطة أيضا، يحق للباحث أن يتساءل عن جدوى هذه الإحالات بالنسبة للقارئ المفترض، وما طبيعة القيمة المضافة التي يمكن أن تحملها هذه الإحالات.

الهـوامش ومـدى انسـجامها مـع المقـولات والتوجهـات الواردة في المقدمة.

وثمة إشـارات أخـرى إلى اختيـارات وأدوات ترجميـة من قبيــل الاعتمــاد على مراجــع المســلمين وغــيرهم في الترجمــة، وكــذا على المنهج المعــروف لــدى علمــاء المسلمين ب"تفسير القرآن بـالقرآن" لمعرفـة المعـاني عن طريق دراسة اسـتخدامات كلمـة أو تعبـير معين في السياقات المختلفة للقرآن الكريم حسب المواضع.

وبخصوص أسماء الأعلام، فقد تم الحفـاظ على الأسـماء في نطقهـا "الشـائع" (عنـد القـارئ الغـربي ذي الخلفيـة الإنجيلية بالطبع) وصـيغ تقريبيـة للأسـماء الـتي ليس لهـا مقابل في اللغة الإسبانية.

ترجمة بهيج الملا

على ضــوء الــترتيب المتبــع بالنســبة للترجمــة الأولى، سنقوم في الأسطر التالية بتحليل للقرارات الاستراتيجية أو الكبرى المحددة لترجمة بهيج الملا حويش[122].

---

[122] EL CORÁN INTERPRETACIÓN AL ESPAÑOL ACTUAL، دار النشر ديداكو، برشلونة، 2007.

في الغلاف، نجد العنوان التالي: القرآن "ترجمة تفسيرية (أو تأويـــل" إلى الإســـبانية الحاليـــة) EL CORÁN INTERPRETACIÓN AL ESPAÑOL ACTUAL.

أمـا الصـورة الـتي تظهـر في الخلفيـة، فهي لفن الخـط، وعليها تفصيل من عبارة "والله غالب على أمره" ويمكن إدراجها ضمن التوجهات الكبرى للفن الإسلامي المتمثلـة في الهندسة والخط وتجنب التجسيد.

بعد ذلك، نجـد الفهـرس وهـو يضـم أسـماء السـور وفقـا ل"الأبجدية الصوتية الدوليـة" إضـافة إلى ترجمـة معـاني أسـماء السـور (حسـب الحـالات، لأن ثمـة أسـماء أعلام وغيرهـا ممـا يمكن فقـط كتابتـه بـالأحرف اللاتينيـة، لكن المستغرب هو كتابة أسماء السور بصيغتها العربيـة وفـق الكتابة الصوتية الدولية، والتي تفـترض في القـارئ نوعـا من التأهيل المطلوب بالنسبة للدارسـين للعـالم العـربي والإسلامي في الجامعات، وهو ما لا يوافق التوجـه العـام للترجمة كما سنرى في المقدمة وأسلوب الترجمة الــتي لا تفــترض التوجــه إلى جمهــور متخصــص في مجــال الدراسات العربية أو الدراسات الشرقية.

أمـا فيمـا يخص المقدمـة، فثمـة مقـدمتان: الأولى لـدار النشر "ديداكو" والثانية من تأليف المترجم، وهي عمومـا

قصيرة الحجم بالمقارنة مع المقدمة-الدراسة لترجمة كورتيس.

تتطرق مقدمة دار النشر إلى السياق العام للترجمة إلى اللغة الإسبانية مستحضرة الحضور الإسلامي المتميز للإسلام في إسبانيا والصفحات المشرقة لتاريخ الأندلس. وبخصوص الترجمة، تعتبر أن ترجمة القرآن الكريم تقتضي وجود الكفاءة الشرعية والثقافية في اللغة العربية، مع ضرورة أن تكون اللغة العربية للغة الأم، علاوة على اللغة الإسبانية.

وعليه، تفيد المقدمة، فقد تم اعتماد الصيغة التالية:

- مترجم أول لغته العربية هي اللغة الأم
- مترجم ثان خبير في اللغة الإسبانية والمعارف القرآنية يصحح وينقح الترجمة، ويتأكد من نقاء الأسلوب.

أما المترجم الأول، فهو د. بهيج الملا حويش الذي تصفه المقدمة على أنه "سوري المولد وعارف بأسرار اللغة العربية"، ومترجم ومستشار في دروس تعليم اللغة العربية، كما أن لديه اتصال مستمر باللغات الغربية، خصوصا اللغة الإسبانية. أما المراجعة، فهي د. مارسيانو فيانويفا ود. ألبرتو كاسترو، أستاذان في دراسات اللغة

والآداب السامية لهما عـدة مشـاريع بحثيـة وترجميـة في هذا المجال. وبالتالي، فنحن إزاء عمل فريـق تـرجمين أو ما يسمى في دراسات الترجمـة ب"مؤسسـة الترجمـة"، يستلزم نوعا من التفاوض على الخيارات الترجمية ولا بد من نوع من أنواع توزيع الأدوار .

وبخصـوص الأسـماء الـواردة في الأناجيـل، يتم التعامـل معها على أنه نظرا لغلبة استعمالها في الثقافة الإسـبانية صارت مشهورة عكس النطق العربي لهذه الأسماء التي يمكن أن يبـدو غريبـة للقـارئ الإسـباني العـادي. وتم اسـتثناء اسـم الرسـول الكـريم "محمـد" نظـرا للحب والاحترام الكبير الذين يحظى بهمـا في قلب كـل مسـلم الـذي تمت كتابتـه وفقـا للنطـق الأصـلي بالعربيـة Muhammad [123].

وفيما يخص اللغة، فمع الالتزام بالوفاء للنص الأصلي، تم اعتماد لغة معاصرة في متنـاول الأجيـال الحاليـة، ويـورد لذلك مثالين:

- "الزكـاة" تمت ترجمتهـا ب Contribución fiscal "مساهمة ضريبية"، وهي تمنح القارئ الحالي فكـرة

[123] اعتبارا لما ورد في هذه المقدمة من اختيارات تولي أهمية كبيرة للطابع التواصلي للنص، والتي يؤكد عليها المؤلف، استغربنا اختيار طريقة كتابة السور في الفهرس

أوضـــح من الترجمـــة التقليديـــة "Limosna" أو "صدقة".

- ترجمة كلمة "المتقين" في العديد من المواضع ب " personas cumplidoras de la ley " أو " disciplinadas " أو"virtuosas"، أشـــــــخاص ملـــتزمون أو منضـــبطون أو فضـــلاء، بـــدل التعبـــير التقليدي "الذين يخشون الله" والذي يـوحي بشـعور بالخوف قـد يبعـده عن معنـاه المرجـو لـدى القـارئ الإسباني.

وفي إشارة لا تخلو من أهميـة، تفيـد المقدمـة أنـه نظـرا للبعد الزمني والطابع الشفهي للقرآن في فجر الرسـالة، ارتــأى المــترجم إدراج "كلمــات توضــيحية" (وفي بعض الأحيـان تصـل إلى جمـل كاملـة يزيـد حجمهـا عن حجم الجملة المترجمة)، ويتم وضعها بين قوسـين لفصـلها عن النص الأصلي، وهو مـا يمكن إدراجـه في بـاب النصـوص الموازية الداخلية التي تمنح إمكانية إدراج معطيات نصية موازية تردم الهوة المفترضة مع القارئ المفـترض الـتي لا يسع الخيارات النصية المتاحة تقديمها.

وختاما، فإن الترجمة موجهة وفقا للناشر للمسلمين المتزايد عددهم في البلدان الناطقة باللغة الإسبانية، وكل المهتمين بالتعرف "مباشرة" على الإسلام.

أما مقدمة "المترجم" (د. بهيج الملا)، فتحمل عنوان "مقدمة لفهم القرآن"

وتمتد من ص. 9 إلى ص. 16، وتقدم عموما الرؤية الإسلامية للقرآن الكريم باعتباره وحي من الله إلى رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم).

تتطرق المقدمة لمجموعة من المواضيع يمكن اعتبارها دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر تتوخى تقديم القرآن الكريم ودوره التأسيسي للرؤية العامة للإسلام في الإنسان والكون، موجهة للقارئ ذي المرجعية الثقافية الغربية في الوقت الحاضر، ويمكن إجمالها في فيما يلي:

- المكي والمدني
- الحقائق الأساسية للإيمان
- الإيمان والمجتمع
- أخطاء الفهم
- المعيار لفهم سليم للنص القرآني

مبادئ إنسانية لفهم القرآن الكريم:

- الكرامة الإنسانية عالمية
- تعدد المعتقدات حقيقة إلهية
- العلاقــات بين البشــر تعتمــد على مبــدأ المســاواة العالمية
- العدل قيمة عالمية
- الرحمة أساسية في الرسالة الإلهية
- السلم والوسائل السلمية

بعـد ذلـك، تطـرق الكـاتب إلى صـعوبات ترجمـة القـرآن الكريم (ص. 17-18-19)، ذكر منها صعوبة ترجمة معنى النص القرآني نظـار التعـدد في الأسـلوب القـرآني، ممـا يسبب عدة صعوبات في الترجمة من قبيل:

- الانتقــال بين ضــمير المتكلم والغــائب وبين المفــرد والجمع.
- غيــاب "كلمــات الربــط" حيث يلــزم إضــافتها إكمــالا للمعنى ويتم إيرادها بين قوسين تفاديا لاعتبارها جزء من النص القرآني.
- وجود عدة تعابير في اللغة الإســبانية تتطلب الابتعــاد عن الحرفية للتعبير عنها في اللغة الهدف.

ويضع لنا مثالا من سورة البقرة، آية 255: "يعلم مــا بين أيديهم ومــا خلفهم" لا يمكن ترجمتهــا مثلا ب “Conoce

lo que está ante ellos y lo que está detrás de ellos"

وهي الصيغة الحرفية للترجمة، والتي اعتبرها لا تفيد المعنى المرجو لدى القارئ باللغة الإسبانية، لذلك آثر عليها ترجمة للمعنى على الشكل التالي:"

"Conoce tanto el presente como el futuro de sus criaturas"

أو "Conoce todo de ellos, tanto lo aparente como lo oculto"

ويورد لنا مثال آخر من سورة الجاثية، آية 18، حول بني إسرائيل ومنحهم الحكم والنبوة، ضرورة أن نضيف إلى الآية " في ذلك الزمن" لكي لا يظن القارئ أن اليهود شعب الله المختار وأنه فضله على بقية الشعوب.

وينتقل المؤلف في الصفحتين 18 و 19 للحديث عن مسائل متنوعة متعلقة بالترجمة، مستهلا حديثه بالتطرق إلى مشكل عام في الترجمة حيث المترجم أمام خيارين: الترجمة الحرفية و"الحرة". ويشير في هذا الصدد إلى فتوى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في العربية السعودية: (تدور حول الثنائية: الترجمة التفسيرية والحرفية) المستندة إلى فتوى الشيخ

العثيمين رحمه الله الـتي تجـيز الترجمـة "التفسـيرية". أو ترجمـة "معـاني" القـرآن الكـريم، الـتي تسـير في نفس اتجاه آراء أعلام من القدماء مثل الزرقاني والذهبي.

وعن مصادر التفسير ومفردات القـرآن الكـريم اسـتندت الترجمـة إلى مؤلفـات الشـعراوي والـراغب الأصـفهاني والزحيلي والقرطبي وابن كثير و التفسير الميسر لمعهـد الملك فهد، ومراجع لوزارة الأوقاف المصـرية، وكـذا ابن مسـعود في التنزيـل وآيـات الأحكـام في هـذا الجـانب، و"في ظلال القرآن" حول السياق العام للآيات.

كما تمت الاستعانة بموسوعات ومراجع متخصصة بلغـات أخـرى وترجمـات للقـرآن الكـريم وترجمـات إلى لغـات أوروبيـة، ومن أبرزهـا ترجمـة يوسـف علي ودار شـاهين إلى الإنجليزية وحميـد اللـه ونـور الـدين ابن محمـود إلى الفرنسية وخوان فيرنيت وخوليو كـورتيس إلى الإسـبانية وترجمات معهد الملك فهد إلى اللغات الثلاث.

ونلاحظ أيضـا أن ثمـة اهتمامـا بملاحظـات المتلقين فهـو يضـمنها دعـوة إلى أهـل الاختصـاص أو الاهتمـام من بين الناطقين بالإسبانية في شبه الجزيرة الإيبيرية أو أمريكـا الجنوبية لإبداء ملاحظاتهم وتصويباتهم للعمل.

وختامـا، يشـير إلى أن الفـرق بين دارس الإسـلام الـذي ينطلق من اهتمام علمي واجتماعي مختلـف عن مقاربـة المسلم الواعي بواجبه نحو نحو دينه وأمته والتزام حيـال الأجيال.

ترجمة ميلارا نابيو

النسـخة الـتي بين أيـدينا تحمـل عنـوان: القـرآن الكـريم وترجمة معانيه إلى اللغة الإسبانية.

وهو من إصدار مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكـريم في المدينة المنورة، سنة 1998، وبها مقدمة من صفحة واحدة ذات طابع مؤسسي، فهي لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، وزير الشؤون الإسـلامية والأوقـاف والـدعوة والإرشـاد، المشـرف العـام على المجمع.

وتؤكـد ذات المقدمـة الوجـيزة على أن الهـدف من هـذا العمل هو تيسير فهم القـرآن الكـريم والاطلاع عليـه من قبل المسلمين غير الناطقين بالعربية، مشـيرة أن مهمـة الترجمـة قـد أوكلت للشـيخ عبـد الغـني ميلارا نـابيو، مـع

مراجعة لفضيلة الشيخين عبد الله قـدورة وعيسـى عمـر كيفيدو.

وحـول مفهـوم الترجمـة، يؤكـد "إننـا لنـدرك أن ترجمـة معاني القرآن الكريم -مهما بلغت دقتها- ستكون قاصـرة عن أداء المعاني العظيمة التي يدل عليها النص القـرآني المعجـز، وأن المعـاني الـتي تؤديهـا الترجمـة إنمـا هي حصيلة ما بلغه علم المترجم في فهم كتاب الله الكـريم، وأنه يعتريها ما يعتري عمل البشر كله من خطأ ونقص".

وختامـا، توجـه دعـوة لقـارئي الترجمـة لموافـاتهم بكـل الملاحظـات من "خطـأ أو نقص أو زيـادة للاسـتدراك في الطبعات القادمة.`

ويمكن التعليـق على هـذه المقدمـة من وجهـة نظـر دراسات الترجمة بكونها تعكس حضـورا قويـا للمؤسسـة الراعيـة للترجمـة لكـون المقدمـة عبـارة عن رسـالة رسمية، مقابل خفوت صوت المـترجم وحضـوره، المعلن على الأقـل، في تقـديم توجيهـات عامـة أو رؤيـة عامـة للترجمـة. وهـذا يلفت إلى نقطـة مهمـة في دراسـات الترجمـة، الـتي تميـل إلى الحـديث عن "هيئـة" أو "مؤسسـة" للترجمـة تكـون طبيعـة العلاقـات التراتبيـة

متباينة حسب الحالات، وهو أمر جـدير بالدراسـة لتـأثيره على طبيعة العمل والمنتج النهائي للعملية الترجمية.

وبخصـــوص التصـــور الـــذي تقدمـــه الترجمـــة للقـــارئ المفترض، فيبدو محـدودا جـدا في أفضـل الأحـوال، لأنـه يتحدث عن المسلمين غير الناطقين باللغة العربية، وماذا عن غير المسلمين الراغـبين في التعـرف على الإسـلام، فهل يجب إعداد ترجمة مختلفة لهم؟ وماذا ستحمل هـذه الترجمة على مستوى النص المترجم والنصوص الموازية بالنظر إلى الاستخدام شبه المنعدم لهذه الإمكانات، وهو ما يمكن سحبه على الهوامش كما سنرى لاحقا.

أما بخصـوص الخيـارات الترجميـة، فـإن عـدم التنصـيص عليها في المقدمة لا يعني بالضرورة عـدم وجودهـا أثنـاء تنفيـذ الترجمـة، بـل تبقى خيـارات مضـمرة يمكن تلمس ملامحها من خلال التحليل التفصيلي للنص المترجم.

التحليل لسورة الكهف

بعـد اسـتعراض أهم القـرارات العامـة أو "الاسـتراتيجية" للترجمـــات الثلاث من خلال النص المـــوازي (المقدمـــة والغلاف وغيرهـا) الـتي تقـدم معطيـات هامـة لتحليـل

الفروق بين الترجمات والنظرة العامة التي يتبناها كل من المترجم والمؤسسة الناشرة حول طبيعة العمل وأهدافه وطبيعة المتلقي، إلخ.

وتتمة للنصوص الموازية للترجمة، نتطرق لجانب آخر من النصوص الموازية هو الهوامش، ونتبع نفس الترتيب للترجمات، غير أنه نظرا لطبيعة العمل، فسنركز على سورة الكهف عينة في التحليل.

الهوامش

كورتيس

أول ملاحظة على ترجمة كورتيس هو استخدامه الواسع للهوامش مقارنة بالترجمات الأخرى، وقد أحصينا له في سورة الكهف التي نتخذها نموذجا للتحليل 109 هامشا على 110 آيات، أي بمعدل هامش لكل آية تقريبا، وبعض الهوامش متعددة المواضيع، أي أنه يمكن اعتبارها هوامش متعددة داخل هامش واحد.

ويمكن تقسيم هذه الهوامش إلى الأنواع التالية:

- **تفسيرية**: تتوخى تحديد على من يعود الضمير المذكور في آية معينة (الهوامش 1 و 2 و 5 و 8 و 17 و37 مثلا)

- **مقارنة**: وتتضـمن إحـالات على مصـادر مسـيحية تتطرق لموضوع الآية أو القصـة القرآنيـة، من قبيـل الإشـارة إلى أن قصـة "فتيـة الكهـف" "تسـميها بالأسطورة الشرقية" [124] وفي الهامش 0 يشـير إلى خطاب بالسريانية للشارع يعقوب بن صـروخ (451-521) يتطرق لقصة أهل الكهف. كما نجـد أيضـا في الهامش 24 إحالة على قول "إن شاء الله" المذكور في الأناجيل(13-15) وفي القرآن الكريم 68-18)
- **لغوية**: وقـد صـنفنا في هـذا البـاب الهـوامش الـتي تـرمي إلى تبيـان الفـروق بين التعبـير المجـازي والحـرفي كمـا في الهـامش رقم 11 "ــ Y LES HICIMOS DORMIR"وأنمنـاهم" وفي الهـامش Y الإشارة إلى العبـارة الأصـلية في القـرآن الكـريم LES GOLPEAMOS EN LAS OREJAS"وضربنا على آذانهم".

يمكن التعليق على الأسـلوب الـذي نحـاه المـترجم فيمـا يتعلق بهذه النقطة بالذات على أنه يتسم ب"العلمية" أي الانسجام مع ما زعمه في المقدمـة، ثم إن العـدد الكبـير من الهـوامش من شـأنه أن يفيـد أن كـورتيس، بخلاف

[124] راجع مفهوم الأسطورة الشرقية في ويكيبديا: http://es.wikipedia.org/wiki/Leyenda

الملا، يعتمد الهوامش جزء أساسيا في إضافة معطيات نصية توضيحية يعتبرها ضرورية، في حين أن هذا الأخير يعتمد أساسا على مقدمات السور والجمل بين معقوفتين.

بهيج الملا

أما ترجمة د. بهيج الملا، فتتضمن مدخلا خاصا لكل سورة من سور القرآن الكريم، وهذا شأن سورة الكهف. وتتوخى هذه المقدمة ربط هذه السورة بالسور السابقة من 17 إلى 21 مصنفة إياها ضمن الموضوع العام حول الرقي الروحي، وتستتبع بمختصر موضوعات السورة وكذا عرض للمواضيع وفق عدد الآيات المتطرقة لكل موضوع، مع تعليق عام على سياق السورة مستقى من تفسير "الظلال" لسيد قطب.

ولا وجود لهوامش كما قلنا، غير أن هذه الإمكانية يتم اغتنامها عبر الجمل الملحقة بالنص بين معقوفتين، ولو أن طبيعتها تختلف في أغلب الحالات عن هوامش كورتيس وخصوصا ذات الطابع اللغوي، بل إن دورها يمكن اعتباره "أسلوبيا" كما سنرى ذلك في التحليل التفصيلي للسورة.

ميلارا نابيو

أمــا بخصــوص ترجمــة الشــيخ ميلارا نــابيو، فــإن كــل الهوامش توجد داخل النص (تحت الآية)، وعدد الهـوامش الإجمـالي 8 في السـورة كلهـا. ويلاحـظ عـدم التـوازن الكبـير في هـذا المجـال وغيـاب معيـار واضـح للإحـالات (ويمكن على سـبيل المثـال في هـذه الترجمـة مقارنـة عدد الإحالات بين الفاتحة وسورة البقرة المتقاربة العــدد رغم التفاوت الكبير في الطول)

ويمكن تقسيمها إلى نوعين اثنين:

- خلاف المفسرين حول آية معينة: الآية 9، 12، 16، 52، 84، 86، 94)
- تفسير لغوي كما في الآية 86.

ويمكن القول أنه كما كان عليه الحال في المقدمة، فـإن الاستفادة من الإمكانيـة الـتي تتيحهـا النصـوص الموازيـة يبـدو ضـعيفا ومضـطربا، والاسـتغناء يعـني أن المـترجم يرجح أن القارئ المفترض في غنى عنها. وهو مـا يطـرح أسئلة عديدة حول التصور الذي يحمله المترجم أو "هيئـة الترجمـة" لطبيعـة المعلومـات التكميليـة الـتي يحتاجهـا لتلقي القرآن الكريم وفهمه على النحو الذي يتطلـع إليـه القائمون على الترجمة.

تحليل البنيات الصغرى

الاختيارات الاصطلاحية

في السطور التالية، سننتقل إلى تحليل الاختيارات الاصطلاحية للترجمات الثلاثة موضوع هذا البحث.

ترجمة كورتيس

أول ملاحظة على الاختيارات الاصطلاحية عند كورتيس هو وجود نوع من الاختلال في المعايير لتفسير بعض المصطلحات، ومن ذلك مثلا الآية 9 حيث يترجم كلمة "الرقيم" والتي ينقلها بالحرف إلى الإسبانية Ar-Raquim ، ويشير إلى خلاف المفسرين "المجموعتان المتواجدتان في الكهف (أنظر الآية 19 من نفس السورة)؟ النائمون وسكان البلدة؟ أو اللوحة البرونزية التي حفرت عليها هذه الحكاية؟

لكن المعيار مختلف في الآية 19 في الإشارة إلى "الوصيد" (...) mientras su perro estaba en el umbral con las patas delanteras extendidas" والتي يمكن ترجمتها حرفيا على النحو التالي: وكلبهم باسط قائمتيه الأماميتين على العتبة".

وقد كان حريا به بنفس معيـار الإشـارة إلى اختلاف أهـل العلم بخصـوص كلمـة "الوصـيد" الـذي ذهب إلى كونـه الفنـاء أو المـدخل أو الـتراب، والبعض ذهب إلى كونـه أسدا تم التعبير عنه بلفظ الكلب. (أنظر تفسـير الطـبري والبغوي مثلا).

وتجدر الإشارة أيضـا إلى اسـتخدام كلمـة Dios للتعبـير عن الذات الإلهيـة، في مقاربـة تتـوخى مخاطبـة القـارئ المفترض بلفظ مألوف لديه (وهو لفظ ذو أصول إغريقية وفق المرجعية المسيحية).

كما يمكن أن نجد أيضا البحث والتعمق في دقـائق اللغـة القرآنيـة من خلال كتب التفسـير، كمـا في الآيـة 60 من سـورة الكهـف، حيث يـترجم "مجمـع البحـرين": la confluencia de las dos masas de agua أي "ملتقى الكتلتين المائيتين" ويشير في الهامش أن كلمـة "بحـر" في العربيـة يمكن أن تعـني "البحـر" أو "النهـر الكبير"، واعتمادا على المصادر اليهودية، يخمن أن يكـون ذلـك ملتقى دجلـة والفـرات أو ملتقى الـنيلين الأبيض و الأزرق، وعليه اختار مقـابلا التعميم في محـل التخصـيص في الترجمة.

ونجد مثـالا آخـر لهـذه المناقشـات في ترجمـة اسـم "ذو القــرنين" حيث يترجمــه ب "el Bicorne"، ويكتب في الهـامش أنــه "على الــرغم من كــون القــرآن الكــريم لا يذكره بالاسم، فـإن الأمـر يتعلـق بالأسـكندر الأكـبر، لكن "الأسـطوري" وليس "التـاريخي". وسـمي كـذلك لوجـود ضفيرتين كبيرتين على جانبي رأسه تشـبه القـرون، وهي علامــة على القــوة، والعديــد من الآلهــة في الحضــارات السامية كانت تدعى ب"ذي القرنين".

تعليقــا على هــذه النقطــة، يمكن القــول بــأن ترجمــة كــورتيس متوازنــة عمومــا من حيث أهــدافها ونوعيــة المعطيات الموازية الـتي توفرهـا للقـارئ المفـترض، ولا تتضمن أحكام قيمة مثل تلك الـتي نجـدها في المقدمـة، وهذا ما يعزز نظرية التأليف المشترك للمقدمة.

بهيج الملا

يمكن القــول أن د. بهيج الملا اختــار طريقــا مخالفــا لكـورتيس في حـل الإشـكالات المتعلقـة بالاصـطلاحات، فنجــد مثلا أنــه في مواجهــة المثــال الأول، "الــرقيم" وترجمهــا بجملــة تفســيرية كاملــة cuyos nombres

fueron inscritos sobre la piedra de la misma"، أي ما معناه بالعربية "الذين نقشت أسماؤهم فوق صخرته (الكهف)". ونلاحظ أنه لا يميل للتطرق لمختلف الآراء الواردة في التفاسير، كما رأينا كورتيس يفعل، بل "يحسم" هذا الأمر ويكتفي بترجمة أحد الخيارات التي تمنحها والتي أتى على ذكرها كورتيس بكثير من الإحاطة والتوثيق.

ونجد نفس النهج في ترجمة "الوصيد"، فهو يترجم الكلمة إلى مدخل "وقائمتاه ممددتان في المدخل" mientras su perro estaba tumbado en la entrada (de la caverna), con las patas extendidas

وعلى نفس المنوال يترجم الآية 60 من سورة الكهف في "مجمع البحرين"، إذ يميل إلى الخيار الأول الذي توره التفاسير فيترجمه ب "la confluencia de los dos mares" دون أن يدخل في الخيارات الأخرى التي تفتحها التفاسير والتي لا نشك في أنه على علم بها.

ومن جهة أخرى، يفضل الملا استخدام "DIOS" للتعبير عن الله، في نهج تواصلي لمخاطبة القارئ الغربي بما ألفه وربما كان اسم الجلالة نقطة لزم التطرق إليها على

غرار تفسير أسباب تفضيل نطق كلمة "محمد" (ص) من باب الانسجام في التعامل مع الحالات المتماثلة.
غير أنه، خلافا لهذا النهج التواصلي الذي يبدو أن المترجم قد اتبعه في الحالات التي رأيناها، فقد آثر في حالة "ذو القرنين" الحفاظ على الكلمة وكتابتها بالأحرف اللاتينية وبالصيغة الصوتية " Dhu-l-Qarnayn"، مع ما في ذلك من مخالفة كبيرة لمبدأ تيسير القراءة والفهم، ذلك أن هذه الكتابة الصوتية تعد أحد أدوات العمل بالنسبة للدارسين في حقل الدراسات العربية والإسلامية وبالتالي تفترض نوعا من التكوين قد لا يكون في متناول القارئ المفترض الذي يخاطبه.

ميلارا نابيو

ختاما لهذه النقطة، سنحاول أن نتلمس تعامل ميلارا نابيو حيال المصطلحات، وفقا للأمثلة التي اخترناها للتدليل على ذلك.
بخصوص ترجمة الرقيم، فقد كان أقرب إلى كورتيس وكتب الكلمة بالأحرف اللاتينية "Al-Raqim"، ووضع إشارة على شكل هامش تحت الآية تتطرق إلى خلاف

المفسرين حول الكلمة، أما فيما يخص "الوصيد" فقد كان في هذا أقرب إلى د. بهيج الملا "junto a la entrada"، وذلك على الرغم من التشابه في الحالتين، مما يشكل عدم انسجام في المعيار، أو على الأقل قرارا ترجميا حسمه المترجم ولا مجال للقارئ للاطلاع على دوافعه.

مثال آخر من عدم الانسجام نجده في الآية 52 حيث يتطرق لكلمة "موبق"، ويضع لها هامشا تحت الآية يشير إلى أنه إضافة إلى "حاجز" أو "حائل" التي ترجمها ب "barrera" أن بعض المفسرين يذهب إلى أنه نهر في جهنم من دم وقيح.

أما بخصوص "مجمع البحرين" فقد اكتفى بترجمة إحدى الخيارات التي يوردها المفسرون "la confluencia de los dos mares" أي خيار "البحر" دون الدخول في التفاصيل أو خلاف أهل التفسير، مما يدل على عدم توحيد في المعايير أيضا.

ومما يدل أيضا على ضعف النهج التواصلي في هذه الترجمة طريقة كتابة الأسماء مثل "ذو القرنين" ب "Dhul Qarnayn" دون معلومات إضافية، وكذا كتابة يأجوج ومأجوج على "Yayuy y Mayuy" وفي الهامش

"Gog y Magog"، ولم نر لذلك أي وجه فائدة على اعتبار أنه إذا كان الهدف تقريب الاصطلاح، فالأولى كتابته بالشكل المألوف لدى القارئ ذي الخلفية المسيحية (العبرية)، أو تعليل كتابته بشكل مختلف إن كان لذلك سبب معين، ومنه أيضا كتابة نبي الله موسى عليه السلام ب "Musa" بدل "Moisés"، أو كتابة اسم الجلالة "Allah" الذي يستغرب نظرا لكونه يشكل في القراءة على القارئ بالإسبانية ف "ll" بالإسبانية تقرأ ياء وليس لاما مشددة.

التراكيب

نختم هذه الدراسة عبر العينة التي تم اختيارها عبر تحليل التراكيب، وسنبدأ بالآية 17 من سورة الكهف:
﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا. ﴾ (سورة الكهف، آية 17)

ترجمة كورتيس

Habrías visto que el sol, al salir, se“ desviaba de su caverna hacia la derecha y, al ponerse, los rebasaba hacia la izquierda, mientras ellos estaban en una oquedad de ella. Ése es uno de los signos de Dios. Aquel quien Dios dirige está bien dirigido, pero para aquél a quien guía no encontrarás ”amigo que le guíe

يتــبين من خلال الــتراكيب المجهــود الكبــير الــذي بذلــه كورتيس في صياغة النص باللغة الإسبانية بشكل رشيق، وذلــك واضــح في الجمــل القصــيرة الــتي تقســم الآيــة الكريمــة في النص الإســباني وتســهل القــراءة. ولكن، باستثناء هذا الجهد الأسلوبي، فإن النص يسير "بالتوازي" مع النص العربي، على أن هذا، من خلال دراسة السورة، ليس منهج كــورتيس على الــدوام، فلــه تصــرف في التراكيب وفق هذا المنهج "التيسيري" للفهم والقراءة.

ya en la caverna, el Señor les sumió en un)“ de tal (letargo e hizo que quedaran tendidos modo que cuando el Sol se elevaba su radiación declinaba hacia la derecha de la caverna y, cuando se ponía, se desviaba hacia la izquierda, mientras que ellos (sin exponerse directamente al sol) permanecían en el centro de la caverna. Esta ubicación es una prodigiosa prueba del poder de Dios. Aquel a quien Dios dirige va bien encaminado (hacia la bienaventuranza). En cambio, aquel a quien deja extraviarse no encontrará quien le pueda proteger ni .”dirigir

أول ما يسجل بخصـوص هـذه الترجمـة هـو طـول النص، فقد سـاهمت الجمـل التفسـيرية بين قوسـين في زيـادة حجم النص بشـكل ملحـوظ، وهي جمـل تضـع الآيـة في

السياق، وتستعين بالتفسير لتضع القارئ في سياق الآيــة ضمن الحكاية (كما في العبارة الأولى) أو تقــدم توضــيحا أو تــدقيقا (كمــا في الثانيــة والثالثــة). أمــا من الناحيــة الأسـلوبية، فيلاحـظ وجـود منحى إلى مـا يصـطلح عليـه فينـاي وداربلنيـه بـالتحوير أو التكـييف الأسـلوبي حسـب الحالات، والمتمثل في اعتماد الجمـل القصـيرة المعتـادة في اللغات اللاتينية، وهو منهج يتلاءم والمقاربة التواصلية التي اعتمدها المترجم، وكـذا تركـيزه على المتن النصـي بدل الاعتماد على الهوامش.

ترجمة ميلارا

Y podrías ver cómo el sol naciente se “ alejaba de la caverna por la derecha dejándolos al ocultarse por la izquierda; mientras ellos permanecían en un espacio .abierto

Esto es parte de los signos de Allah. A quien Allah guía es el que está guiado y a quien extravía, no encontrarás para él ni quien lo .”proteja ni quien lo guíe rectamente

يمكن القول أن ترجمة ميلارا هي الأكثر "حرفية" في التوازي مع نص القرآن الكريم من حيث التراكيب أيضا، غير أن هذا لا ينفي كونه، مقارنة بالترجمات السابقة، الأقل تصرفا بالأسلوب، واختيار المفردات لا ينم عن انشغال بالتواصل مع القارئ بما يألفه من الأساليب المعاصرة، بل بمحاكاة النص الأصلي، واعتماد المفردات والتراكيب الأقرب إلى النص الأصلي، أو ما يعبر عنه فيناي وداربلنيه ب"النسخ"، ويتعزز هذا النهج بالنظر إلى التقشف الشديد في المعطيات المصاحبة أو المعلومات الموازية، سواء من خلال الهوامش أو الأقواس المصاحبة، مما يزيد في "بعد" النص الأصلي على القارئ.

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف، الآية 26)

ترجمة كورتيس

Di: «Dios sabe bien cuánto tiempo permanecieron. Suyo es lo oculto de los cielos y de la tierra. ¡Qué bien ve y qué bien oye! Fuera de Él, los hombres no tienen amigo. Y Él no asocia a nadie en Sus .«decisiones

نفس التقييم الذي أوردناه بالنسبة للآية الأولى ينطبق على الثانية، غير أننا لاحظنا أنه حاول محاكاة صيغة التعجب، وهذا خيار ترجمي يمكن أن يناقش من وجهة نظر التفسير، ومن جهة أخرى، قام بترجمة "ولي" بمعنى "صديق" باللغة الإسبانية، وهذا يمكن أن يكون أيضا محل نقاش من وجهة نظر التفسير.

ترجمة الملا

Di (pues a tus conciudadanos) que la“ duración exacta de su permanencia es la que Dios conoce (y declara): Él conoce los arcanos de todo el universo. Su capacidad de ver y oír es inimaginable. No encontrarán

fuera de Él valedor alguno. Él no admite que nadie participe en la elaboración de Sus .”decisiones

أمـا ترجمـة د. بهيج الملا، فهي تتبـع نفس النهج عمومـا، وتملأ المضمر في النص الأصـلي في عين القـارئ باللغـة المترجم إليها وتقربها إليه، ونلاحظ أيضا أنه لم يتبع نمـط إعادة إنتاج صيغة التعجب في ترجمته، بـل اكتفى بعبـارة تقريريــة تبــدو، برأينــا المتواضــع، ملائمــة أكــثر لســياق الحديث عن القدرة الإلهية بدل عبـارة تحـاول أن تحـاكي صيغة التعجب، وقد لا تكـون ملائمـة للحـديث عن الـذات الإلهيــة، يضــاف إلى ذلــك اختيــار د. بهيج الملا كلمــة " valedor" ترجمة ل"ولي" بينما اختـار كـورتيس كلمـة " amigo" التي تعـني "صـديق" وقـد لا تفي بـالغرض في بعض جوانب "ولاية" الله تعالى لعباده.

ترجمة ميلارا

Di: Allah sabe mejor lo que estuvieron, Suyo es lo desconocido de los cielos y de la tierra, .nadie oye y ve como Él

Fuera de Él no tienen quien les proteja y a .nadie hace copartícipe en Su juicio

أما ترجمة ميلارا، فتسير كما قلنا على أقرب مسافة من النص الأصلي، أو هـذا مـا تسـعى إليـه بواقـع الحـال وإن أضمرته باللسان. غير أن هذه المسافة القريبـة قـد تحـد من ملكـة التعبـير الـتي تقربهـا إلى ذهن القـارئ باللغـة الهدف. ففي العينة الأولى الـتي انتقيناهـا للتحليـل، ينحـو ميلارا إلى نهج د. بهيج الملا ويـــؤول العبـــارة على أنهـــا تقرير وليس صـيغة تعجب، غـير أن صـيغتها المباشـرة لا يمكن أن تقارن بحال بجمالية سـبك عبـارة د. بهيج، فقـد اختار ما معناه " لا أحد يرى أو يسمع مثله"، أما المفـردة الثانية التي أشـرنا إليهـا في الترجمـتين السـابقتين، فقـد اختـــار ميلارا عبـــارة معناهـــا "لا يجـــدون من دونـــه من يحميهم"، ويعتريهـــا بعض القصـــور في ترجمـــة الولايـــة الإلهية.

ونتتقل إلى الآية 55 من سورة الكهف

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُـدَىٰ وَيَسْـتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَـأْتِيَهُمْ سُـنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَـأْتِيَهُمُ الْعَـذَابُ قُبُلًا﴾

(سورة الكهف، الآية 55)

ترجمة كورتيس

Lo único que impide a los hombres creer cuando les llega la Dirección y pedir perdón a su Señor es el de no admitir que les alcanzará la misma suerte que a sus antepasados o que deberán afrontar el castigo

في هــذه الآيــة، علاوة على موضــوع البحث، المتعلــق بالتراكيب واختيـار المفـردات لـدى المـترجم في الأمثلـة المقترحة، يمكن التعريج بعجالة على مسـألة الاختلافـات في تفسير آية معينة وانعكاس ذلك على صياغة الترجمـة [125]. فكـورتيس يصـوغ ترجمتـه على اعتبـار أن مـا يمنـع

[125] والاختلاف حاصل أيضا بين المفسرين، فالطبري يرى مثلا في تفسيرها " أن وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله إذ جاءهم الهدى بيان الله: وعلموا صحة ما تدعوهم إليه وحقيقته، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم، إلا مجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم، أو إتيانهم العذاب قُبلا. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أو يأتيهم العذاب فجأة"، بمعنى أن عقاب الله تعالى يسبق توبة الكافرين فيلاقون مصير الأمم السابقة التي كفرت، وإليه ذهب السعدي في تفسيره لما قال:" أي: ما منع الناس من الإيمان، والحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق، بين الهدى والضلال، والحق والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم حجة الله، فلم يمنعهم عدم البيان، بل منعهم الظلم والعدوان، عن الإيمان، فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة الله، وعادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا، عوجلوا بالعذاب، أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مقابلة ومعاينة، أي: فليخافوا من ذلك، وليتوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مرد له". أما البغوي فيعتبر أن" قوله عز وجل: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى) القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل وقيل: إنه الرسول صلى الله عليه وسلم. (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إلا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) يعني: سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا. وقيل: إلا طلب أن تأتيهم سنة الأولين من معاينة العذاب كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال-32).

(أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلا) قال ابن عباس: أي: عيانا من المقابلة. وقال مجاهد: فجأة, وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة: (قُبُلا) بضم القاف والباء, جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعا نوعا. (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) ومجادلتهم قولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا

الكافرين من اتباع الهدى والتوبة إلى الله هو "عدم قبولهم" بفكرة أنه سيمسهم ما مس الأمم السابقة، وهو يقيم بذلك علاقة سببية تخالف إلى حد ما ذهب إليه بعض المفسرين ممن أشرنا إليهم في الهامش. وترجمة كورتيس تتجاهل تمام لفظة "قبلا" في الصيغة الإسبانية إلا إذا ذهب إلى أنها متضمنة في سياق الجملة للحديث

رَسُولا ﴾(الإسراء-94) . و ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾(الزخرف-31) وما أشبهه (لِيُدْحِضُوا) ليبطلوا (بِهِ الْحَقَّ) وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق (وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا) فيه إضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن هزوا أي استهزاء . (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ) وعظ (بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا) تولى عنها وتركها ولم يؤمن < 5-183 > بها (وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) أي: ما عمل من المعاصي من قبل (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) أي: يفهموه يريد لئلا يفهموه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) أي صمما وثقلا (وَإِنْ تَدْعُهُمْ) يا محمد (إِلَى الْهُدَى) إلى الدين (فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون."

وهذا المعنى يفترض أمرا مغايرا لما ذهب إليه الطبري، إذ يفترض أن ما يمنع الكافرين هو تحديهم برؤية آيات الله تعالى في الظالمين كما حدث مع الأمم السابقة قبل أن يومنوا، وهذا ما ذهب إليه أيضا ابن كثير عند قوله" يخبر تعالى عن تمرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه، وتكذيبهم بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات [والآثار] والدلالات الواضحات، وأنه ما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا، كما قال أولئك لنبيهم: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[الشعراء:187] ، وآخرون قالوا: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[العنكبوت:29] ، وقالت قريش: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[الأنفال:32] ، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[الحجر:6، 7] إلى غير ذلك [من الآيات الدالة على ذلك".

عن "los antepasados" أي "الأمم الســابقة". علاوة على ذلــك وجبت الإشــارة إلى ترجمــة "الهــدى" ب "la Dirección" مــع كــون الأنســب في الســياق الــديني، المسيحي أيضا، ربما يكون "la guía".

ترجمة الملا

“Una vez llegado el indiscutible Mensaje, a los malvados no les han quedado más argumentos que esgrimir, salvo la exigencia de ser testigos presenciales de los preludios del castigo como condición previa para abrazar la fe y solicitar el perdón del Señor. Pero Nuestra norma, ya aplicada a los antecesores, que adoptaron una postura semejante, reza que cuando el castigo está ya decidido (en vano será lamentarse y dar testimonio de fe)”

أما ترجمة د. بهيج، فيمكن القول أنها من التعقيد بمكان. فبدايــة، من وجهــة نظــر الــتراكيب، يعــدل من الــترتيب القرآني لأجزاء الجملة، فيجعل ترجمة "إذ جاءهم الهدى" قبل "ما منــع النــاس أن يؤمنــوا"، وهــو مســلك اتخــذه د.

بهيج في بعض الأحيــان، ونفــترض أنــه يــدخل ضــمن استراتيجية تبسيط المعنى وتقريبـه إلى ذهن القـارئ في النسـخة المترجمـة. أمـا نقـل مضـمون الآيـة إلى اللغـة الإسبانية، فقد جمع فيه مذهبي المفسرين المشار إليهما في الهـامش، أي مـذهب "الـترتيب" القاضـي بوقـوع العـذاب على القـوم الكـافرين، والمـذهب الثـاني وهـو مذهب "التحـدي" حيث يطلب الكـافرون أن يـروا عـذاب الله عيانا قبـل أن يؤمنـوا ويسـتغفروا ربهم. ففي الجـزء الأول من الصـياغة الإسـبانية، يضـمن المـترجم مفهـوم "التحدي"، غـير أنـه يعـود في الجـزء الثـاني من صـياغته ليـذكر أن العـذاب وفـق القـانون الإلهي كتب عليهم كمـا كتب على الأمم السـابقة، وهـو بـذلك يقيم علاقـة يمكن وصــفها ب"الحتميــة". وهــذا حــل مبتكــر للتوفيــق بين الاتجــاهين في التفســير، غــير أنــه لا يخلــو من بعض الاجترار.

ترجمة ميلارا

Y lo que a los hombres les impide creer cuando les llega la guía y pedir perdón a su Señor, no es sino que debe cumplirse en ellos lo que ya ocurrió con las generaciones

primitivas o que tiene que llegarles el .castigo ante sus propios ojos

أمـا ترجمـة ميلارا، فتحـاكي الـترتيب القـرآني للآيـة من حيث التراكيب، وهي بذلك مماثلة لنهج كورتيس، كما أنها تجمع اتجاه "الترتيب" (الكفـر وجـزاؤه الحتمي العـذاب) مع إضافة "الحتمية" باعتبار ذلك قانونا إلهيـا مثـل الـذي ذهب إليها أيضا د. بهيج في ترجمته.

ونورد مثالا أخيرا بخصوص التعامل مـع الـتراكيب، وذلـك في الآية 63 من سورة الكهف:

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَـإِنِّي نَسِـيتُ الْحُـوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّـيْطَانُ أَنْ أَذْكُـرَهُ ۚ وَاتَّخَـذَ سَـبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (سورة الكهف، الآية 63)

ترجمة كورتيس

Dijo: «¿Qué te parece? Cuando nos refugiamos en la roca, me olvidé del pez - nadie sino el Demonio hizo olvidarme de que me acordara de él- y emprendió el camino hacia la gran masa de agua. ¡Es «!asombroso

من وجهـة نظـر الـتراكيب، نلاحـظ أن كـورتيس يحـاكي الترتيب في النص القرآني، لكنه من وجهـة نظـر التعبـير فهو يستخدم عبارة ¿Qué te parece? الـتي يخـاطب بهـا يوشـع بن نـون سـيدنا موسـى عليـه السـلام، وهـو أسـلوب مباشـر قـد لا يكـون الأنسـب للموقـف بين نـبي وتلميذه، ومن جهـة أخـرى، فهـو لا يشـير إلى مـا تجمـع عليه كتب التفسير من كـون يوشـع بن نـون كـان يحمـل مكتلا به سمك مطبوخ، فبعث الله تعالى فيه الحياة وعاد إلى البحر، واستخدامه لكلمة " Pez" الـتي تسـتخدم في الإسبانية للدلالة على السمك لما يكون في البحـر، بينمـا يستخدم كلمة "pescado" للدلالـة على السـمك الـذي تم اصــطياده، ثم يختم في نفس الاتجــاه بــالقول "هــذا مدهش" بدل الحديث عن الطابع المعجـز لهـذه الحادثـة. ونعتقـد أن هـذا المنحى نحـو الحرفيـة، وهـو يماثـل منهج ميلارا كمــا ســنرى، لا يخــدم تبســيط المعــنى وتقريبــه للقارئ.

ترجمة الملا

El (discípulo) le contestó: ¿Te acuerdas de cuando nos refugiamos a la sombra del peñasco (para descansar)? Pues allí me

descuidé del pescado y el pez, milagrosamente, tomó su rumbo hacia el mar; y, se me olvidó informarte de esto, de veras. Sólo el demonio pudo hacer que me olvidara decírtelo”

من وجهة نظر التراكيب، يعد د. بهيج الأكثر اجتهـادا مـرة أخرى، إذ نلاحظ أنـه يقـدم، في شـكل جملـة اعتراضـية، كلمة "عجبـا" ويترجمهـا ب "milagrosamente"، ممـا يمنح للأسلوب نوعا من الرشاقة والسلاسة، كما أن ذات الكلمـة تعـد، من وجهـة نظـر المضـمون، مؤشـرا على اسـتلهام واضـح لكتب التفسـير بخصـوص حادثـة بعث الحياة في السمك المطبوخ الذي كـان يحملـه يوشـع بن نون، وهذا بخلاف ما ذهب إليه كورتيس.

ويدعم هذا الطرح بإيراد الكلمتين الخاصتين بالسمك كما أشرنا إليه أعلاه.

ترجمة ميلارا

Dijo: Mira lo que ha pasado: Al guarecernos en la roca me olvidé del pez, sólo el Shaytán me hizo olvidarme de él, y éste emprendió .su camino hacia el mar prodigiosamente

في ترجمــة ميلارا، ليس ثمــة أي اجتهــاد على مســتوى التراكيب بل مجـرد محاكـاة أسـلوبية، أمـا على مسـتوى التعامل مع الطابع المعجز للحادثة، فيبدو غامضا إلى حـد ما، والترجمة الحرفية لكلمة "الحوت" بالمقابل الإسباني للسـمك في البحـر "pez" قـد لا توضـح للقـارئ الطـابع المعجز للحادثة (سمكة مطبوخة تبعث بهـا الحيـاة لتعـود إلى البحر) بنفس الشكل الذي قام د. الملا مثلا.

خلاصات الدراسة

في المقام الأول، وجب التأكيد على ضرورة إعـداد إطـار نظري متكامل لدراسة الترجمـات ومواصـلة البحث في

النظريات الترجمية لإغناء هذه الدراسات، وما تم القيام به في هذه الدراسة لا يعدو كونه خطوة أولى أو لبنة أولى في هذا المسعى. ونود التأكيد من الآن على أن نعود لذلك بالتفصيل، على أن هذا العمل منوط بالمؤسسات وليس عمل أفراد، وسنعود للتفصيل في هذه النقطة في خاتمة الكتاب.

أما عن النموذج التطبيقي المقترح في السطور السابقة، وجب التشديد على كونه مجرد نموذج لا يدعي الإحاطة بل يتوخى توضيح بعض النقاط التي يعتبرها أساسية في أي تحليل للترجمات والمستويات المختلفة والمترابطة التي يلزم تحليلها في إطار مترابط ومتكامل. وفيما يلي، نعرض خلاصات دراستنا التطبيقية لترجمات القرآن الكريم

ترجمة كورتيس (جوميير): مع كل التحفظات التي قدمناها والفرضيات حول التأليف، فإن المقدمة تحمل رؤية معينة للمترجم ومؤلف المقدمة وطبيعة المهمة: وسيط لنقل مضامين القرآن لنوع معين من الجمهور الغربي (ذي الخلفية الإنجيلية كما يتبين من خلال الهوامش مثلا)، ومنه المتخصص في هذا النوع من الدراسات وليس المتدين بالضرورة، والراغب في

الاطلاع عليــه من بــاب الثقافــة العامــة. وعليــه، نفهم المقدمة الطويلة، الزاخرة بالمعطيات والأرقام والتواريخ والخرائط. ومن جهة أخرى لا يجب أن ننسى أن المقدمة من تـأليف راهب دومينيكـاني، وهـو يجـتر أهم حجج علم الجدل المسيحي و"شبهاته" حول المصدر السماوي لهذا الدين، ومدى صدق رسوله (ص) والمصدر الإلهي للقرآن الكـريم[126] ، وهـو مـا جعلهـا تنحـو إلى حـد مـا إلى هـذا المنحى المنحاز بدل اللغة الأكاديميـة التوثيقيـة الوصـفية المفترضة لمن يريد أن يقدم دينا ومعتقدا معينـا لجمهـور دون إلزامـــه بالـــدخول في صـــحته من عـــدمها. وعلى افتراض ذلك، وجب من بـاب الأمانـة العلميـة سـرد أدلـة المخـــالفين، أي المســـلمين الـــذين يعتقـــدون بأصـــله السماوي، ولهم أدلة وحجج على ذلك.

وعـدا ذلـك، فيلاحـظ هـذه الترجمـة تـولي عنايـة كبـيرة بالأسلوب والتعبير في عملية الترجمـة بغيـة تقريبهـا إلى ذهن القارئ، فقد أدخلت العناوين الداخلية ووضــعتها بين معقوفـتين، غـير أن المجهـود المبـذول في التفريـق بين "الترجمة الحرفية"، أو التحصيلية وفقـا لتعبيـر طـه عبـد الـرحمن، للتعبـير القـرآني الـتي يوردهـا في الهـوامش،

[126] ثمة مصادر عديدة تتطرق لهذا الموضوع، ونكتفي هنا بالجرد الموثق للباحث الروسي ألكسي جورافسكي، في كتابه "المسيحية والإسلام" المذكور.

و"الترجمة المضمونية" أو التوصيلية التي يختارهـا للنص، مما لا نرى له فائدة عملية بالنسبة للقارئ، فما يفيده أن يعرف طريقة تعبير القـرآن "الحرفيـة" عن معـنى معين، وهذا يدخل ضمن مباحث بلاغيـة أو تشـريعية لا تكـون إلا في نطاق اللغة الأصل (وهو مـا أشـرنا إليـه في معـرض الحـديث عن العامـل الهيكلي في علاقـة اللغـة العربيـة بالقرآن الكريم)، فلا دخل للترجمة فيها باللغات الأخـرى، كما تقدم بيانه في الفصـل الأول من هـذا الكتـاب، وهـذا كـــان منحى الملا بشـــكل واضـــح وميلارا نـــابيو بشـــكل متذبذب.

أما بخصـوص الهـوامش، يمكن القـول أن كـورتيس قـد اعتمد عليها بصفة أساسية في ترجمتـه لتقـريب القـارئ من النص القـــرآني، ســـواء عن طريـــق توضـــيح وجهـــة الخطاب القرآني (تحديد المتكلم أو المخـاطب)، أو نقـل التعبـــير الحـــرفي القـــرآني لآيـــة معينـــة، أو استصـــحاب المصـــادر المســـيحية واليهوديـــة الـــتي يعتبرهـــا ضـــرورية للقارئ المفترض.

من ناحية الاختيارات الاصطلاحية، فـإن ترجمـة كـورتيس فيها بعض التفـاوت في المعـايير حسـب الحـالات، فنحن نجده في بعض الأمثلة مثل "الرقيم" و"الوصـيد" يتعامـل

تعاملا مختلفا، بلجوئه إلى عرض كل الاحتمالات التي تتضمنها التفاسير في الحالة الأولى وترك ذلك في الحالة الثانية مع تطابق الحالتين من حيث الصعوبات المطروحة. وفي مثال "مجمع البحرين"، يميل إلى تعبير عام يجمع خيارات التفاسير، ويتبع منهجا مخالفا تماما في حالة "ذي القرنين" حيث يتحيز إلى أحد الاحتمالات ويجزم أنه "الإسكندر الأكبر" ويزيد عليه أنه "الأسطوري" وليس "التاريخي".

أما فيما يخص التراكيب، فإن منهج كورتيس يتسم عموما برشاقة في الأسلوب ومجهود لتقريب القارئ الناطق باللغة الإسبانية من النص القرآني، وهو يتسم عموما من ناحية التوازي الحرفي بموقف وسط بين ترجمة بهيج وترجمة ميلارا.

ترجمة الملا: وفقا لما ورد في مقدمة الناشر، فإن النص المترجم موجه إلى المسلمين الناطقين باللغة الإسبانية الذين يتزايد عددهم، علاوة على المهتمين بالتعرف "مباشرة" (وهذه هي الكلمة المستخدمة حرفيا) على الإسلام. إذن فالترجمة تضعنا في سياق دعوي محض، سواء بالنسبة للمعتنقين للدين الإسلامي من الناطقين بالإسبانية، والمهتمين بمعرفة الإسلام دون

أي نـــوع من "الوســاطات الفكريــة"، وأغلب الظن أنــه يقصد منها الاستشراق والمستشرقين، كما أن الإشـارات في الغلاف وطريقـة كتابـة اسـم الرسـول الكـريم (ص)، تــوحي بوجــود فكــرة واضــحة عن طبيعــة الجمهــور المستهدف بالترجمة.

ومن وجهة نظر التراكيب، يمكن القول أن منهج المترجم أكثر عمليـة من كـورتيس في هـذه النقطـة ولـو أن كلتـا الترجمتين اجتهدتا في هذا المسعى، إذ أنـه انسـجاما مـع رؤيتــه التواصـلية التقريبيــة للقــارئ، عمــد إلى تبسـيط العديد من التعابير القرآنية باللغة الإسـبانية وإضـافة نص مواز داخلي قد يكـون في بعض الأحيـان أكـبر حجمـا من متن الترجمــة ، وهــو بــذلك يســهل مهمتــه انســجاما مــع طرحــه العــام، وقــد رأينــا أمثلــة من ذلــك في التحليــل التفصيلي لبعض الأمثلة من سورة الكهف.

وهذا يطرح قضية أخرى لا تقل أهمية: هل يلــزم من يــود التصــدي لترجمــة القــرآن الكــريم لأهــداف دعويــة أو أكاديمية أن يكون مسـلما بالضـرورة؟ سـنحاول الإجابـة عن هذا السؤال في خاتمة هذا الكتاب.

على عكس هذا الاتجاه، ذهب بهيج الملا، كمـا تقـدم، إلى منحى مخالف تماما واستغنى عن الهـوامش، بـل اعتمـد

على أدوات نصـية بحتـة من قبيـل العبـارات الـواردة بين قوسين أو مقدمة السورة، التي تعتبر بمثابة ملخص عـام لمضـمونها وأهم المواضـيع الـتي تتطـرق إليهـا، وهـو مـا سنتطرق له في حينه.

وخلافـا لهـذا المنهج، نجـد بهيج الملا "يحسـم" الخيـارات الترجمية التي تضمها التفاسير ويميـل لاختيـار معين، في انسـجام تـام مـع نهجـه الـذي وصـفناه بالتواصـلي أو التقريبي للقارئ، غير أنه خالفه في حالة واحدة أحصيناها في سـورة الكهـف، هي حالـة ذي القـرنين، حيث كتب اسمه بأبجدية الكتابة الصوتية.

أما في ترجمة الملا فثمة اهتمام واضح بالبعد التواصـلي، تضيف جملا بين قوسين للإيضاح بدل الهـوامش كمـا هـو الحال مع كـورتيس، علاوة على توسـع في التصـرف في الـتراكيب، تصـل في بعض الأحيـان إلى تعقيـد بـالغ من خلال محاولة تضمين خيـارات ترجميـة متباينـة نابعـة من التفاسير في آية واحدة.

ترجمـة ميلارا: في المقدمـة المـوجزة، ذات الطـابع المؤسسـي البحت كمـا سـبق أن عرضـنا، يتضـح أن الترجمـة موجهـة للمسـلمين النـاطقين باللغـة الإسـبانية "تيسـيرا لفهمـه والاطلاع عليـه"، غـير أنـه لا يقـدم أيـة

تفاصيل حول كيفية بلوغ هذا الهدف. وهـذا برأينـا قصـور في النظـر إلى المخـاطب من الترجمـة، فهي لا تتطـرق إلى الأساليب العملية لهذا التيسـير للفهم والاطلاع، على اعتبار أن القارئ المفترض له سياق لغوي وثقافي معين، فكيـف يتم التعامـل معـه، ومـاذا يفـترض فيـه من اطلاع ومعرفـة مسـبقة بـالقرآن الكـريم. ولنفـترض أن هـذه الترجمـة للمصـحف الشـريف يتم إهـداؤها للعديـد من الأشخاص حديثي العهد بالإسلام أو الراغـبين في اعتنـاق هذا الدين في الكثير من المراكـز الإسـلامية في مختلـف بقاع العالم (ونتحدث خصوصا عن دول أوروبـا والولايـات المتحدة ومن يدور في فلكهمـا من الـدول الغربيـة)، في ظل وجود تيارات فكريـة وإعلاميـة نافـذة ومـؤثرة تقـدم صورة سلبية عن هذا الدين. فأين موقع هذه الترجمة في هذا السياق يا ترى؟

وبخصـوص الهـوامش، فـإن ترجمـة ميلارا نـابيو، فقـد اعتمدت معيـارا ملتبسـا وغـير منسـجم، سـواء من حيث عدد الهوامش ومسوغاتها، وهو مرآة في نظرنـا للقصـور العام الذي يشوب نظرتها وتصورها للقارئ.

من خلال الأمثلة الـتي درسـناها نلاحـظ أنـه يشـترك مـع كورتيس في عـدم الانسـجام في التعامـل مـع الخيـارات

الترجمية التي تتيحها التفاسير، فهو لا يتطرق لخلاف المفسرين مثلا في حالة "الرقيم" و"الوصيد" أو "مجمع البحرين"، غير أنه يضع هامشا لعرض ما تتضمنه التفاسير لكلمة "موبق". علاوة على ذلك، يلاحظ اضطراب كبير في كيفية كتابة المصطلحات، مما لا يخدم بتاتا تيسير الفهم للقارئ وتسهيل اطلاعه على مضامين القرآن الكريم. أما ترجمة ميلارا، فمن خلال الأمثلة التي درسناها نلاحظ أنها تتراوح بين التحصيلية والتوصيلية، إذ يشترك مع كورتيس في عدم الانسجام في التعامل مع الخيارات الترجمية التي تتيحها التفاسير، فهو لا يتطرق لخلاف المفسرين مثلا في حالة "الرقيم" و"الوصيد" أو "مجمع البحرين"، غير أنه يضع هامشا لعرض ما تتضمنه التفاسير لكلمة "موبق". علاوة على ذلك، يلاحظ اضطراب كبير في كيفية كتابة المصطلحات، مما لا يخدم بتاتا تيسير الفهم للقارئ وتسهيل اطلاعه على مضامين القرآن الكريم.

أما من وجهة نظر التراكيب، فتتسم بال"محاكاة" الشديدة للنص الأصلي من وجهة نظر التراكيب، مع التقشف الواضح في القيام بملاءمة أسلوبية للنص من حيث المفردات المستخدمة أو التراكيب، وكذا تقديم

المعلومات الموازية التي تتيحها التفاسير، وهو ما يشـكل مفارقة واضحة: فالنص "الأقـرب" والأكـثر حرفيـة يمكن أن يعتبر الأقل تواصلية.

خاتمة

بعد كل ما سبق، نود أن نتوسع في نقاش أهم الخلاصات الجزئية التي تضمنتها الفصـول السـابقة، وترتيبهـا بحيث تكون في خدمـة الهـدف الأول من هـذا الكتـاب، ألا وهـو

وضـع أهم معـالم النظريـة التأصـيلية الحضـارية الـتي ننشدها لترجمة القرآن الكريم.

وقفنا في نهاية الفصل الأول على نقاط أساسية لا محيـد عنها في أية نظريـة لترجمـة القـرآن الكـريم (من وجهـة النظـر الإسـلامية طبعـا). فـالقرآن الكـريم أنـزل بلسـان عربي، ولا يمكن فصل تعريفه اصـطلاحا عن اللغـة الـتي نزل بهـا، وأي ترجمـة للقـرآن الكـريم لا تعتـبر قرآنـا من وجهة نظر اعتبار مصدرها الإلهي ولا قيمتها التشريعية أو التعبدية أو الاستشفائية أو غيرها. والخلاصة الثانوية الـتي أسفر عنها هذا الفصل، المتعلقة بمركزية وعضوية اللغــة العربيـة بالنسـبة للعلـوم الـتي تـدور في دائـرة القـرآن الكريم، والسنة النبوية أيضـا، تنبـني على علاقـة عضـوية باللغة العربيـة تجعـل من تعلمهـا "فـرض عين" على كـل دارس لهذه العلوم، وهذا كمـا قلنـا سـاهم إلى حـد كبـير في وضـع الترجمــة باعتبارهــا أداة تبليـغ وتلقين للعلــوم الإسلامية تشغل موقعا هامشيا في هـذا السـياق، إذ بقي تكوين نخب علماء الإسلام، ولـو كـان في بلـدان لا تتكلم العربيـة، يتم بالضـرورة باللغـة العربيـة، أو في كثـير من الأحيان، تقوم هذه النخب نفسها بدور الوسـاطة اللغويـة إلى لغات هذه الشعوب.

وانطلاقـا من هـذه الهامشـية نفسـها، علاوة على الوضـع الاندفاعي وازدهار استخدام اللغة العربية في كافة ربــوع العالم الإسلامي كما شرحنا، فإن التفكير النظري للعقـل الإسـلامي قـديما وحـديثا لم يتوسـع في هـذا الأمـر، بـل يمكن القـول أنـه اعتمـد منطـق الاجـترار والتكـرار على مســتوى الإطــار العــام، علاوة على أن الآراء والفتــاوى كانت تتطرق لترجمة القرآن الكريم في معرض الحـديث عن موضوع آخر مثـل الصـلاة، مـا عـدا مواقـف معـدودة على رؤوس الأصــابع لعلمــاء مشــهود لهم بــالتركيز على ضرورة التبليغ ومخالفة المتحفظين عليه. لكن هذه الآراء برأينـــا لم تلامس جـــوهر القضـــية بســـبب التبـــاس في موضـــوعها نــاجم عن طبيعــة المقاربــة المعتمــدة، ذات الطبيعة الثنائية بين الحرفية والمضمونية القاصـرة تمامـا عن مقاربة الموضوع علميا كمـا تـبين من خلال الدراسـة المصغرة الـتي قـدمناها في هـذا الكتـاب. أمـا الجـدالات المعاصرة حول ترجمة القرآن الكـريم، في تركيـا ومصـر كمـا أشـرنا، فهي ذات طبيعـة مختلفـة. فالحالـة التركيـة كانت محاولـة لاستنسـاخ النمـوذج الأوروبي في التعامـل مـع النص الإنجيلي عـبر المركزيـة اللغويـة الـتي طورتهـا نظرية الدولة القومية في أوروبا. فقـد حـاولت العلمانيـة

الأتاتوركية المتطرفة عـبر هـذه الخطـوة (المتزامنـة مـع منـع الأذان ومنـع اسـتخدام الحـرف العـربي واللبـاس التقليدي) فصل الأتراك عن كـل مقومـات الإمبراطوريـة العثمانيـة وتعويضـها بهويـة قوميـة تركيـة على النمـط الأوروبي، وعلى هـذا الأسـاس عارضـها من عارضـها وتم تأويلها. دليلـه أنـه قبـل هـذا التـاريخ، كـان ثمـة ترجمـات معروفـة للقـرآن الكـريم باللغـة التركيـة (أنظـر المقـال المشــار إليــه في الهــامش الخــاص بــه في الفصــل المذكور). أما الحالة المصرية، فقد كانت نقاشا "نظريـا" بحتا دارت رحاه بين أبـرز علمـاء الأزهـر الشـريف حـول مشروعية أو عدم مشروعية الترجمة، في سـياق ضـغط استعماري واضح وحضور وازن للحالة التركية، دفع بجـزء من علمـاء الأزهـر إلى رفض العمليـة من أساسـها، قبـل العودة إلى القبـول بهـا بعـدة شـروط. وعلى الـرغم من كون هذه النقاشات اجترت الكثـير من الأفكـار التقليديـة حول الترجمة، غير أنها يمكن أن تحسب للأزهر الشـريف على اعتبارها سباقة إلى وضع مشروع تـرجمي لأغـراض دعوية، شكل نموذجا لمشاريع أخرى، لعل أبرزها مـركب الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينـة المنـورة، ومشاريع مماثلة شرقا وغربا.

وفي ختـام هـذا الشـق النظـري، يمكن أن نعـرج على إسهامات المفكرين المغاربة في نظريـة ترجمـة القـرآن الكريم، ونبدأ بالعلامة الحجوي الثعالبي الذي قدم دراسة أسسا نظرية نعتبرها في غاية الأهمية، بل إنها تعتـبر بعـد رأي ابن تيمية من الآراء المؤسسة لنظريـة علميـة تضـع الأولوية لخطاب التبليغ بدل التحصين. وعلاوة على ذلـك، فإن مؤلف الثعـالبي ينم عن حس مؤسسـي واضـح. أمـا عن أفكار الفيلسوف طه عبد الرحمن، فيمكن تقسـيمها إلى فلسفية نظرية وأخـرى روحانيـة تصـوفية. لكنهـا في المحصلة تبقى من الإسهامات النيرة في نظريـة ترجمـة القـرآن الكـريم من وجهـة النظـر الإسـلامية. **وهذا مـا يحملنا على التشديد على ضـرورة الإقـدام على مشـروع مغـربي لترجمـة القـرآن الكـريم وفـق نظرية علمية محكمة، موافقة لـروح التـدين في الغرب الإسلامي برؤية تبليغية متبصرة.**

وهذا الأمر معاكس تمامـا لمفهـوم الترجمـة وقيمتهـا في حالـة الأناجيـل، حيث يمكن القـول أن الترجمـة تقـع في صلب الجـدالات التشـريعية والعقديـة للمسـيحية، بـل إن الترجمة تعـد مبحثـا أساسـيا في دراسـة النص المقـدس لدى المسيحيين، وذلك لكون الترجمـات قـد تم اعتبارهـا

مطابقــة للأصــل من حيث القيمــة والاعتبــار. ومــا تبــني الكنيسة لترجمة القديس يرونيموس المسماة (لافولجاتا) بمثابة "النسـخة الرسـمية" مقابـل منـع وحـرق الأناجيـل الأخرى المسماة "المنحولـة" إلا إضـفاء لطـابع القداسـة عليها باعتبارها النص المؤسس للديانة المسيحية. ونــذكر أيضا الجدل اللاهـوتي الـذي أثارتـه ترجمـة مـارتن لـوثر، على الرغم من محاولـة هـذا الأخـير إضـفاء طـابع لغـوي بحت على الـنزاع، يـبين بـالملموس أن الترجمـة سـببت خلافا عقـديا ومثلت أحـد أسـباب تحـول النهج الإصـلاحي للوثر (بتضافر النزعة القومية الألمانيـة الناشـئة ومصـالح الأمــراء السياســية)، الــذي كــان واعيــا بالــدور الخطــير للترجمـة في السـياق الإنجيلي، إلى إحـداث انقسـام في الكنيسة في أوروبـا إلى كاثوليكيـة وبروتسـتانتية. ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الكنائس الإنجيلية الـتي جعلت من ترجمة "الكتاب المقدس إلى العالم الجديـد" معركـة كلاميــة وعقديــة مفتوحــة مــع الكنيســة الكاثوليكيــة، عن طريــق تعميــق البحث في الأصــول (لعــدم وجــود أصــل واحـــد) اليونانيـــة والعبريـــة للنص الإنجيلي. وكـــل هـــذه الجدالات العقدية لا تتصـور في السـياق الإسـلامي نظـرا لطبيعة النص القرآني ومكانته في بناء العلوم الإسـلامية،

والجـدل الكلامي الـذي ثـار في بعض العصـور الإسـلامية كان يستند إلى تأويلات للنص القرآني لا تخرج عن نطاق اللغة العربية. وعلى الرغم من ذلـك، فـإن حجم النشـاط الترجمي، سواء من حيث عدد الترجمات أو المؤسســات المتخصصة في هذا الموضـوع أو البحث العلمي في هـذا المجال لا يمكن أن يقارن بأي حال بالسياق القرآني.

وتبعـا لـذلك، يمكن القـول **أننا نعيش وضـعا مقلوبـا بين الدراسـات الترجميـة القرآنيـة والدراسـات الترجمية الإنجيلية: اعتبـارا للمطبـات والعوائـق والمتاهـــات العقديـــة الـــتي يمكن أن تعـــترض الترجمـــات وتصـــل إلى الجـــدال حـــول "النص الأصلي" نفسـه، فـإن المنطـق يقتضـي أن يتم التعامل مع ترجمة الأناجيل بتحفظ شديد. وهـذا عكس القــرآن الكــريم الــذي لــه أصــل وحيــد ومعروف ويعتبر إلهي المصدر، والترجمة تفتقر إلى أغلب الجوانب "الحساسة" من قبيل القيمة العقدية أو التشريعية أو التعبدية، لـتيقى فقـط القيمــة الدعويــة التبليغيــة، لكن التحفـظ على الترجمــة كبــير قــديما وحــديثا مــع أن ســياقها**

مثالي للإقدام على القيـام بترجمـة أو ترجمـات القرآن الكريم.

وعليه، فإن العائق لدى المسلمين ذهـني وليس هيكليـا، وهـو مـا يبعث على الأمـل في إمكانيـة التقدم بسرعة كبيرة في تغيـير هـذا الوضـع إذا حـدثت الطفـرة الذهنيـة المطلوبـة لعـدم وجـود عوائق بنيوية.

عودة إلى اللبس التعريفي لمفهوم الترجمة الذي اعتمده الخطاب الفقهي الإسلامي، فقد أكـدنا في نهايـة الفصـل المخصص لهـذا الموضـوع أن الـرأي الشـرعي في رأينـا يعـاني من خلـل في "منطقـه" علاوة على اعتمـاده على تعريف لا يسـتقيم أمـام النظريـة ولا التطـبيق في مجـال الترجمة.

فمن الناحية النظرية، التي رصـدنا لتطورهـا العـام فصـلا من هذا الكتاب، يتبين أنه بعد مضي فترة طويلـة تقـارب زهاء 3000 سنة (وفق شواهد التاريخ المكتوب طبعا لأن المنطـق البسـيط يقتضـي القـول بـأن الترجمـة نشـاط ضروري منذ وجود جماعات بشرية تتحدث لغات مختلفـة وحاجة للتواصل)، يمكن الحـديث عن كتابـات أقـرب إلى التـأملات والانطباعيـة حـول طبيعـة الترجمـة وأنواعهـا،

لتـدخل هـذه الدراسـات مرحلـة جديـدة بعـد تطـور علم الألسن أو اللسـانيات، واعتبارهـا الترجمـة فرعـا تطبيقيـا من فروعها. وعليه، فقد انطبعت المسـاهمات التنظيريـة في هذا المجال بتطور اللسـانيات ومختلـف "الموضـات" التي سادت في فترات معينة من قبيل البنيويـة ومـا بعـد البنيويـــة والنحويـــة التوليديـــة والتحويليـــة والنظريـــات التواصـلية والنصـية ونظريـات تحليـل الخطـاب وتحليـل أفعال الكلام. غير أن الفيصل في دراسات الترجمة كــان دون شك انتقال اللسانيات من مسـتوى تحليـل المفـردة والعبــارة إلى تحليــل النص. هــذا التحــول الــذي حصـل تدريجيا منذ أواسط ستينيات القـرن الماضـي سـاهم في تطـور دراسـات الترجمـة وانفتاحهـا على آفـاق واسـعة ناجمة عن تداخل التخصصات من علم النفس والاجتمــاع والتاريخ والنقد الأدبي وطب الأعصاب، إلخ.

هـذه النظـرة الجديـدة للنشـاط الـترجمي والـتي أصـبح يصـطلح عليهـا ب"دراسـات الترجمـة" أضـحت مختـبرا لاستكشـاف جـوانب أخـرى من العمليـة الترجميـة عـدا الجوانب اللغوية البحتة، وأصبح التحليـل يتنـاول صـيرورة الترجمـــة وإكراهـــات المـــترجم (أو مؤسســـة الترجمـــة) وظـروف عملـه وانعكـاس ذلـك على النتيجـة النهائيـة.

بمعنى أن اعتبار الترجمـة عمليـة تواصـلية تقتضـي بحث مكونات هذه الوسـاطة اللغويـة الـتي تتم ضـمن محيـط عام وسياق محدد، وفي ذلك توسيع واضح لمجال عملها. وعلاوة على النقاط المطروحة في الجانب النظري، فقد وقفنـا في الشـق التطـبيقي على مجموعـة من العناصـر من خلال مقارنة الترجمات الثلاث من خلال العينـة الـتي تم انتقاؤها. وأول هذه الملاحظات تتمثل في كون الحكم على الترجمــات لا يمكن أن يتضــمن فقــط الحكم على طريقة نقل متن النص القـرآني من لغـة إلى أخـرى، بـل أن يمتـد إلى دراسـة ن النصـوص الموازيـة والمسـاعدة الـتي تمثـل تـأطيرا للنص لتضـمنها إشـارات أو مضـامين تمكن القارئ من استيعاب النص في اتجاه معين (ترجمة كورتيس).

أمـا النقطـة الثانيـة فتتمثـل في التفنيـد العملي لتقسـيم الترجمــات المعتمــد في الحكم على جــواز الترجمــة القرآنيـة من عدمـه، أي التقسـيم بين ترجمـة "حرفيـة" و"تفسـيرية"، فقـد ثبت أن الأمــر لا يتعلــق بــأنواع من الترجمة بل بخيارات ترجمية متاحة للمـترجم ينتقي منهـا مـا يعتـبر أنـه الحـل الأمثـل إزاء كـل مشـكلة ترجميـة تفصيلية.

إن التحليـل العملي للترجمـات يمكن أن يمكن من رصـد مجموعة من الخيارات التي لا تبدو لها أيـة فائـدة عمليـة من خلال التوجه العام للترجمة مثل اعتماد نمـط الكتابـة الصــوتية من قبــل بهيج أو تضــمين كــورتيس تحــاكي الأســلوب القــرآني بشــكل حــرفي في الهــوامش، أو اضطراب المعايير في ترجمة ميلارا من حيث المفـردات والتراكيب واعتماد الكتابة الصوتية لبعض أسـماء الأعلام. وعليـه، فـإن عمليـة التواصـل عمليـة متكاملـة يلـزم أن يتناولها التحليل من كل جوانبها.

الخلاصة التي في نهايـة هـذا الفصـل هـو أنـه يتـبين من التحليل الذي لا يدعي الإسهاب أن التصنيف الثنائي الذي تعتمده الغالبيـة السـاحقة إن لم نقـل كـل الآراء الفقهيـة والأكاديميــة للمســلمين قــديما وحــديثا لا يصــمد أمــام التحليل التطبيقي البسيط لترجمات القـرآن الكـريم كمـا كان الحال بالنسبة للتحليل النظـري، وذلـك في نقطـتين أساسيتين:

1. أنه لا يغطي التعقيدات النصية المتضمنة في مختلف الترجمـات، والـتي رأينـا أنهـا تتـأرجح بين الحرفيـة والتفسـيرية حسـب الحـالات، كمـا أن الاجتهـاد في

الأسلوب والمفردات للتعبير عن مضمون معين بلغة معاصرة (كما هو الحال بالنسبة لترجمة الملا)

2. إن عملية الترجمة لا تخص فقط النص، بل تتعداه إلى مجموعة من الأدوات يمكن للمترجم أن يستفيد منها في التعامل مع الصعوبات التي يقتضيها نقل المضامين، ليس فقط من لغة إلى أخرى، بل من وسط ثقافي ولغوي ومتلق مفترض معين إلى آخر مختلف. وهذا يمنح مجالا واسعا لعمل المترجم، وكذا إمكانيات واسعة لنقد الترجمات ووصفها وتقييمها، دوما في إطار الترجمات السليمة التي لا يشوبها أي نوع من أنواع الخطأ الواضح، أو مخالفة ما أجمعت عليه التفاسير وأهل العلم المسلمون. وعلى هذا الاعتبار، **نؤكد أن النصوص الموازية ضرورية أثناء إعداد ترجمة القرآن الكريم كما هو الحال بالنسبة للتفاسير مع نص القرآن الكريم باللغة العربية**

- لزمت الإشارة إلى أن تقييم الترجمات لا يكون فقط من خلال النص المترجم، بل يمكن أن يكون في النصوص الموازية من قبيل المقدمة والهوامش، وهذه الحالة تنطبق على ترجمة كورتيس التي درسناها.

فالنص المترجم في هذه الحالة يتميز بقوة في السـبك ومجهود في الصياغة باللغة الإسـبانية جعـل هـذا النص مرجعا (د. بهيج استعان بهذا النص كما ورد في مقدمة ترجمتــه)، إلا أن بعض الأفكــار الــواردة في المقدمــة تجافي الخطاب العلمي لتدخل في اعتبـارات شخصـية وعقدية.

ردود سريعة

اعتبارا لتشعب الموضوع في التفاصيل، ارتأينا ان نضع هذا الملحق الموجز لردود تلغرافية نسعى فيها إلى الإيجاز التركيز في معالج المفاهيم المطروقة في الكتاب:

1. ترجمة القرآن الكريم بين الإمكان والاستحالة: ربمــا يعد هذا التقسيم التفعيل الإجرائي للتحفظ التقليـدي على ترجمة القرآن الكريم في الحضـارة الإسـلامية،

والمستند لغويا إلى تقسيم الترجمـة عمومـا إلى بين "حرفية وتفسيرية". والمستغرب فعلا هو اجترار هذا الــرأي طيلــة أزيــد من عشــرة قــرون إلى العصــر الحالي، متجاهلين أن علوم اللغة ودراسات الترجمـة قد قطعت شـوطا بعيـدا في تحديـد هـذه المفـاهيم، كما استعرضنا بعجالة في الفصل الثالث من الكتاب. **نحن إذن إزاء قصور في الرأي الفقهي ناتج عن تعريف للغة لم تتم مراجعتـه على ضـوء تقدم الدراسات اللسانية والترجمية، والحـل في نظرنا هو ربـط حلقـة الوصـل مـع أهـل الاختصاص في الدراسات اللسانية والاستناد إلى إسهاماتهم في معرفة طبيعـة النشــاط الـــترجمي وتعقيداتـــه وانعكاســاته، لكـــون "الحكم على الشيء فـرع عن تصـوره" كمـا تقضي القاعدة الفقهية.**

2. **ترجمة القرآن الكريم أم ترجمة التفاسير:**

بعض الباحثين ذهب إلى الدعوة إلى ترجمة التفاسير بدل ترجمة القرآن الكريم نظرا للتحفظات الشرعية الكبيرة إزاء هذه العملية. والرد على هذه الدعوة من شقين: أن أي ترجمة للقرآن الكريم من

تلك التي شرحناها تستند بالضرورة إلى التفاسير في استجلاء مختلف المعاني التي تحتملها مفردات وآيات النص القرآني، واختيار ما يعتبره الأنسب وفق معاييره الخاصة، أي أنها في المحصلة "ترجمة تفسيرية" بشكل من الأشكال، وخصوصا في المواقف التي تختلف فيها التفاسير بشكل ملحوظ. وعليه فإن ترجمة القرآن الكريم ستكون بالضرورة في منزلة بين المنزلتين من "ترجمة القرآن الكريم" و "ترجمة التفاسير". وعليه، فنحن نعتبر هذا الرأي غير صائب لأنه لا يستند لتجربة في مجال الترجمة (كما أثبتنا في الدراسة الموجزة) من جهة، ومن جهة أخرى لأن الترجمات عموما تعتبر أحد أشكال الوساطة الأقل تدخلا، أو أن هذا ما تحاول الترجمة بلوغه، عوض أخرى تدخل في باب التصرف أو التعليق. وعليه، فلا محيد عن الترجمة، لأنه إذا تم إعدادها بطريقة علمية مدروسة، فيمكنها أن تقوم بدور تقريب النص القرآني لقرائه المفترضين، وهذا عز الطلب.

3. **عناوين الترجمات:** أثناء دراستنا الموجزة، لاحظنا وجود عدة عناوين للترجمات مثل: "القرآن"

(كورتيس) أو "القرآن الكريم: تفسير أو "تأويل" بالإسبانية المعاصرة" (الملا) و" القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الإسبانية" (ميلارا). والأكيد أن هذه العناوين تحمل بين طياتها رؤية معينة للنص القرآني وموقفا من الترجمة. في حالة كورتيس، يمكن أن نستشف تصورا لادينيا للنص القرآني واعتباره نصا كلاسيكيا بالعربية دون أي قيمة عقدية، وهذا طبيعي. أما العناوين الأخرى، فتنم عن إجماع بالتحفظ على "الترجمة" بوضع كلمات "واقية".

وهذا يعود بنا للنقطة السابقة والعائق الذهني الذي نعتبره منافيا للمعطيات البنيوية التي تحكم تبليغ الرسالة القرآنية. نعتقد أن الإشكال في تعريفا علميا لمفهوم الترجمة وأبعاده واعتماد هذه المفاهيم وفق النظرية التأصيلية من شأنه أن يبدد هذه الهواجس التي لا تقوم على أساس. ومن أفضل العناوين برأينا ذلك الذي اعتمده محمد أسد: "رسالة القرآن"، واستنادا إلى الأفكار النفيسة لطه عبد الرحمن، يمكن أن نقترح عنوان "ترجمة من القرآن الكريم".

4. الموقف من الترجمات "الاستشراقية": من وجهة نظر النظرية التأصيلية، المبنية على رؤية تواصلية للنشاط الترجمي، فإن الترجمات الاستشراقية لا يمكن أن يتم التعامل معها بنفس المنطلق الذي يتم به التعامل مع ترجمات المسلمين للقرآن الكريم، وأي تحليل (كما رصدنا في العديد من البحوث) ل"محاسبة" هذه الترجمات بتهم "التحريف" و"التشويه" لا تقوم على أساس علمي، خصوصا إذا تم القيام بتحليل مخصص للبنيات الصغرى فقط، وكأننا بهم يلزمون هذه الترجمات بما لم تلزم به نفسها. إن المنهج العلمي يقتضي القيام بدراسات تحليلية شاملة لهذه الترجمات، والإفادة من بعض الحلول الترجمية التي توصلت إليها مادامت لا تتعارض مع منهجه في الترجمة، وتبيان ملاحظاته عليها وتعميمها على الباحثين وعموم القراء لتكوين فكرة عنها بكل موضوعية بعيدا عن الاتهامات والتعريض ومحاسبة النوايا. وبالمقابل، يقتضي أيضا بشكل مواز إرساء أسس عامة، علمية وواضحة يمكن أن تجمع حولها أهم المؤسسات المهتمة بترجمة القرآن الكريم، من شأنها أن تضمن حدا

أدنى من المعايير المجمـع عليهـا، وتضـمن في نفس الوقت تعدد الترجمات تبعا للاجتهـادات الشخصـية أو الجماعية للمترجمين.

5. المباحث المتفرعة عن النظرية التأصيلية: يمكن أن نقترح في هذا الباب مجموعة من المباحث الفرعية عن النظرية التأصيلية، وهي لائحة غير نهائية يمكن أن تتضمن أنواعا أخرى ومقاربات أخرى:

- الدراسات التاريخية للإسهامات النظرية لترجمة القرآن الكريم والترجمات التي تم إنجازها في ظل سياقها العام والخاص، الثقافي والاجتماعي والسياسي.
- الدراسات الموضوعاتية في الترجمات والمقارنة بين الترجمات في موضوعات محددة، سواء من وجهة النظر التزامنية أو التعاقبية التاريخية (diacronía y sincronía). ونعرض مثالا على ذلك في شكل المقال الملحق حول تعامل محمد أسد المقارن في ترجمته للقرآن الكريم بين تفاسير المسلمين والتراث اليهودي والإنجيلي، خصوصا عند التطرق لقصص أنبياء بني إسرائيل.

- تعميق الدراسات النظرية لإغناء النظرية التأصيلية لترجمة القرآن الكريم.
- تعميق البحث في مترجمي القرآن الكريم، وظروف إعدادهم للترجمات .

وبه نختم هذا الكتاب الذي جمعنا فيه عصارة أبحاثنا في السنوات الماضية، آملين أن تكون بداية لمشروع أكبر لنشر مبادئ هذه النظرية عبر وسائل الاتصال الحديثة.

والله ولي التوفيق.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

- **بوعزى عسام،2015،** "ترجمة القرآن الكريم بين الدعوة والمثاقفة"، أعمال المؤتمر الثاني حول "الترجمة وإشكاليات المثاقفة"/ منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة.

--------، 2016، "دراسة تأريخية وتحليلية لنظريات ترجمة القرآن الكريم"، مجلة ترجمان، مجلد 25، عدد 2 ، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة.

--------، 2018، "ترجمات القرآن الكريم إلى الإسبانية إشكالات وراء العناوين**"،** جريدة هسبريس الإلكترونية، يوم 15 فبراير 2018.

- **ابن عزرا الغرناطي، 2013،** "المحاضرة والمذاكرة"، تحقيق د. محمد شحلان ود. السعدية منتصر، مطبعة الرسالة: الرباط.

محمد بن صالح الفوزان، أيهما أولى بالترجمة؟ القرآن الكريم أو تفسير العلماء له. أعمال ندوة بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي و تخطيط للمستقبل للفترة من 23-25 ابريل 2002م.

سلطان بن عبد الله الحمدان، ترجمة القرآن: ضوابط وأحكام، منشور على صفحة الباحث في موقع جامعة الملك سعود، كلية التربية، الرياض، دون تاريخ نشر.

- **عبدالرحمن بن عبدالله الجمهور و محمد بن عبدالرحمن البطل**: ترجمة معاني القرآن الكريم بين نظريتين: الدلالية والتداولية، في ندوة: ترجمة معاني القرآن الكريم – تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل، الفترة من 23 إلى 25 أبريل (2002م)، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

- **عبد النبي ذاكر،** (1998)، "قضايا ترجمة القرآن"، سلسلة شراع، العدد 45، طنجة.

- صدر الدين بن عمر كوموش، تاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية، 2013. منشور على موقع الندوات لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: **nadawat.qurancomplex.gov.sa.**

- **أحمد السيد الحسيسي**، حول الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم، مجلة البحوث الإسلامية، المجلد 40، من رجب إلى شوال لسنة 1414هـ ص. 281 إلى 298.

- **محمد مصطفى المراغي**، بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها، دار الكتاب الجديد 1981.

- وليد بليهش العمري ، ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول مقارنة كمية ونوعية بين ترجمات معاني القرآن الكريم وترجمات الإنجيل، أبحاث ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول المنعقدة بكلية اللغات

والترجمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2005م (الصفحات من 333-392).

- **صلاح عبد الرزاق**، "ترجمة القرآن الكريم: من التحريم إلى الجواز" ، جريدة البينة، 2005.

- **الحجوي الثعالبي، محمد بن الحسن،** ترجمة القرآن العظيم، مجلة المغرب، العدد 12، أكتوبر 1933.

---------، "حكم ترجمة القرآن العظيم"، مطابع بن شويخ، تطوان، 2011.

- عبد الله عباس الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، دار الفتح، جدة، 1972.

- **محمد بن شقرون**، قضايا ترجمة معاني القرآن الكريم، مجلة جامعة ابن يوسف، ع. 1، 2002، ص. 29-50.

- **محمد خير البقاعي**، تحريف الكلم والترجمة، قراءة في ترجمات القرآن الكريم، دار ابن حزم، الرياض، 2003.

- **محمد فرشوخ**، "الإعجاز البياني في القرآن الكريم"، من موقع www.iijazforum.org، دون تاريخ نشر.

- **بينارق عصمت**، البيبليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم، الترجمات المطبوعة 1915-1980، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، إستانبول، 1986.

- **د. محمد خير بن محمود البقاعي**، ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، رينيه خوام، وأندريه شوراكي، وجاك بيرك نموذجاً. نشر موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على الرابط التالي: nadawat.qurancomplex.gov.sa.

- **د.عبد الرحيم حزل**، "التقييم الترجمي"، مجلة الكلمة، العدد 137، سبتمبر/أيلول 2018.

- **حمزة زغار**،"تعدد اللغات والترجمة، أسطورة بابل" 2015: http://hemza-zeghar.blogspot.com/2015/12/blog-post.html

- **جلال الدين بن الطاهر العلوش**، أحكام ترجمة القرآن الكريم، دار ابن حزم، بيروت، 2007.

- **أحمد إبراهيم مهنا**، دراسة في ترجمة القرآن، مكتبة دار الشعب، القاهرة، 1978.
- **د. نديم بن محمد عطا الله إلياس**، ترجمة معاني القرآن الكريم والتحديات المعاصرة، أبحاث ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول المنعقدة بكلية اللغات والترجمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2005م
- **محمد عبد العظيم الزرقاني**، مناهل العرفان في علوم القرآن، جزءان، القاهرة.
- **روبير دي بوغراندي**، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2007.
- **محمد حميد الله**، القرآن المجيد، ترجمة إلى الفرنسية، جزءان، ط. 10 مؤسسة الرسالة، 1980.
- **طه عبد الرحمن**، فقه الفلسفة.1-الفلسفة والترجمة، 1996، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-بيروت.
- **---------**، "سؤال العمل"، 2012، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- **الزركشي**، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة للنشر، 1990، 4 أجزاء.

المراجع باللغات الأخرى

- **Andújar Moreno, G, 2011,** "Los elementos paratextuales en la traducción jurada de los documentos académicos"**,** *Revista electrónica de lingüística aplicada,* pp. 89-100.
- **Al-Malik, Fahad M**. (1995) *Performative utterances : their basic and secondary meanings with reference to five English translations of the meanings of the Holy Qur'an.* Doctoral thesis, Durham University.

- **Bouazza Assam**, 2003, “Consideraciones traductológicas sobre la traducción del Corán”**,** *Traducción de los clásicos*, Miguel Angel Vega Cernuda (ed. lit.), Juan Pedro Pérez Pardo (ed. lit.) Madrid : Instituto Universitario de Lenguas Modernas y Traductores, Universidad Complutense de Madrid.
- -------------, (2005), “La traducción de los documentos notariales del árabe al español: ¿traducción especializada o mediación intercultural?” *Actas del los VI Encuentros Internacionales de traducción, II Congreso Internacional de traducción e interpretación en los servicios públicos*: Alcalá de Henares.
- **---------------,** 2016, “El debate exegético en la traducción de Muhammad Asad del Corán”, Actas del Congreso Internacional “Marruecos y España, denominadores comunes”, Mohammedia, (en prensa).
- **Barnwell, K.** (2002) *Bible Translation: An Introductory Course in Translation Principles.* SIL.
- **Barrada, Mohamed***,* 2005, *Traducciones del Alcorán: Lingüística y estilística*. Tesis doctoral dirigida por Pedro Martínez Montávez. Facultad de Filosofía y Letras, Universidad Autónoma de Madrid, (2000) y publicada por la Facultad de Letras de Tetuán.
- **Arias Torres J. P.**, 2007, Bibliografía sobre las traducciones del Alcorán en el ámbito hispano, Trans, núm. 11,.

- **Arias, R.,** 2001, “Paratexto y metatexto en la recepción de las traducciones españolas de *Twelft Night*”, *Trans*, 5, 57-75.
- **Silke, J.** & **Schrader Kniffki, M**., 2013, *Las traducciones a través de los tiempos, espacios y discursos,* Frank & Timme, Gmbh: Berlin.
- **Abderrahmán**, T., 1995, *Fikh Al Falsafah, 1- alfalsafah wa attarjamah*, Casabalanca: Al Markaz Attakafi Al Arabi.
- **Adam**, J., M., & Lorda, C., O., (1999), *Lingüística de los textos narrativos*, Barcelona: Ariel Lingüística.
- **Agost, R.,** (1999), *Traducción y doblaje: palabras, voces e imágenes*, Barcelona: Ariel.
- **Albaladejo**, T., 1992, “Aspectos pragmáticos y semánticas de la traducción literaria”, Koiné, *Analli della scuola superiore per interpretti e tradduttori*, “San Pellegrino”.
- **Al Jalifa**, S, W., 1996, “Mu’adilāt attarŷamah al adabiyyah bayna al ispānillah wal ‘arabiyyah”, núm. 2, *Turŷumān*: Tánger.
- **Alvarez,** M. A, 1996, “La traducción literaria: entre la lingüística y la literatura comparada”, *Encuentros entorno a la traducción*, Editorial de la Universidad de Alcalá de Henares.
- **Arias Torres**, J. B., “Bibliografía sobre las traducciones del Alcorán en el ámbito hispano”, *Trans*, núm. 11, 2007.
- **Arias, R., 2001,** “Paratexto y metatexto en la recepción de las traducciones españolas de *Twelft Night*”, *Trans*, 5, 57-75.

- **Aydar**, **Hidayet** (Dr.), *Kur'anı Kerim'in Tercümesi Meselesi*, Istanbul: 1996.
- **Espalza**, M.,*Traducciones del Corán: propuestas*, ediciones Universidad de Alicante, 2008.

-----------------------, especificidades religiosas de la lengua árabe y sus traducciones" (43-106) en *Traducir al árabe*, Míkel de Epalza (coord..), Barcelona: Ed. Gedisa, 2004.

- **Bake**r, M. (1992), *In other words*, Londres, Routledge.
- ------------, (1998a), (ed.) *Routledge Enciclopedia of Translation Studies***,** Londres: Routledge.
- **-----------,** (1998b), « Translation Studies », en M. Baker (ed.), 277-280.
- **Basnett & Mc Guire**, S., (1978), "Translating special Poetry: An examination of theatre text in Performance", en Holmes, J. Lambert and R. Van Den Broeck (Ed.).
- ----------------, (1980), *Translation studies*, Routledge, Londres.
- ---------------, (1981), "The problems on translating theatre texts*", Theatre Quartely, 10/ 40.*
- --------------- y Lefevre A. (eds), (1990), *Translation, History and Culture*, Londres, Pinter Publishers.
- --------------- y Lefevre A. (eds), (1998), *Constructing Cultures. Essay on literacy Translation*. Clevedon, Multilingual Matters.
- ------------------, Y Trivedi, H (Eds), 1999, *Post-colonial Translation: Theory and Practice*.Londres, Routledge.
- **Bell,** R. T., (1987), "Translation Theory: where are we going". *Méta*, 31/4,403.415.

- ----------------, (1991), *Translation and translating,* Routledge, Londres.
- ---------------, (1998), “Psycholinguistic/ cognitive approaches”, en M. Baker (ed.), 185-190.
- **Berman**, A., (1984), *L’épreuve de l’étranger: Culture et traduction dans l’Allemagne Romantique*, París: Gallimard.
- **Bhabha**, H. K., 1994, “how newness Enters the world: Postmodern space, Postcolonial Times and the Trials of Cultural Translation”, en H.K. Bhabha (Ed, The Location of Culture.), Routledge, Londres.
- **Broeck**, R, Van Den, 1978, “the concept of equivalence in Translation Theory: Some Critical reflections”, en J.S.Holmes, J. Lambert y R. Van den Broeck, Ed.
- **Carbonell**, O, (1996), “lingüística, traducción y cultura”, Málaga: *Trans*, 1.
- -------------, (1997), “traducir al Otro, perspectivas sobre la traducción del texto poscolonial”, in *la palabra vertida, investigaciones entorno a la traducción*, Miguel Ángel Vega & Rafael Martín Gaitero (eds.), Publicaciones de la Universidad Complutense 561-571.
- ----------------, (1997), *Traducir al Otro, traducción, exotismo y postcolonialismo*, ediciones de la Escuela de Traductores de Toledo. Cuenca: Ediciones de la Universidad de Castilla La Mancha.
- ---------------, (1999), *Traducción y cultura, De la ideología al texto*, Salamanca: Ediciones Colegio de España.

- ---------------, (1997), “Orientalismo, exotismo y traducción. Aproximación a las (circunstancias y) dificultades de la traducción cultural”. *Pensamiento y circulación de las ideas en el mediterráneo: el papel de la traducción*, José Sangrador Gil, (Et al.); coordinadores, Miguel Hernando de Larramendi; Gonzalo Fernández Parrilla. Cuenca: ediciones de la Universidad de Castilla La-Mancha.
- -------------, (2000), “Traducción, Oriente, Occidente,... y la necesidad del exotismo”, in *Orientalismo, exotismo y traducción*, (coords.) Parilla G. F & Feria. M. G. Cuenca: Ediciones de la Universidad de Castilla La Mancha.
- **Carry**, E, (1956), *La traduction dans le monde moderne*, Ginebra, Gerg.
- -------------, (1957), “Théories soviétiques de la traduction”, *Babel*, 5/1, 19-20
- -------------, (1963), *Les Grands traducteurs du français*, Ginebra, Georg.
- **Catford**, J. C.,(1965 [1970]), *Una teoría de la traducción: Ensayo de lingüística aplicada*, Caracas, Universidad Central de Venezuela.
- **Coseriu,** E, 1977, “lo erróneo y lo acertado en la teoría de la traducción”, en *E. Coseriu, El Hombre y el lenguaje*, Madrid: Gredos. 214-239.
- **Cesar**, A. M., (1999), *crítica e tradução*, Sao Paulo: Ática.
- **Chuquet**, H, y **Paillard**, M. 1989, *Approche linguistique des problèmes de la traduction*, París, Orphis.
- **Darbelnet, J.,** (1977), « Niveaux de traduction », *Babel*, 23/1, 6-17.

- **De Beaugrande, R.,** (1978), *Factors in a theory of poetic translating*, Assen, Van Gorcum.
- **------------------------,** (1980), “Toward a Semiotic Theory of literary Translating”, en W. Wills (ed.), *Semiotik und Übersentzen*, Tubinga, Gunter Narr, 3.42.
- **Delisle**, J. (1980), « L`analyse du Discours comme méthode de traduction », *Cahiers de traductologie*, 2, ed. Université d´Ottawa
- --------------, 1988, *Translation: An interpretative approach*, Ottawa, University Press.
- ---------------, (1993), *La traduction raisonnée. Manuel d`initiation á la traduction professionnelle de l´ Englais vers le Français*, Col. Pédagogie de la traduction 1, Editions de l´Université D´Ottawa.
- ----------------, y Bastin G., *Iniciación a la traducción, Enfoque interpretativo. Teoría y práctica.* Universidad Central de Venezuela.
- ---------------, y Woodsworth, J. 1995, *Les traducteurs dans l ´histoire*, Les Presses d´Ottawa/ UNESCO,(Translators through History, Amsterdam, John Benjamins, 1995)
- **Derrida**, J., (1985ª), *The Ear of the Other. Autobiography, transference and translation. Texts and discussions with Jacques Derrida*, University of Nebraska Press.
- **Dib, N.**, 2009, *D´un islam textuel vers un islam contextuel: la traduction du Coran et la construction de l ´image de la femme*, Presses Universitaires d´Ottawa, Canada.

- **Dil, A., S.** (1975) *Language Structure and Translation: Essays by Eugene A. Nida.* California: Stanford University Press.
- **Duff,** A., (1989)*, Translation*, Oxford University Press.
- **Elena García**, P., (1990), *Aspectos teóricos y prácticos de la traducción,* Salamanca: Ediciones de la Universidad de Salamanca.
- **El-Madkouri**, M., (1993), *Hacia una teoría de la traducción del árabe al español*, tesis doctoral, inédita. Universidad Autónoma de Madrid.
- ---------------, (2003), "Globalización, cultura del Otro y traducción (aspectos de la traducción del árabe al español), *Logo*, Año 3, núm. 5, pp. 69-77.
- **Elena García**, P., (1990), *Aspectos teóricos y prácticos de la traducción*. Ediciones de la Universidad de Salamanca.
- **Espalza**, M.,*Traducciones del Corán: propuestas*, ediciones Universidad de Alicante, 2008.
- ------------------------, "especificidades religiosas de la lengua árabe y sus traducciones" (43-106) en *Traducir al árabe,* Míkel de Epalza (coord..), Barcelona: Ed. Gedisa, 2004.
- **Even Zohar, I,** (1979), "Polisystem theory", *Poetics Today*, 1-2.
- ------------, (1981), "Translation theory today. A call for transfer theory, en I. Even-Zohar y G. Toury (eds.).
- ------------, (1981), *Theory of Trnaslation and Intercultural Relation,* Poetics Today, 2/4.

- **------------------, (1997),** *Translation and Gender. Translating in the “era of feminism”*, Manchester, St. Jerome.
- **Ferhat M.**, *Le Concept de Littéralité dans la traduction du Coran: Le cas de trois traductions*, Université Mentouri – Constantine, 2005-2006
- **Gallego Roca**, M,1994, *traducción y literatura: los estudios literarios ante las obras traducidas*, júcar: Madrid.
- **García Yebra**, V., 1982, *Teoría y práctica de la traducción*, Madrid: Gredos.
- **Genette**, *G. Palimpsestos: la literatura en segundo grado.* Taurus, 1989.
- *--------------. Umbrales,* Siglo XXI, 2001.
- **Gentzler**, E. (1993*), Contemporary translation theories*, Londres, Routledge.
- **Gutt E.A.,** (2000), *Translation and Relevance: Cognition and Context*, St. Jerome Publishing.
- Daniel Gouadec, "Paramètres de l’'évaluation des traductions", *Meta*, vol. XXVI, n° 2, 1981, p. 99-100
- **Hatim**, **B. & Mason**, I. (1990-1995), *Teoría de la traducción, una aproximación al discurso*, traducción de Salvador Peña, Ed. Ariel: Barcelona.
- **Hatim**, B., 1997-2000, *Communication across cultures: Translation theory and contrastive text linguistics*, Exeter University Press.

- **Herrag, H.,** *the ideological factor in the translation of the sensitive issues from the Quran in the English, Spanish and Catalan*, tesis doctoral defendida en 2012 en la Universidad Autónoma de Barcelona y publicada en: www.tdx.cat.
- **Hermans, T.,** (1985), (ed.), *The manipulation of literature. Studies in literary translation*, Londres: Crom Helm.
- **Harriet H., Ernst-August Gutt, Christoph Unger, Rick Floyd, Margaret Hill**, (2012), *Bible Translation Basics: Communicating Scripture in a Relevant Way*, ePub edition.
- **Hurtado Albir**, A., 2001, *Traducción y traductología, Introducción a la traductología*, Madrid: Cátedra.
- **Jackobson**, R., (1959-[1975]), "entorno a los aspectos lingüísticos de la traducción", en *Ensayos de lingüística general*, Seix Barral: Barcelona, 67-77.
- **Kellner**, M. A. (1996) *God on the Internet.* CA. IDG Books.
- **Ladmiral,** J.R, (1979), *théorèmes pour la traduction*, París, Payot.
- **Lafarga**, F, (ed.), *El discurso sobre la traducción en la historia*, Antología bilingüe, EUB.
- **Lambert**, J., 1991, "Shifts, Oppositions and Goals in translation studies: toward Genealogy of concepts", en K.Van Leuveny T. Naaijkens (eds.) 25-37.
- **Laplace**, C, 1994, *Théorie du langage et Théorie de la traduction*, Col. Traductologie, 8, París, Didier Érudition.

- **Larose**, R., 1989, *Théories contemporaines de la traduction*, Presses de l´Université de Quebec.
- **Larose**, R, "*Qualité et efficacité en traduction: réponse à F. W. Sixel*", Meta, vol. XXXIX, n° 2, 1994, 362.
- ---------, « Méthodologie de l'évaluation de s traductions », *Meta*, *43*(2), 163–186.
- **Lefevere**, A, (1975), *Translating Poetry, seven Strategies and Blueprint*, Amsterdam, Van Gorcum.
- -------------, (1992 [1996]), *Traducción, reescritura y manipulación del canon literario*, Salamanca: Almar.
- -------------, (1992b), *Translation. History. Culture*. A sourcebook. Londres. Routledge.
- **Lotbiniére-Harwood**, S., (1991), *Re-belle et infidéle. The body bilingual*, Quebec, Women's Press.
- **López García**, D. (1996), *Teorías de la traducción, antología de textos*, Cuenca, Ediciones de la Universidad de Castilla La Mancha.
- **López Carrillo**, R. M., D. & Aguilar, S., S., E., (1998), *Etienne Dolet y los cinco principios de la traducción*, Granada, Comares.
- **Majola, A.** O. and Wendland, E. (2004) "Scripture Translation in the Era of Translation Studies". In T. Wilt (ed.) *Bible Translation: Frames of Reference.* Manchester: St. Jerome.
- **Manaz, Abdullah**, *Atatürk Reformları ve İslam, Akademi Kitabevi*, (Büyük Boy 257 Sayfa) Izmir - 1995.
- **Margot**, J. C., 1979-1987): *Traducir sin traicionar*: Madrid, ed. Cristiandad.

- **Mason**, I, (1995), “ Dicourse, idiology and translation”, en R. De Beaugrande et al., *Language, Discourse and translation in the West and Middle East*, Amsterdam, John Benjamins.
- **Molina**, L., (1998), *El tratamiento de los elementos culturales en las traducciones al árabe de Cien años de soledad,* Trabajo de Investigación de Doctorado, Universidad Autónoma de Barcelona.
- **Mounin**, G., (1955), *Les belles infidéles*, París: Cahiers du Sud
- ----------------, (1963), *Los problemas teóricos de la traducción*, Madrid: Gredos.
- **Muñoz Martín**, R, (1995), *lingüística para traducir*, Barcelona: Teide.
- **Neubert**, A., (1985), *Text and translation*, Leipzig, VEB Verlag Enzyklopädie.
- **Newman**, A., (1980), *mapping translation Equivalence,* Lovaina: Ecco.
- **Newmark**, P., (1981-1992), *Manual de traducción*, Madrid, Cátedra.
- -------------------,(1991), *About translation*, Clevedon, Multilingual matters.
- **Nida** E .A, & Taber. CH. R, (1974-1986), *La traducción, teoría y práctica*: Ediciones Cristiandad, Madrid.
- ------------------, (1996), *The sociolinguistics of interlingual communication*, Col. Traductologie, Bruselas: Les Èditions du Hazard.

- **..........**, *Sobre la traducción*, Ed. Cátedra, Barcelona, 2012.
- **Ortega Ajornilla**, E., (1996), *Apuntes para una toría hermenéutica de la traducción*, Universidad de Málaga.
- **Ortega y Gasset**, (1937), *miseria y esplendor de la traducción*, obras completas, Madrid: ed: Revista de Occidente, 1970.
- **Paz**, O., (1971), *Traducción: literatura y literalidad*, B Barcelona, Tusquets.
- **Peña**, S., y Hernández, M. J., (1994), *Traductología*, Universidad de Málaga.
- **Pratt**, M. L., 1992*, Imperial eyes, travel writing and transculturation*, Routledge, London.
- **Pergnier**, M., (1978), *les fondements sociolinguistiques de la traduction*, París, Champion.
- **Rabadán**, R, (1991), *Equivalencia y traducción, problemática de la equivalencia translémica inglés-español*, Zamora: ed. Universidad de León.
- **Robinson**, D., (1997), *Translation and Empire*, Manchester St. Jerome.
- **Samaniego**, 1996, *La traducción de la metáfora*, Valladolid: Ediciones de la Universidad de Valladolid.
- **Saez Hermosilla**, T., (1994), *El sentido de la traducción: Reflexión y crítica*, Universidad de León.
- **Saïd**, E., 1990, *Orientalismo*, trad, María Teresa Fuentes, Madrid: Libertarias.
- **Pym**, A., (1992), *Translation and text transfer*, Francfort: Peter Lang.

- ----------, (1998), *Method In Translation Theory*, Manchester. St. Jerome.
- **Reiss, K. & Vermeer**, V., (1984 [1996]), *Fundamentos para una teoría funcional de la tradución*, Madrid: Akal Universitaria
- **Rolán Tomás G. & Fonseca, A. L**., 2014, *Traducción y elementos paratextuales, los prólogos a las versiones castellanas de textos latinos en el siglo XV*, Ed. Escolar y Mayo: Madrid.
- **Paz**, O, 1971- 1981*, literatura y literalidad*, Barcelona: Tusquets editores.
- **Pedraza, S. A., (2015),** *Buscando el verdadero mensaje del islam en las traducciones al español del sagrado corán,* publicado en red por Creative-Common, 2015. El enlace: https://fr.scribd.com/document/358294793/Abdunur-Pedraza-Said-Buscando-El-Verdadero-Mensaje-de-Islam.
- **Peña**, S. & **Guerrero**, H. Mª, (1994), *Traductología*, Málaga: Servicio de Publicación de la Universidad.
- **Snell Hornby,** M, (1988 [1999]), *Estudios de traducción, hacia una perspectiva integradora*, Salamanca, ed. Almar.
- **Reyes**, G., **Baena**, E., **Urios**, E., 2000, *Ejercicios de pragmática I*, Madrid: Arco Libros
- **Robinson**, D., (1997), *Translation and Empire*, Manchester, St. Jerome.
- **Ruiz Casanova**, J. F., (2000), *Aproximación a una historia de la traducción en España*, Madrid, Cátedra.

- **Santoyo, J. C.**, (1985), *El delito de traducir*, Universidad de León.
- ----------------, (1987), *Teoría y crítica de la traducción*: Antología, Universitat autónoma de Barcelona.
- ----------------, (1987b), *Traducción, traducción traductores*. *Ensayo de bibliografía española*, Universidad de León.
- -----------------, (1999), *Historia de la traducción: Quince apuntes*, universidad de León.
- **Savory**, T. H., (1957), *The art of translation*, Londres, Jonathan Cape.
- **Schöke**l, A., (1987), *Hermenéutica de la palabra*, Madrid, Ed. Cristiandad.
- ----------, y Zurro, E., (1978), *La traducción bíblica: lingüística y estilística*, Madrid, Ed. Cristiandad.
- **Sefercioǧlu, M.,** N. (2000) *World Bibliography of Translations of the Holy Qur'an in Manuscript Form.* Research Centre for Islamic History, Art and Culture (IRCICA): Istanbul.
- **Seleskovich**, D., y Lederer, (1984), *Interperter pour traduire*, Col. Traductologie, 4, París, Didier Erudition.
- **Steiner**, G., (1975-1995), *Después de Babel*, Madrid: FCE.
- **Silke, J.** & **Schrader Kniffki, M., (2013),** *Las traducciones a través de los tiempos, espacios y discursos,* Frank & Timme, Gmbh: Berlin.
- **Soukup & R. Hodgsonson** (eds.) (1999) *Fidelity and Translation: Communicating the Bible in New Media.* NY. American Bible Society.

- **Smyej, S., (**2017), *Le paratexte des traductions du Coran, de la Couverture á la Préface*, Publications Afaq: Marrakech.
- **Taber , C.R. y Nida, E.**, *La traducción, Teoría y práctica*, Ediciones Cristiandad, 1986.
- -------------------------, *La traducción bíblica: estilística y lingüística*, Ediciones Cristiandad, 1977.
- **Torre**, E., 1994, *Teoría de la traducción literaria*, Ed. Síntesis, Madrid.
- **Toury**, G.,(1994), *In search of theory of translation*, The Porter Institute of poetics and semiotics, Tel Aviv university.
- -------------, (1995), *Translation studies-and beyond*, Amsterdam, John Benjamins.
- **Valero Garcés**, C., 1995, *Apuntes sobre traducción literaria y análisis contrastivo de textos literarios traducidos*, Universidad de Alcalá de Henares: Servicio de Publicaciones.
- **Vázquez Ayora**, G, 1977, *Introducción a la traductología*, Wachington D.C: Georgetown University Press.
- **Van Dijk**, T., 1980, *Texto y contexto*. Madrid: Cátedra.
- **Vega**, M. A., (1994), *Textos clásicos de teoría de la traducción*, Madrid, Cátedra.
- **Venuti**, L., “The translator´s invisibility”, *Criticism*, 28/2, 179-212.
- -------------, (1995), *The translator´s invisibility: a History of translation*, Londres, Routledge.

- -------------, (1998), *The scandals of translation*, Manchester: St. Jerome.
- --------------, (2000), *The translation Studies Reader*, Londres, Routledge.
- **Vidal Claramente**, C. A., (1989), "traducción y desconstrucción", *Miscelánea*, 10, 117-129.
- -----------------------, (1995), *Traducción, manipulación, desconstrucción*, Salamanca, Ediciones Colegio de España.
- --------------------, (1998), *El Futuro de la Traducción*, Valencia: Institutió Alfons El Magnánim.
- ---------------------, (1998), *El futuro de la traducción. Últimas teorías, nuevas aplicaciones*, Valencia, Institució Alfons el Magnànim.
- **Vinay**, J.P., & **Darbelnet**, J., (1958), *La stylistique comparée du Français et de l´Anglais : Méthode de traduction*, Paris: Didier Erudition.
- **Wendland E., R.**, (2013), *Orality and the Scriptures: Composition, Translation, and Transmission*, SIL International, Global Publishing.